محمد (صلى الله عليه و سلم) .

في الترجوم والتلمود والتوراة
وغيرها من كتب أهل الكتاب وأصحاب الديانات
(ظهور نصوص اختفت ألفي عام)

هشام محمد طلبة

صلوا عليه وسلموا تسليما

محمد ﷺ

في الترجوم والتلمود والتوراة
وغيرها من كتب أهل الكتاب وأصحاب الديانات
(ظهور نصوص اختفت ألفي عام)

بقلم

هشام محمد طلبة

تقديم

أ. د/ علي جمعة

فهرس

بسم الله الرحمن الرحيم

إهداء

إلى عالمين جليلين:

من فضل المولى عز وجل علي، أن قيض لي عالمين جليلين منافِحين عن الإسلام، ويقف كل منهما على ثغر من ثغوره.

الأستاذ الدكتور/ علي جمعة:

أول من استمع لي باهتمام من العلماء بعد عناء، فوجهني بصدقٍ وصبرٍ وحكمةٍ يتفرد بها بين العلماء.

والأستاذة الدكتورة/ زينب عبد العزيز:

التي تقف على ثغر الرد على المستشرقين الفرنسيين تحديدا، وبمفردها تقريبا تقوم بما يقوم به عشرات الرجال دون كلال، وهي صاحبة الفضل بعد المولى عز وجل في خروج هذا الكتاب بهذا الشكل، بعد أن اقترحت علي "فرد" مشروعه الأول وكان رسالةً صغيرة.

وهي أمي بعد أمي.

تقديم الأستاذ الدكتور/ علي جمعة

الحمد ، والصلاة والسلام على سيدنا رسول ا وآلـه وصحبه ومن والاه.

أما بعد: فإن رسول ا ﷺ قد أرسله ا رحمة للعـالمين، وخاتما للمرسلين وبشر به في كتب السابقين، قـال تعـالى: ﴿**الرسولَ النبِي الْأُمي الَّذِي يجِدونَه مكْتُوبـا عِنْـدهم فِـي التوراةِ والإِنْجِيلِ...** ﴾ [الأعـراف: ١٥٧]، وقـال تعـالى: ﴿**ومبشرا بِرسولٍ يـأْتِي مِـن بعـدِي اسـمه أَحمـد...** ﴾ [الصف: ٦]، فأين هذا في زبر الأولين.

كَتَب العلماء على مر العصور مواطن ذكره ﷺ في كتـب أهل الكتاب، فذكر ابن القيم ذلك في "جلاء الإفهام في الصلاة على خير الأنام"، وذكره - رحمه ا - الهندي في "إظهـار الحق"، والألوسي في "الرد الفسيح".

وأسلم كثير من الناس من أهل الكتاب بناء علـى ذلـك، منهم: عبد الأحد داود في "الإنجيل والصليب"، و"محمد فـي الكتاب المقدس"، وبشرى زخاري ميخائيل في "محمد رسول ا "، هكذا بشرت الأناجيل وغيرهم كثير.

وبين أيدينا اليوم كتاب فريد في بابه؛ حيث تتبع ذكره ﷺ في أسفار السابقين وصفاته المذكورة عندهم في الكتب غير القانونية التي نأت عن التحريف والتخريف المتعمد وغير المتعمد أكثر مما نالت الكتب القانونية من ذلك، وفيه بيان بأن مقتضى الكتب المقدسة يحتم التصديق بسيدنا محمد ﷺ بالتصريح والتلميح وبالنص ولوازم النصوص، وأن فرض عدم صدق النبي محمد يرتب عليه المحال، ويؤدي إلى الاختلال ولا نصل به إلا إلى أسوء حال.

عسى ا أن ينفعنا بهذا الكتاب الذي أسسه صاحبه على منهج علمي رصين، لا يبقى لمنصف أدرك حال النبي إلا أن يؤمن به مطمئنًا راضيا متوجها بإيمانه إلى ا الواحد، وعسى أن يرتد المبشرون وأن يستحي المخلصون منهم في استمرارهم في غيهم وحبهم للدنيا ونبذهم للحق، إنه سميع قريب مجيب الدعاء.

علي جمعه

أستاذ الشريعة – جامعة الأزهر

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

لا يكاد يخلو سفر من أسفار أهل الكتاب من نبوءة نبي يظهر في آخر الزمان، بل إن ذلك قد تعدى أهل الكتاب لكتب أشباه الكتابيين [(1)]. مثل كتاب "كنزاربا" عند الصابئة، "زند أفستا" عند الزرادشتية (المجوس) وكذلك كتاب "فيدا" عند الهندوس وغيرها.

وأكثر الكتب ذكرا لذلك النبي هو:

---

(1) أشباه أهل الكتاب: مصطلح أطلقه العلامة الشهرستاني في كتابه "الملل والنحل" على الزرادشتية والثنوية (الذين يقولون بإلهين" على أساس أن لهم كتبا فيها من العمليات (تقرير الخالق والإبداع) والعمليات (الأوامر الإلهية) كما ذكرت سورة الأعلى.

وفي عملنا هذا نطلق لفظ أشباه أهل الكتاب على الزرادشتية والصابئة، لأن الصابئة لهم كتب كذلك (الكنزاربا) وفيه من العلميات والعمليات.

(الإنجيل): الكتاب المقدس الذي أطلق عليه عدة ألقاب:

المسيا: الذي يقال له المسيح (يوحنا ٤: ٥٥) [(١)].

المسيح الرئيس: (دانيال ٧: ١٣).

ابن الإنسان: (دانيال ٧: ١٣).

البر الأبدي: (دانيال ٩).

قدوس القديسين: (دانيال ٩).

الآتي باسم الرب: (مزامير ١١٨).

(1) إذا ذكرت التوراة فقط لفظ المسيح، فهي تعني به النبي الآخـر أي ذلك المسيح المنتظر. فقد جعلت التوارة كثيرا من الأنبياء مسحاء، بل وبعض الملوك أيضا حتى لو كـانوا وثنيـين مثـل قـورش. والعجيــب أن القــرآن نفســه لــم يســتخدم هــذا اللفــظ إلا لعيسى ابن مريم، لكنه لم يذكر كلمة المسيح وحدها أبدا للدلالة على عيسى، بل يقول: المسيح ابن مريم، المسيح عيسى ابن مريم، ولم يذكر كلمة "المسيح" وحدها إلا إذا كانت الإضافة ذكرت مـن قبل في فقرة قبلها، كأن القرآن يود أن يقول: عيسى مسـيح لكنـه ليس المسيح المنتظر.

وفي عملنا هذا عندما نتكلم عن محمد ﷺ في التوراة نعني في التوارة والإنجيل معا؛ أي ما يسميه النصـارى الكتـاب المقدس، والحق أن الغرب يطلـق عليهمـا معـا "التـوراة المقدسة".

والحق أن هناك توافقا شديدا بين ما ذكرته الكتب السابقة عن النبي المنتظر وما ذكره القرآن، بل وما ذكره التـاريخ عن نبي الإسلام عليه الصلاة والسلام.

وقد خاض في هذا الباب كثير من علماء الإسـلام منـذ قرون، لكن ما كتبوا عنه ظل محصورا في التوراة والإنجيل أو كما يسميه النصارى "الكتاب المقدس"، مع شيء يسير من بعض النبوءات في كتب المجوس والهندوس، وقد فـتح ا علينا بالبحث في طائفة من الكتب السابقة للإسلام لم تُطـرق من قبل من قِبل المسلمين؛ ألا وهي طائفة الكتب التي يعتـد بها ولكن لا يتعبد بها عند أهل الكتاب؛ مثل التلمود والترجوم والميدراش وغيرها..، هذه الكتب غاية في الأهميـة لأنهـا لا تُطبع كثيرا؛ لأنها لا تقرأ إلا من علمائهم وبالتالي يرجـى أن يكون الإخفاء والتحريف فيها أقلّ من الكتب المتعبد بهـا (الكتاب المقدس) كما أنها مجال بكر تماما، ولا يقدح في تلك

الكتب أنها لا يتعبد بها لأنها رغم ذلك تستخدم عنـدهم فـي علوم اللاهوت وتفسير الكتاب المقدس.. كذلك لم يدع مـدع منهم أنها قد دست عليهم من غيرهم [مثل إنجيل برنابا الذي ادعو أنه دس عليهم من المسلمين] وهذا هو الأهم.

* **تلك الكتب كثيرة جدا في عددها**: بل إن الكتاب الواحد نجد له أكثر من نص مختلف، الكتاب المقدس (الإنجيل) نفسه له ستة نصوص أساسـية: (العبريـة القياسـية – البشـيتا السريانية – السـبعينية اليونانيـة – الفولجاتـا اللاتينيـة – السامرية – الترجوم الآرامي).

والنص العبري نفسه وهو أهم النصوص نجد لـه ثلاثـة نصوص (الألوهي – اليهودي – الكهنوتي)، علاوة على عدد كبير من النصوص غير الأساسية، وكل ناشر لأيـة طبعـة جديدة من "الكتاب المقدس" أو التوراة لابد وأن يستعين بكثير من تلك النصوص محاولاً الوصول لنص أقرب مـا يكـون

للنص الأصلي المفقود، وذلك في علم يسـمونه علـم نقـد النصوص [1].

* **تلك الكتب كذلك لم تكتب بلغة واحدة**: بل منها ما كتب بالعبرية وما كتـب بالسـريانية أو الآراميـة أو المندائيـة أو القبطية أو اليونانية أو الحبشية أو اللاتينية أو غيرها، عدا العربية.

* **كما أن تلك الكتب لم تصبح معروفة لنا إلا عبر وقـت طويل جدا**: فإننا لم نجد تلك الكتب مرة واحدة، بل جمعـت منذ القرن الرابع الميلادي وحتى الآن لا نزال نكتشف مزيدا من المخطوطات.

وقد وصلت إلينا إما عن طريق وراثة جيـل مـن جيـل أو التنقيب عن المخطوطات أو اكتشاف مخطوطات مجهولة كانت مخفية داخل مخطوطات معروفة.

لعل آخر ما وصل إلينا هو مخطوطـات البحـر الميـت ١٩٤٧م إلى ١٩٥٨ أي بعد وفاته ﷺ بأكثر من ١٣ قرنًا.

---

(1) الكتاب المقدس – دار المشرق ١٩٨٩م – مدخل إلى العهد الجديد (بتصرف).

*** تلك الكتب لم نجدها في مكان واحد وجدناها في أماكن متفرقة:** في سيناء، نجع حمادي، القاهرة (جنَيزة)، كهـوف البحر الميت، الحبشة، الفاتيكان، العراق، اليونـان، الهنـد، مكتبات نبلاء أوربا وغيرها.

*** تلك الكتب في الماضي كانت نـادرة جـدا:** ذلـك لأن النسخ كان يدويا، كما أن كثيرا من الطوائف صاحبة الكتـب تعرضت للاضطهاد وحرق كتبها، فكيف نتصور أن يحصل شخص واحد على نسخة من كل كتاب من ذلك العدد الكبيـر من الكتب.

*** حجم هذه الكتب في الماضي كان كبيرا جـدا:** وعلـى هيئة قراطيس من المستحيل تداولها سـرا؛ إذ كـان يحمـل البعير كتابا واحدا أحيانًا.

*** عدد كبير من هذه الكتب كان أسـرارا** (أبـو كريفـا) Apocrypha. وكان لكل طائفة كتبها السـرية، ولـم يكـن مسموحا لأي من الطوائف الأخرى الاطلاع عليهـا حتـى ولو من نفس الديانة.

يتبين جليا مما سبق أنه يستحيل أن يدعي مدع أن محمـد ﷺ قد قرأ في كتب أهل الكتاب صفات نبـي آخـر الزمـان

فأثبتها في القرآن لنفسه.. وهو الأمي.. ثم ما قولهم فيما كتب في الكتب السابقة عن مسار حياة النبي وثبت لمحمد ﷺ؟ هل تحكم محمد ﷺ في مسار حياته، ليثبت ما كتب فـي كتـبهم عنه؟!!

وقد فكرت ألا أخوض هذه النبوءات التي قد طرقت مـن قبلي، لكني وجدت أنه من الأفضل ألا أهمل هـذه الأعمـال الجليلة والجهود المشكورة التي سبقني بها علماء أفاضل، وما كاد لمجتهد فحسب مثلي أن يهمل جهود علماء ستُثْرى بـلا شك ما فتح ا به علينا.

وقد اجتهدت في هذا العمل ألا أكتب إلا ما رأته عينـاي من مصادر أصلية، وتحريت التوثيق حتى يتثبـت مـن أراد التثبت، اللهم إلا في النذر اليسير الذي لم أتمكن من الاطلاع على مصدره الأصلي، خاصة وأن هناك العديد من الطوائف لا زالت تتعمد إخفاء العديد من كتبهم.

ثم ألحقت بهذه النبوءات محلقًا ذكرت فيه بعـض دلائـل صدق نبوة محمد ﷺ والبراهين المنطقية والعلميـة الكونيـة والتاريخية على ذلك، ودحض أهم شبهات خصوم الإسـلام وبيان أحقيته وتهافت غيره.

وهذا الملحق متمم لموضوع الكتاب الأصلي وهـو فـي حقيقته محقق لنبوءة إنجيلية، وقد تحريت في هـذا الملحـق أيضا أن يكون – قدر الإمكان – موجزا ومركزا وموثقًا؛ فلا أذكر معلومة إلا وذكرت مصدرها الأصلي.

سيجد القارئ منهجنا في ذكر النبوءات مختلفًا عن الكتب التي سبقتنا في هذا المجال؛ إذ لم نرتبها ترتيبا عدديا فنقـول مثلاً النبوءة الأولى.. النبوءة الثانية.. ثم نذكر فقرة فقرة من الكتب المقدسة مبتدئين بسفر التكوين ثم ما يتلوه من أسفار – بل كان ترتيبنا موضوعيا.. إذ نتكلم عـن النبـوءات فيمـا يختص بتاريخ ميلاد النبي ﷺ - مثلاً؛ فنخوض فـي سـائر الكتب عن هذا الموضوع.. وهكذا.. [وإن لـم يلزمنـا هـذا بكتابة عنوان صريح بهذا، بل قد نضع عنوانًا أشتقُ من جزء من الفقرة ذاكرة النبوءة، مثل عنوان الساعة الثانية عشـرة، وهكذا].

وسيعجب القارئ حين يجد نبوءات أوضح من الشـمس في كبد السماء الكعبة، والكوثر والقرآن وخاتم النبوة بـين كتفي نبي آخر الزمان، والمصطلح "إسـلام" كمـا سـتجد

نبوءات قاطعة عن تاريخ ميلاد وصفات وألقاب، بل واسـم رسول ا ﷺ.

أغلب هذه النبوءات بكر تماما لم تذكر من قبل.

ولن أكون مبالغًا لو قلت إن هذا العمل يحتوي على "قنبلة نبوية" ولن نقول لاهوتية – حسب اصـطلاح علمـاء أهـل الكتاب – الذين قالوا عقب ظهور مخطوطات البحر الميـت، وهي مخطوطات اكتشفت في أواسط القرن العشـرين فـي كهوف البحر الميت عمرها ألفان من السنوات – قالوا فـي مؤتمر عنها عام ١٩٩١م إنها لا تحتوي على "**قنبلة لاهوتية**" لأن النصارى كانوا يطمعون أن يجـدوا فيهـا مـا ينصـر معتقدهم، ولكنهم غفلوا أو تغافلوا عن وجود "**قنبلـة نبويـة**" تؤيد تماما دعوة الإسلام وتبشر بشكل قاطع بنبي الإسلام ﷺ بتاريخ ميلاده وكثير من صفاته كوجود خاتم النبوة بين كتفيه ﷺ وغير ذلك.

أقول أيضا: لو لم يكن هنـاك قنبلـة نبويـة فـي هـذه المخطوطات، لما كتمها اليهود كل هذا الوقت كما هو معلوم، بل إنهم لا زالوا يحتفظون بجزء لا بأس به من مخطوطـات

البحر الميت لم ينشر بعد، المعلوم أن الذي نشر من المخطوطات قد نشر تحت ضغوط غريبة شديدة.

بعد ذلك نعرض نماذج لآراء غير مسلمين من علماء ومشاهير أنصفت صاحب الكتاب ﷺ أتبعناها بأمثلة لمن أسلموا منهم.. فما نعرضه في عملنا هذا ليس أول إعجاز الإسلام ولن يكون آخره.

وفي آخر هذا العمل نضع استنتاجا شاملاً لما يمكن أن يتحصلّ من هذا البحث، وذلك بفرض افتراض واختبار هذا الافتراض من الناحية المنطقية؛ ألا وهو: هل من الممكن أن يكون القرآن قد أُملي على محمد ﷺ؟

حاشاه... وهذا ما نراه بعون ا .

بعض المصطلحات

(١) الكتاب المقدس:

هو الكتاب المتعبد به عند النصارى، وقد يطلق عليـه – مجازا – الإنجيل. كما يطلق عليه في الترجمات الإنجليزيـة "Holy Bible" أي التوراة المقدسة بالرغم من أنه لا يحـوي التوراة وحدها.

ينقسم هذا الكتاب إلى جزئين أساسين:

أ- **العهد القديم:** ويحوي التوراة المقدسـة عنـد اليهـود أيضا، ولا يتفق النصارى في نصوص العهد القـديم ولا عدد الأسفار فيه؛ إذ يزيد العهـد القـديم عنـد الكاثوليك عدة أسفار لا يعتمدها البروتوستانت.

ب- **العهد الجديد**: ويحوي الأناجيل الأربعـة المعتمـدة (مرقص – متى – لوقا – يوحنـا) بالإضـافة إلـى رسائل يسمونها رسائل الرسل، كتبـت فـي العهـد المسيحي وهو بالطبع لا يعتمد عنـد اليهـود، ولـم يستخدم هذا المصطلح إلا في أواخر القرن الثـاني،

فقد نالت كتاباته رويدا رويدا منزلـة رفيعـة عنـد المسيحيين الذين ظلوا زمنًا طـويلاً لا يقدسـون إلا التوراة.

(٢) الترجوم:

هو الترجمة الآرامية للتوراة (المكتوبة أساسا بالعبريـة) وهي ليست ترجمة حرفية، بل تفسـيرية تحـوي إضـافات للتوراة العبرية وقد تحذف منها فقرات، ولا يخفي قرب لفظ "ترجوم" من كلمة "ترجمة" العربية؛ إذ أن اللغة العربية إلـى جانب اللغة الآرامية والعبرية كلها لغات سامية قريبـة فـي ألفاظها، والترجوم ليس نصا وحدا، فهناك ترجوم أونكيلوس وترجوم جوناثان (وهي النصوص السابقة للقـرآن الكـريم) كذلك هناك نصوص أخرى غيرهما لكنها كتبت بعد ظهـور الإسلام لا تعنينا هنا.

(٣) التلمود:

هو الكتاب الأكثر قداسة عند اليهود (فيما عـدا طائفتـان القرائين والسامريين). ويرونه الحـاوي للتعـاليم الشـفهية

الشارحة للتوراة والتي نقلت عن موسى – في اعتقـادهم – مثل التوراة.

يتكون التلمود من جزئين، "المشـنا" و"الجمـارا"، الأول مشتق معناه من تكرار الدرس، والثاني من تكملة الـدرس، وقد تعددت نصوص المشنا كثيرا حتى اجتمع اليهـود علـى تنقيح العالم يهوذا هاناسي الذي اعتمد أكثر ما اعتمـد علـى نسخة مئير للمشنا.

والحق أن التلمود كتاب ضخم له حجم دائـرة معـارف، كتب بلغة عبرية خاصة تسمى اللغة الربانية.

إضافة لعظم حجم التلمود فإنه ليس نصا واحدا فهناك:

(١) "التلمود الفلسطيني" ("تلمود بيت المقدس" أو "التلمود الأورشليمي") Yerushalmi Talmud (كتب من القرن الثاني إلى الخامس الميلادي). وهناك:

(٢) "التلمود البابلي" Talmud Babli وهو الأكبر والأهم وقد كتب في بابل (العراق).

إضافة لهذين النصين الأساسيين هناك ملخّصات التلمـود القديمة، مثل هالا خوث Halakoth وهو بمثابة تلمود صغير

(١٠٣٢م)، كذلك هناك اختصار العالم الشهير "موسـى بـن ميمون" (١١٨٠م) أسماه "مشناه توراة".

* هذا ولا يعني بحثنا إلا بالنصـوص السـابقة للقـرآن الكريم.

ملحوظة: كلمة تلمود من فعل (لاماد) أي تعلم بالعبرية.

(٤) الميدراش:

هو مجموعة من الكتابات اليهودية فيما بعد الميلاد تحوي دراسات لعلمائهم (الربيين) حـول التـوراة بشـكل يكـون معاصرا للناس في:

(أ) الشريعة، يسمى هنا "ميدراش هالاكه".

(ب) سير الرجال العظام المذكورين في التوراة، ويسـمى هنا "ميدراش هجاده".

(ج) تحقيق النبوءات المذكورة في الكتب المقدسة؟ وهنـا يسمى "ميدراش بيشر".

واستمرت كتابات الميدراش لعدة قـرون بعـد المـيلاد. لا يعنينا في بحثنا إلا ما كتب قبل البعثة النبوية.

(٥) الأبوكريفا Apocrypha:

الكلمة تعني في حرفيتها: "الكتب المخفية" Hidden books أو كتب "الأسرار" Secret books وهي مجموعة كتب نسبت إلى العهد الجديد (راجع مصطلح الكتـاب المقـدس) منهـا الأناجيل مثل إنجيل مـريم وإنجيـل المصـريين وإنجيـل العبرانيين وأناجيل الطفولة وغيرها، ومنها الرسائل "الراعي هرمس" و"رسالة يعقوب" اعتبرت هذه الكتب فيما بعد القرن الرابع الميلادي كتبا منحولة أو مزورة لا يسـمح بتـداولها إلا بين كبار العلماء، فهي إذن مخفية عن الناس، والعجيـب أن عددا كبيرا من هذه الكتب ظل فترة طويلة مقدسـا عنـد النصارى، فهو إذن ضمن القانون (كما يسـمونه أي يسـمح بالتعبد به) (العهد الجديد) مثل الراعـي هـرمس و"رسـالة كلمنت الأولى" و"رسالة برنابا" و"رويا بطرس" هذه الكتـب يسمونها المؤلفات الحائرة (الكتاب المقدس طبعة دار المشرق – مدخل إلى العهد الجديد ص١٠ طبعة ١٩٨٩م).

وعلى الجانب الآخر هناك العديد من الرسـائل المعتمـدة حاليا في العهد الجديد ظلت زمانًا مشـكوكًا فـي صـحتها. "فرسالة العبرانيين" أنكرت في الغرب وفي الشرق أنكر سفر الرويا ولم تقبل رسالتا يوحنا الثانية والثالثة إلا ببطء وكـذلك رسالة بطرس الثانية ورسالة يهوذا إلى أن عقد مجمـع فـي القرن الرابع في شمال أفريقيا (قرطاجنة) ألف قانونًا للعهـد الجديد الذي نعرفه اليوم ما عدا التردد في ترتيـب الأسـفار (المصدر السابق).

وقد ظهرت مخطوطات فـي أواسـط القـرن العشـرين أظهرت أن مصطلح كتب مخفية لم يقتصر على ما ذكرنـاه آنفًا فقط، فمخطوطات نجع حمادي لطائفة الغنوصيين حـوت العديد مما يسمونه الرسائل السرية Apocrypha مثل "رسالة جيمس السرية" ورسالة جون السرية" ولم يسمح لغيرها مـن الطوائف بقراءة كتبها وهكذا.

وهذا الطائفة من الكتب (الأبوكريفا) ليست كما مهملاً عند النصارى حاليا، بل إنهم يستخدمونها فـي علـوم اللاهـوت والتفسير، إلا أنهم لا يسمحون للعامة بالتعبـد بهـا، إلا مـا اعتبروه منها – في رأيهم – مدسوسا عليهم مثـل "إنجيـل

برنابا" (الذي يذكر النبي ﷺ بشكل قاطع) الذي يعنينـا فـي عملنا هذا ما اعتد به من تلك الكتب وإن لم يتعبد به، أما مـا اعتبروه قد دس عليهم فليس هذا مجالنا.

- ملحوظة: البروتوستانت يطلقون كلمة أبو كريفا علـى أسفار العهد القديم الزائدة عند الكاثوليك.

(٦) السوديبجرافا "Pseudepigrapha":

الترجمة الحرفية للكلمة تعني الكتابات الكاذبة، ويقصد بها تلك الكتب التي نسبت إلى العهد القديم (التوراة) ولم يعترف بها فيما بعد مجمع "جمنيا" (في أواخر القرن الأول الميلادي) بالرغم من أن عددا كبيرا منها قبل التاريخ – بل وبعده أيضا – كان ذا أثر بالغ وقداسة قاطعة عند طوائف عديـدة، ففـي المجمع المذكور آنفًا اعتمدت بشق الأنفس أسـفارا متنـازع عليها مثل (استير – حزقيال – نشيد الإنشاد) وكـذلك سـفر دانيال الذي اعترفت بسلطاته طائفة الفريسيين اليهودية، أمـا طائفة الصدوقين اليهودية أيضا فلم يعترفوا بـه دون شـك (المصدر السابق – المجلد الأول ص٤٩) أما بالنسبة لكتـب التوراة عند النصارى (العهد القديم) فلـم يسـلموا بمجمـع "جمنيا" اللهم إلا البروتوستانت. أما الغربيون منهم وشـمال

أفريقيا، فانتظروا حتى القرن الرابع وأقروا ما فـي مجمـع قرطاجنة المذكور من قبل. وأما الشرقيون مـنهم (الكنـائس الشرقية الناطقة باليونانية)، فلم يكن لها تنظيم شرعي علـى مر العصور إلى يومنا هذا. (المصدر السابق).

وعلى الجانب الآخر هناك كتب كانت ذات شـأن عظـيم نسبت للتوراة وحذفت من القانون (مجموع الكتب المعتمـدة) (سوديبجرافا) وإن اعترف أن لها شأنًا عظيما لبنيان المؤمن (المصدر السابق) هذه الكتـب أمثـال: (سـفر أخنـوخ – اليوبيلات – رؤيا باروك – عهود الأسباط – عهد إبراهيم – عهد موسى – رؤيا إبراهيم – كتاب آدم وحواء).

هي كتب إذن يعتد بها وإن لم يسمح بالتعبد بها، ولم يدع أحد مطلقًا أنها دست على أهل الكتاب من غيرهم [١].

(٧) مخطوطات البحر الميت:

هي أهم المخطوطات الدينية لدى اليهود والنصارى علـى الإطلاق. ذلك لقدمها (مائة سنة قبل الميلاد حتى مائة سـنة

---

(1) لمزيد من المعلومات يرجع في ذلك إلى المراجع الأتية:
"The International Standard Bible Encyclopedia".

بعد الميلاد) ولحداثة اكتشافها (من سنة ١٩٤٧م إلـى سـنة ١٩٥٨م) وكذلك لعظم حجمها (تملأ ثلاثة مجلدات كبار) [(١)].

وقد اكتشفت في كهوف قرب البحر الميت في موقع خربة "قمران" لذلك فهي تسمى أيضا "مخطوطات قمران" أو "لفائف قمران" [(٢)].

وهي تتبع طائفة يهودية هي طائفـة "الأسـينيين" التـي انعزلت عن بقية المدن اليهودية، وبنيت مدينة صغيرة فـي هذا المكان لكنها تحطمت بفعل زلزال (عام ٣١ ق. م) وأعيد بناء الموقع عام ٤ ق. م. لكن الرومان أحرقوه عـام ٦٨م. والمرجح أن أفراد هذه الملة لم يكونوا يعيشـون فـي هـذه الأبنية، بل في المغائر المجاورة وفي أكواخ أو خيـام مـن الجلود والطين [(٣)].

وقد اكتشف أول جزء من هذه المخطوطات بعض البـدو صدفة في مغارة أثناء بحثهم عن ماعز ضلت منهم، فباعوها

---

(1) "Introduction to the talmud and Midrash".

(2) Encyclopedia Judaica.

(3) الكتاب المقدس – طبعة دار المشرق ١٩٨٩م.

لبائعين سوريين حملوها لمطرانهم الأرثوذكي الـذي حملهـا بدوره إلى الولايات المتحدة عام ١٩٤٨م [١].

ثم حدث أن إسرائيل احتلت القدس والضفة الغربية عـام ١٩٦٧م. وهكذا أصبح موقع قمران والمدرسـة التوراتيـة الفرنسية ومتحف "روكفلر" أو "المتحف الوطني" في القـدس المحتوي على بقية المخطوطات التي لم ترحل لأمريكا تحت السيطرة الإسرائيلية وأصبح العلمـاء العـاملون فـي هـذه المخطوطات رهن الاختيار والسـيطرة الإسـرائيلية. ورأى سائر العلماء أن هنـاك تعمـدا وتحريضـا لتـأخير نشـر المخطوطات [٢].

ونشر هذا الاتهام في المجلات المختصة خاصة الأمريكية مثل مجلة:

"Biblical Archaeology" (اختصار BAR) التي شـنت حملة على وزارة الآثار الإسرائيلية متهمة إياها بالخمول.

---

(1) أناجيل الطفولة (القس جان دانيالو).

(2) الكنز المرصود في فضائح التلمود – د. محمد عبد ا الشرقاوي.

ودعا علماء جامعة أكسفورد إلى ندوة دولية فـي لنـدن يشارك فيها جميع الباحثين في هذه المخطوطات في لندن وقد حضر منهم اثنان فقط.

ثم حدث عام ١٩٩١ أن قررت مكتبة "هـانتجتون" فـي كاليفورنيا – أمريكا التي كانت إحدى أربع مكتبات في العالم (ثلاثة في الولايات المتحدة وواحدة في أكسفورد – انجلترا) تبين أنها تملك ميكروفيلمات للمخطوطات بالمساح للبـاحثين جميعا باستخدامها (١).

وثارت ثائرة الإسرائيليين على هذه المكتبـة؛ إذ أخلـت باتفاقها معهم (جريدة "الحياة" اللندنية. أيلول – الأحد – ملحق آفاق ١٩٩١م).

** والحق أن علماء اللاهوت والآثار والنصـارى قـد ثارت ثائرتهم؛ بسبب إخفاء تلك المخطوطات، لـيس فقـط بسبب التشوق العلمي، ولكن الأهم هو ظنهم أنها تحتوي على

---

(1) مستخلص من مقدمة كتاب "التوراة – كتابات ما بين العهـدين – مخطوطات قمران" ترجمة وتقديم: موسى ديـب خـوري – [دار الطليعة الجديدة – دمشق].

ما ينصر عقيدتهم ويخفيه اليهود، خاصة أنه في عام ١٩٩٠ قيل إن صحفيا إسرائيليا أجرى لقاء مع "سترنْجل" – من أهم العلماء الذين بحثوا في المخطوطات قبل نشرها – فتكلم وهو في حالة سكر مدبر فتهجم على اليهودية ودعا اليهود كلهـم للاهتداء إلى المسيحية، ونقل ذلك إلـى الصـحافة العالميـة ومجلة "BAR" فنقل بعد فترة وجيزة إلى مصحة للأمـراض النفسية.

فظن علماء النصارى أن هذه المخطوطات بالفعل تحـوي ما ينص على ألوهية عيسى أو غيرها من عقائدهم، فضغطوا على اليهود للإفراج عنها، لكنهم اكتشفوا أنها لا تحوي "قنبلة لاهوتية" حسب ما زعم وأعلن ذلك في مؤتمر عقـدوه فـي "الإسكوريال" في نفس عام النشر ١٩٩١م [١].

بقى أن نذكر أن هـذه المخطوطـات كتبـت بالعبريـة والآرامية وكذلك اليونانية، وبقى أيضا أن نـذكر أن اليهـود الأسينيين أصحاب هذه المخطوطات قد خرجـوا فـي هـذه الصحراء، وفي ذلك الوقت انتظارا للخلاص على يد مسـيح

(1) المصدر السابق ص٣٢.

أرضي وروحي معا، وقد عاشوا تقشفًا وزهدا مؤمنين بـا وبيوم الحساب.

الحق أننا أطلنا في الكلام عن هـذه المخطوطـات دون سواها في المصطلحات؛ وذلك لأهميتها الشديدة، ولولا جهل أغلب القراء بها لوضعناها في عنوان هذا العمل.

فإن هذه المخطوطات تحتوي بالفعل على "قنبلة" ليس كما ظن علماء اللاهوت النصارى وثبـت فشـله، لكنهـا قنبلـة إسلامية، ذلك لذكرها رسول ا ﷺ ذكرا لا ليس فيه.

فخاتم النبوة وتاريخ ميلاده ﷺ - بـأكثر مـن طريـق – وكونه ﷺ من نسل إبراهيم وفي نفس الوقت يخرج من وسط المشركين الذين يكذبونه ويحاربونـه فـي أول الأمـر ثـم يتبعونه، وكونه ﷺ محرر أبناء إبراهيم من الوثنية كل هـذا وغيره يذكر في مخطوطات البحر الميت.

(٨) مخطوطات نجع حمادي:

هي مجموعة مخطوطات اكتشفت قريبا من بلـدة نجـع حمادي في صعيد مصر عام ١٩٤٥م، بطريقة تكاد تتطـابق

مع الطريقة الغربية التي اكتشفت بهـا مخطوطـات البحـر الميت.

تلك المخطوطات تتبع طائفة نصرانية منقرضـة تسـمى "الغنوص" Gnostic. عاشت هذه الطائفة من قبل القرن الرابع الميلادي، وانقرضت فيه، وقد كتبت هذه المخطوطات باللغة القبطية واليونانية، وهي تحوي العديد من الأناجيل المختلفـة عن الأناجيل المعتمدة عند النصارى حاليـا، مثـل إنجيـل "توماس" وإنجيل "فيليب" وإنجيل "مريم" وإنجيل "المصريين". كذلك بها العديد من الرسائل السرية (أي لا يسمح بـاطلاع الطوائف الأخرى عليها).

هذه الكتب تحتوي على كثير من التفاصيل تختلف تمامـا مع الأناجيل المعتمدة، وفي نفس الوقت تتفـق مـع القـرآن الكريم!!! مثل إتيان الملائكة بالطعام لمريم، ومثـل إيـواء عيسى وأمه إلى ربوة قرارٍ ومعين، وكلام عيسى في المهد، وغير ذلك.

طائفة الغنوص صاحبة المخطوطات اضطهدت مع دخول روما في النصرانية، فرحلت وتركت مخطوطاتهـا.. هـذه

الطائفة كان عندها تثليث يختلف عن تثليث النصارى الحالي؛ إذ كانوا يقولون: بالأب والابن والأم!!

الذي يهمنا في هذه المخطوطات أن بها ذكرا للرسول ﷺ؛ إذ نجدها تذكر – متفردة من بين كل النصوص الأخـرى – المثل القرآني للنبي ﷺ وصحبه.. ﴿ **ومـثَلُهم فِـي الإِنْجِيـل كَزرعٍ أَخْرج شَطْأَه فَآزره فَاستَغْلَظَ فَاستَوى علَى سـوقِهِ** ﴾ [الفتح:٢٩] [١].

(1) يرجع في المعلومات السابقة إلى: James M. Robinson "The Nag Hammadi Library"

الباب الأول

محمد ﷺ في أسفار السابقين

(أ) تاريخ ميلاده وملكه وعلاماتهما

الساعة ١٢

﴿ **ولما جاءهم كِتَاب من عِنْدِ ا ـ مصدقٌ لما معهم وكانُوا مِن قَبلُ يستَفْتِحون على الذِين كفَروا فَلما جاءهم ما عرفُوا كفَروا بِهِ فَلعنَةُ ا ـ على الْكافِرين** ﴾ [البقرة: ٨٩].

ذكر القرآن الكريم أن أهل الكتاب كان مكتوبـا عنـدهم زمان خروج نبي آخر الزمان، بل إنهـم كـانوا يغيظـون المشركين قبل مولد النبي ﷺ بقرب مبعثه، يقولون قد أظلنـا زمان نبي نتبعه ونقتلكم قتل عاد وإرم (في معنى ما رواه ابن كثير في تفسيره عن قتادة).

والحق أن بعض علماء مقارنة الأديان من المسلمين قـد خاضوا من قبل في هذا الموضوع، وذكروا نصوصـا فـي الكتاب المقدس تشير في رأيهم إلى زمان خروج النبي الآخر ﷺ، وقد خاضوا في هذا الأمر على وجهين:

الأول: الإخبار بعلامات مجيء وزمان ليس محددا تحديدا دقيقًا وقد أصابوا فيه.

والوجه الثاني: هو التحديـد الـدقيق لتـاريخ المـيلاد أو البعثة.

أما الوجه الأول: فلم يتعد نبوءة في العهد الجديد (الأناجيل والرسائل الملحقة بها) على لسان المسيح عيسى... يتكلم فيها عن علامات مجيء المسيح المنتظر، يفسرها النصارى على أنها علامات عودة عيسى إلى الدنيا مرة أخرى، والحـق أن العهد الجديد من عادته أن ينسب كل نبوءة وردت من قبـل في العهد القديم (التوراة) عن النبي المنتظر، ولم تتحقق فـي عيسى، ويقول سيتحقق هذا حين يعود عيسى إلى الدنيا مـرة أخرى، ويسمون هذا "المجيء الثاني". تقول النبـوءة وهـي آخر حديث لعيسى مع أتباعه: "وخروج يسوع مـن الهيكـل فدنا إليه تلاميذه، وهو سائر يستوقفون نظـره علـى أبنيـة الهيكل، فأجابهم: أترون هذا كله؟ الحق أقول لكم: لن يتـرك هنا حجر على حجر من غير أن ينقض، وبينما هو جالس في جبل الزيتون دنا منه تلاميذه فانفردوا به وسألوه: قل لنا متى تكون هذه الأمور وما علامة مجيئك ونهاية العالم؟ فأجـابهم يسوع: إياكم أن يضلكم أحد، فسوف يأتي كثير مـن النـاس منتحلين اسمي يقولون: أنا هـو المسـيح ويضـلون أناسـا

كثيرين، وستسمعون بالحروب وبإشاعات عن الحروب فإياكم أن تفزعوا، فلابد من حدوثها، ولكن لا تكون النهاية عندئـذ؛ فستقوم أمة على أمة، ومملكة على مملكة، وتحدث مجاعات وزلازل في أماكن كثيـرة، وهـذا كلـه بـدء المخـاض، وستسلمون عندئذٍ إلى الضيق وتقتلـون، ويبغضـكم جميـع الوثنيين من أجل اسمي.

فيعثر أناس كثيرون، ويسلم بعضهم بعضا ويتباغضـون، ويظهر كثير من الأنبياء الكذابين ويضلّون أناسـا كثيـرين، ويزداد الإثم، فتفتر المحبة في أكثر الناس، والذي يثبت إلى النهاية فذاك الذي يخلص، وستعلن بشارة الملكوت هذه فـي المعمور كلّه شهادة لدى الوثنيين أجمعـين، وحينئـذ تـأتي النهاية؛ فإذا رأيتم المخرب الشنيع الذي تكلـم عليـه النبـي دانيال قائما في المكان المقدس ليفهم القارئ، فليهـرب إلـى الجبال من كان عندئذ في اليهودية، ومن كان على السطح فلا ينزل ليأخذ ما في بيته. ومن كان في الحقل فلا يرتـد إلـى الوراء ليأخذ رداءه. الويل للحوامل والمرضعات فـي تلـك الأيام. صلّوا لئلا يكون هربكم في الشتاء أو فـي السـبت، فستحدث عنذئذ شدة عظيمة لم يحدث مثلها منذ بدء الخليفـة

إلى اليوم، ولن يحدث، ولو لم تقصر تلك الأيام، لما نجا أحد من البشر، ولكن من أجل المختارين، ستقصر تلك الأيام، فإذا قال لكم عندئذ أحد من الناس: ها هو ذا المسيح هنا، بل هنا، فلا تصدقوه، فسيظهر مسحاء دجالون وأنبياء كذابون، يأتون بآيات عظيمة وأعاجيب حتى إنهم يضلون المختارين أنفسهم لو أمكن الأمر. فها إنّي قد أنبأتكم، فإن قيل لكم: ها هـو ذا في البرية فلا تخرجوا إليها، أو ها هو ذا في المخـابئ فـلا تصدقوا، وكما أن البرق يخرج من المشرق ويلمـع حتـى المغرب، فكذلك يكون مجيء ابن الإنسان؛ وحيـث الجيفـة تتجمع النسور. وعلى إثر الشدة في تلك الأيام، تظلم الشمس والقمر لا يرسل ضوءه وتتساقط النجوم السـماء وتتزعـزع قوات السماء وتظهر عندئذ في السماء آيـة ابـن الإنسـان. فتنتحب جميع قبائل الأرض، وترى ابن الإنسان آتيـا علـى غمام السماء في تمام العزة والجلال، ويرسل ملائكته ومعهم البوق الكبير، فيجمعون من التينة خذوا العبرة: فـإذا لانـت أغصانها ونبتت أوراقها علمتم أن الصيف قريب وكذلك أنتم، إذا رأيتم هذه الأمور كلها، فاعلموا أن ابن الإنسـان قريـب على الأبواب. الحق أقول لكم: لن يزول هذا الجيـل حتـى

تحدث هذه الأمور كلهـا (؟!) السـماء والأرض تـزولان، وكلامي لن يزول، فأما ذلك اليوم وتلك الساعة، فما من أحد يعلمها، لا ملائكة السـماوات ولا الابـن إلا الأب وحـده". (إنجيل متى ٢٤: ١ – ٢٧).

آثرنا إلا أن نذكر هذه النبوءة بتمامها لأهميتها وتفردها – وهي كما ترى تشير إلى علامات مجـيء "ابـن الإنسـان" صاحب "ملكوت السماء" الذي أشار إليه النبي دانيـال فـي سفره في العهد القديم "التوراة"، وقد ذكرنا من قبل أن العهـد الجديد يحول كل نبوءة في العهد القديم عن نبي آخر الزمان، لتتطابق مع المسيح عيسى ابن مريم.

وهذه هي العلامات هي:

١- هدم هيكل سليمان.

٢- ظهور أنبياء كذبة.

٣- قيام الحروب.

٤- حدوث مجاعة وأوبئة وزلازل وبراكين.

٥- اضطهاد الأمم لأتباع المسيح عيسى.

٦- انتشار الإنجيل.

٧ – حدوث رجسة الضراب التي أنبأ عنها "دانيال" فـي سفره في التوراة [١].

قبل أن نغوص قليلاً في شرح هذه العلامـات، يجـب أن نعلم أن تفسيرها عند النصارى لن يتعدى اثنين، الأول: هـو تأسيس ملكوت السماء وهو عندهم في اليوم الخمسـين مـن صعود المسيح؛ وهذا ينقضه أن كل هذه العلامات لم تحـدث قبل اليوم الخمسين، ولعل الدافع لهذا التفسير عندهم هو آخر علامة (لن يزول هذا الجيل). أما التفسير الثاني: فهـو كمـا أسلفنا الإشارة إلى المجيء الثاني للمسيح؛ وهذا ينقضه قوله "لن يزول هذا الجيل حتى تحدث هذه الأمور" لأن هذه أحداث تستغرق عقودا بل قرونًا من السنوات ولم يأت المسيح بظنهم بعد.

- **أول هذه العلامات:** "لن يترك هنا حجر علـى حجـر" فيشير إلى هدم الهيكل (هيكل سليمان) وقد حدث علـى يـد "تيتوس" ثم "ادريانوس" الرومانيين عام ٩٠ ثم ١٣٥ ميلاديا.

---

(1) مستخلص من كتاب "البشارة ببني الإسلام في التوراة والإنجيل" د. أحمد حجازي السقا. ص١٨٩ – ٢١٠.

- **العلامة الثانية:** ظهور أنبياء كذبة وقد حدث هذا؛ حيث يذكر المؤرخ اليهودي الشهير "يوسيفوس" – في كتابه الـذي أنهاه في نهاية القرن الأول الميلادي – "ثوداس" الذي ادعـى ذلك لنفسه، وقد ذكره أيضا "لوقا" في سفر الأعمال، كما ذكر لوقا أيضا "مدعي آخر هو يهوذا الجليلي، ثم ظهر بعد ذلـك بزمان كل من "مونتاس" و "ماني" وقد ادعى كل منهما أنـه "الفاراقليط" [المعزى] الذي ذكر يوحنا في إنجيله.

- **العلامة الثالثة:** حدوث حرب، وقـد حـدثت ثـورات يهودية فأخمدتها روما تماما بحربين عامي سبعين و١٣٥م.

- **العلامات اللاحقة:** حدوث مجاعات وأوبئة وزلازل، ثم اضطهاد الأمم لأتباع المسيح، ثم انتشار الإنجيل (لعله يقصد انتشار ملكوت السماء الذي هو المملكة الإلهية أي مملكة آخر الزمان) كل هذا قد حدث.

- **أما علامة "رجسة الضراب"** أو المضرب الشنيع فـي المكان المقدس، فلعل أقرب ما فُسر به عند النصـارى هـو إقامة مذبح لأحد آلهة الروم الوثنيين في الهيكل بعد هدمـه، وقد حدث.

أما الوجه الثاني في الإخبار بعلامات زمان خروج النبي ﷺ في كتاب أهل الكتاب – عند الكُتاب المسـلمين – وهـو التحديد الدقيق في "الكتب القانونية" أي "الكتاب المقدس" عنـد الكُتاب المسلمين، فالحق أنه فيه بعض المبالغـات، الإسـلام ليس مضطرا لها.

* أما ذلك التحديد الدقيق لهذا الزمان فلا نجـده إلا فـي كُتـب أخـرى قديمـة لا تطبـع كثيـرا ولا يهـتم بهـا إلا المتخصصون، بعضها لم نجده إلا متأخرا جدا (أواسـط القرن العشرين). هذه الكتب يعتد بها تماما عن أهل الكتـاب (وإن لم يتعبد بها) فهم مكتشفوها وحائزوها ولم يدع مـنهم مدعٍ أنها قد دست عليهم من غيرهم.

* ومن فضل الله علي أن يسر لي قراءة كتاب من كُتـب السوديبيجرافا "Pseudepigrapha" [1] اسمه "رؤيا إبـراهيم" Apocalypse of Abraham كتب هذا الكتاب في القرن الأول أو الثاني الميلادي [2]، رغم ذلك أقدم مخطوطاته تعود للقرن

---

(1) انظر "بعض المصطلحات" في بداية هذا العمل.

(2) "The old testament Pseudepigrapha" P. 681

الرابع عشر الميلادي [١] (ولم يعرف في الأوسـاط العلميـة إلا في القرن الحادي عشر أو الثاني عشـر) أي أنـه ظـل مجهولاً لما لا يقل عن عشرة قرون [٢] ولا يوجد له سـوى ترجمة واحدة أي نص واحد باللغة السلافية [٣] فلا يعقل مثلاً أن يقول قائل إن محمدا ﷺ تحصل على نسخة من هذا الكتاب قبلنا وأدرك تلك الصدفة وذلك التطابق بينه وبين الشخصـية صاحبة النبوءة فاعتزم ادعاء النبوة!!.

(... يحكي هذا الكتاب قصة معراج لنبـي ا إبـراهيم؛ حيث رأى فيما رأى أحفادا له يعبدون أصناما داخل هيكـل عظيم، وله جمال المعبد السماوي القـائم تحـت عـرش ا "البيت المعمور" يقدمون لها ذبائح بشرية [٤]. ونتيجـة لهـذه الجريمة ينتقم ا منهم ببعثه علـيهم جيشًـا مـن الـوثنيين يحرقون هذا المعبد ويقتلون بعضهم (بعض أحفاد إبـراهيم)

---

(1) مثل رقم (٢).

(2) المرجع السابق.

(3) مثل (٢).

(4) الفصل (٢٥) من رؤيا إبراهيم.

ويأسرون الباقين [1]، ثم يخرج ا في الساعة الثانية عشـرة (الساعة تمثل قرنًا من الزمان كما ذكر الفصل ٢٨) من هذه الحادثة رجلاً من نسل إبراهيم من وسط الوثنيين يعيد السيادة للموحدين؛ يهان ويضرب في أول الأمر من الـوثنيين ثـم يثقون فيه ويعززونه، وسوف يتبعه بعـض أبنـاء إبـراهيم ويهينه ويضربه بعضهم أيضا [2]، وهو محرر أبناء إبراهيم من الوثنية [3]....).

لا جدال أن هذه القصة تتحدث عن النبي المنتظر الـذي يظهر في الساعة الثانية عشرة أي القرن الثاني عشر (بتفسير الكتاب نفسه) من تاريخ خراب شامل لليهود فما هـو هـذا الخراب؟ ومتى حدث؟

---

(1) الفصل (٢٧).

(2) الفصل (٢٩).

(3) الفصل (٢٩).

أمامنا ثلاثة احتمالات:

١- سقوط السامرة ومملكة إسرائيل (الشمالية) في يد شلمنأسر ملك آشور وسبي أهلها (سفر الملوك الثاني. الإصحاح ١٦ – الكتاب المقدس).

٢- سقوط أورشليم (القدس) نفسها في يد "نبوخذ نصر" ملك بابل وسبي أهلها أيضا؛ نتيجة عبادتهم الأوثان وتقديم القرابين، بل والذبائح البشرية لها، فيدخل ذلك الملك أورشليم ويهدم هيكل اليهود ويقتل بعضهم ويسبي الآخرين – هذه الحادثة من أهم الأحداث في تاريخ اليهود – (سفر الملوك الثاني، الإصحاح ٢١ – ٢٥).

"وبنى (الملك منَسى) في دراري هيكل الرب مذابح لكل كواكب السماء. وأجار ابنه في النار... ونصب تمثال "عشتاروث" الذي صنعه في الهيكل.. فارتكبوا (بنو إسرائيل) ما هو أقبح ما ترتكبه الأمم التي طردها الرب. (إصحاح ٢١: ٥ – ٩).. وأضلّ يهوذا فجعله يأثم بعبادة أصنامه، لذلك يقول الرب إله إسرائيل: ها أنا أجاب شرا على أورشليم ويهوذا.. وأمسح أورشليم من الوجود.. وأنبذ بقية شعبي

وأسلمهم إلى أيدي أعدائهم، فيصبحون غنيمة وأسرى لهـم.. (إصحاح ٢١: ١١ – ١٥)... ثم تذكر التوراة ستة ملوك بعد "منسى" واحد فقط منهم "عمل ما هو صالح في عيني الرب"، أما الخمسة الباقون فكل واحد "ارتكب الشر في عين الـرب" وتبعهم الشعب، فكانت النتيجة التي تنبأت بها التوراة "وفـي اليوم.. من حكم الملك" نبوخـذ نصـر" ملـك بابـل، قـدم "نبوزرادان" قائد الحرس الملكي من بابـل إلـى أورشـليم وأحرق الهيكل.. وكل منازل العظمـاء، وهـدمت جيـوش الكلدانيين... جميع أسوار أورشليم وسبي "نبوزرادان" بقيـة الشعب واستولدوا أيضا على القدور والرفـوش والمقـاص والصمود وجميع آنية النحاس التي كانت تستخدم في الهيكل (إصحاح ٢٥: ٨ – ١٤).

٣- الاحتمال الثالث هو تدمير الهيكل على يد الرومـان، وحرثه في القرن الأول والثـاني المـيلادي، وهـذه الحادثة أيضا من أهم الأحداث في تاريخ اليهود.

أما الاحتمال الأول فيرفض لأنه لم يهدم فيه الهيكل كمـا ذكرت هذه النبوءة، وأما الاحتمال الأخير، فيرفض أيضا لأنه لم يحدث نتيجة عبادة اليهود للأوثان.

لم يبق أمامنا سوى الاحتمال الثاني، لأنه الوحيـد الـذي حقق جميع الشروط؛ إذ حدث نتيجة عبادة الأوثـان وتقـديم الذبائح البشرية لها، وكذلك حدث فيه السبي وهـدم الهيكـل العظيم، وهذا ما تقوله التوراة أيضا عقب عبادة بني إسرائيل للأصنام في عهد الملك "منسى" (ملوك الثاني:٢١:١١– ١٥).

يبقى أمامنا الجزء الثاني من السؤال؟ متى حـدث ذلـك الخراب؟ لم يذكر أي كتاب من كتب تاريخ اليهود والتـوراة تاريخًا بعد القرن السادس قبل الميلاد [1].

ذكرنا من قبل أن النبي المنتظر (حسـب نبوءتنـا هـذه) يظهر في القرن الثاني عشر من هذه الحادثة. إذن يظهر في القرن السادس الميلادي (ستة قبل الميلاد وستة بعد الميلاد).

ومن المعروف تماما أن نبي الإسلام ﷺ قد ولد عام ٥٧٠ أو ٥٧١ ميلاديا، أي في القرن السادس الميلادي.

والغريب أن بقية الصفات التي ذكرتها النبـوءة تتطـابق تماما مع صفاته عليه الصلاة والسلام؛ إذ أنه ﷺ خرج مـن

---

(1) ٥٨٧ ق. م. "جدول تاريخي" في مقدمة الكتاب المقدس طبعة الآباء اليسوعيين ١٩٨٩م – دار المشرق.

وسط المشركين (وهو من نسل إبراهيم) ثم أهانـه العـرب المشركون ثم اتّبعوه، وقد اتّبعه بعض أبناء إبراهيم (العـرب أبناء إسماعيل) وبعض اليهود (من أبناء إسـحاق) ورفضـه وأهانه بعض أبناء إبراهيم (اليهود). كما أنه هو ﷺ محـرر أبناء إبراهيم من الوثنية، بل إن التاريخ بطولـه لـم يشـهد محررا للبشرية كلها من الوثنية مثل "محمد ﷺ".

And the Angel took me with his right hand and set me on the right wing of the pigeon and he himself sat on the left wing of the turtle dove…. (p. 696 – ch – 16).

And I will explain to you what will be; and every thing that will be in the last days. Look now at every thing in the picture… (said the Angel) (p. 701 – ch. 24) – I saw there the likeness of the idol of jealousy; like a carpenter's figure such as my father used to make. And its body was of glittering copper; and before it a man; and he was worshipping it. And (there was) an altar opposite it and boys being slaughtered on it in the face of the Idol. And I said to him: "What is this idol, or what is the altar, or who are those being scarificed, or who is the sacrificer, or what is the handsome temple which I see the art and beauty of your glory that lies beneath your throne?...

[God said Abraham] because the people who will come to me out of you will make me angry. (chapter 25).. And I looked and saw… a crowd of heathens ran out and they captured the men, women, and children… and some they slaughtered and others they kept with

them… and They burned the temple with fire; and they plundered the holy thing that were in it. And I said; "Eternal one; the people you received from me are being robbed by the hordes of the heathen. They are Killing some and holding others as aliens… and He said to me; "listen; Abraham; all that you have seen will happen On account of your seed who will (continually) provoke me because of the body which you saw and the murder in that was depicted in the temple of jealousy (chapter 27).. and one hour of the age will also be one hundered years… (ch. 28)… And I said: Eternal mighty one!

How long a time is an hour of the age? And he said. "I decreed to keep twelve periods of the impious age among the heathens and among your seed and what you have seen will be until the end of the time…

And I looked and saw man going out from the left; the heathen side. From the side of the heathen went out men and woman and children a great crowd; and they worshipped him… and I said' Eternal Mighty one! Who is this man insulted and beaten be the heathen. And He answered and said "Hear Abraham; the man whom you saw insulted and beaten and again worshipped is the liberation from the heathen for the people who will be (born) from you. In the last days, in this twelfth hour of impiety, in the twelfth period of the age of my fulfillment, I will set up this man from your tribe. … many of the heathen will trust in him. And those of your seed… some insulting him, some beating him, and others worshipping him, many of them shall be offended because of him, It is he who will test those of

your seed who have worshipped him in the fulfillment of the twelfth hour. (chapter 29) ["the Old Testament pseudepigrapha" (charles) p. 681.

"وأخذني الملاك بيده اليمنى وأجلسني على الجناح الأيمن لليمامة (الإلهية)، العابرة للسماوات، وجلس هو على جناحها الأيسر... (الفصل ١٥)..

(قال الملاك:) سوف أشرح لك ما سيكون في نهاية الأيام. انظر في الصورة.. (الفصل ٢٤)..

(يقول إبراهيم:) ورأيت هنـاك وثنًـا كالـذي يصـنعه النجارون، مثل الذي كان يصنعه أبي، وقد صنع من النحاس المتألق، أمامه رجل يتعبده، وكان هناك مذبحا أمـام الصـنم وقد ذبح أمامه أطفال، وسألت الملاك: ما هذا الوثن، وما هذا المذبح من المضحي بالقربان – ومن المضحى به؟ أو ما هذا المعبد البارع الذي يشبه في فنه وجماله ذلك المعبـد تحـت عرش ا (البيت المعمور)؟.. وقال الرب لإبـراهيم:.. لأن أناسا يخرجون من نسلك سوف يغضبونني. (فصـل ٢٥).. ورأيت جمعا مـن الـوثنيين يأسـرون الرجـال والنسـاء والأطفال.. وقد ذبحوا بعضهم وأبقوا على الآخرين معهـم.. وقد أحرقوا المعبد ونهبوا متعلقاته المقدسة. قلـت يـا رب:

الشعب الذي خرج من نسلي نُهب من شـعوب المشـركين يقتلون بعضهم ويجعلون الآخرين أغرابا، وقال لي الـرب: أنصت يا إبراهيم كل ما رأيته سوف يحدث بسبب نسلك الذي سوف يستمر في إغضابي بسبب الحسد الذي رأيت والقتـل الذي كان أمام أصنام فـي معبـد الغيـرة. (فصـل ٢٧)... والساعة من الزمان سوف تساوي مائة عام.. (فصل ٢٨).. وقلت: يا رب إلى متى سوف يستمر هذا؟ وقال الرب: لقـد قضيت بإبقاء اثني عشر مدة من أزمنة العقوق بين المشركين وبين نسلك والذي رأيت سوف يستمر إلى نهاية الوقت... ثم رأيت رجلاً يخرج من وسط المشركين من ناحية الـوثنيين، رأيت جمعا كبيرا من الرجال والنساء والأطفـال، وجمعـا كبيرا، يعبدونني (يعبدون ا)... وقلت: يـا رب مـن هـذا الرجل الذي أُهين وضرب من الوثنيين؟ وأجاب الـرب: يـا إبراهيم، الرجل الذي رأيته يهان ويضرب ثم يبجل هو الذي سيريح الشعب من الوثنيين الذين يولدون من صلبك في الأيام الأخيرة، في الساعة الثانية عشرة من العقوق، فـي الفتـرة الثانية عشرة من زمن التحقيق عندي، سوف أقيم هذا الرجل من نسلك، كثير من الوثنيين سوف يثقون فيه، وأولئك الذين

من صلبك.. سوف يهينونه، وبعضهم يضربونه، وبعضـهم يعظمونه وكثيرون منهم سوف يأثمون بسببه.

إنه هو الذي سوف يختبر نسلك الذي بجلوه في الســاعة الثانية عشرة من إنفاذ الوعد. (الفصل ٢٩)... وعندها سأنفخ من أعلى السماء البوق وأرسل مصطفاي الذين سيكون ثمـة فيه مقدار من كل قدرتي، وسـيدعو هـذا الأخيـر شـعبي المضطهد من الوثنيين وسأحرق بالنار الـذين يكونـون قـد اضطهدوهم وساروا عليهم خلال الـدهر، وسأسـلم الـذين يكونون قد غطوني بالشتائم إلى عقاب الدهر الآتي، لأننـي خصصتهم ليكونوا طعاما لنار الجحيم.." (فصل ٣١).

هذه ترجمة بمجهود شخصي من النص السابق مدعومـة بترجمة عربية فريدة – هي الأول من نوعها – لمخطوطات البحر الميت نقلاً عن نص فرنسي "التوراة: كتابات ما بـين العهدين" – دار الطليعة الجديدة – دمشق – ترجمة: موسـى ديب خوري.. ذكر معد هذا الكتاب (الفرنسي) تعليقًـا علـى هذه الفقرة أن المقطع كله غامض.. لأنه يفترض في الواقـع أن الإنسان المعبود (المبجل) من الجماهير الوثنية، أي يسوع في هذه الحالة، هو نفسه وثني الأصل" ص٥٩٧ جزء٣..

تعليقنا: مبعث الغموض واللبس عند هذا المتـرجم هـو إصراره أن يكون المقصود بالنبوة عيسى (يسـوع)، وهـو بالطبع نشأ وسط موحدين ولم يلتق بالوثنيين، كما أنه أخطـأ في فهم نص النبوءة في أن صاحب النبوءة وثنـي الأصـل طالما يخرج من صفوف الوثنيين، وهـذا خطـأ – المعنـى الصحيح أنه يخرج من وسطهم ولا يشترط هـذا أن يكـون منهم.. ولو أن المترجم تذكر أن "محمدا" هو الوحيـد الـذي خرج من وسط المشركين وهو من نسل إبراهيم وهو محطم الوثنية الأكبر لزال عنه هذا الغموض وهذا اللبس.

يعضد هذا ويقويه تماما ما تذكره التوراة (شعيا ٤٢: ١٧) من علاقة النبي المنتظر بالقضاء علـى عبـادة الأصـنام، وسنذكر ذلك بإذن ا في أواخر فصل شعيا ٤٢ من عملنـا هذا.

* * *

٢٥٠ أسبوعا

ليست النبوءة السابقة هي البشارة الوحيدة لزمـان مـيلاد أو مجيء النبي المنتظر، بل هناك نبوءة أخرى نجدها فـي كتاب آخر من كتب "السوديبيجرفا" [١]. هـو كتـاب "عهـد موسى" The Testament Of Moses يحكي هذا الكتاب عـن إعطاء موسى لتابعه يوشع بن نون كتابا قبل موته ينبئ بمـا سيحدث لليهود في العصور اللاحقة، فيتحدث عن خراب أول لليهود نتيجة فساد على يد ملك من المشرق؛ حيـث يحـرق معبدهم العظيم ويسبيهم لـبلاده، ثـم يعيـدهم ا لـلأرض الموعودة على يد ملك يرأف بهم، ويعاد بناء الهيكل ويمدهم ا بالبنين والنفير، لكن الإسرائيليين يعودون لمعصـية ا ، فيبعث عليهم ملكًا من المغرب، فيخرب بيت المقدس خرابـا ثانيا، ويحرق جزءا من الهيكل المقدس، وهذا الخراب الثاني أشد من الخراب الأول، ثم تمر بعض الأحداث ثـم يظهـر

(1) انظر "بعض المصطلحات" في أول هذا العمل.

النبي المنتظر ومملكته (دولته) الإلهية بعد ٢٥٠ أسـبوعا [1] من وفاة موسى عليه السلام.

اكتشف هذا الكتاب عام ١٨٦١م فـي مدينـة "ميلانـو" الإيطاليـة داخـل مكتبـة "Ambrosian Library" تعـود مخطوطته إلى القرن السادس الميلادي – أي أنه ظل مجهولاً عن أصحابه أكثر من ثلاثة عشر قرنًا من الزمان – ولم نجد حتى الآن سوى هذه المخطوطة لهذا الكتـاب، وقـد كُتبـت باللاتينية عن أصل عبري أو آرامي كتب في القـرن الأول الميلادي. ويرجح العلماء أن يكون تابعـا لطائفـة اليهـود الأسينيين. نقلاً عن مقدمة هذا الكتاب في:

"The Old Testament Pseudepigrapha"

يفهم من تاريخ هذا الكتاب أنه يستحيل على محمد ﷺ أن يكون قد اطلع على هذه المخطوطة الوحيدة التـي افتقـدها أهل عقيدتها من ثلاثة عشر إلى ثمانية عشـر قرنًـا مـن الزمان فقرأها بلغتها أو قُرأت له، فاكتشف هـذه الصـدفة

---

(1) هذه النبوءة الرقمية نجدها أيضا في التلمود (سنهدرين ٩٧) وفـي كتاب: (The assumptions of Moses) (11: 12)

العجيبة والآية الرهيبة في زمان خروج هذا النبي عند أهل الكتاب وزمانه فادعى النبوة وأخبر اليهود والنصـارى أن ذلك مكتوبا عندهم!!

- هذه النبوءة فيها الكثير من المباحـث. أولهـا وقبـل الخوض في أية تفاصيل بشائرية، أنها تذكرنا تماما بأوائـل سورة الإسراء:

﴿ **وقَضينَا إِلَى بنِي إِسرائِيلَ فِي الْكِتَـابِ لَتُفْسِـدن فِـي الأَرضِ مرتَين ولَتَعلُن علُوا كَبِيرا * فَإِذَا جاء وعد أُولاهمـا بعثْنَا علَيكُم عِبادا لَنَا أُولِي بأْسٍ شَدِيدٍ فَجاسوا خِلالَ الـديارِ وكَان وعدا مفْعولاً * ثُم رددنَا لَكُم الْكَرةَ علَيهِم وأَمـددنَاكُم بِأَموالٍ وبنِين وجعلْنَاكُم أَكْثَر نَفِيرا * إِن أَحسـنْتُم أَحسـنْتُم لأَنْفُسِكُم وإِن أَسأْتُم فَلَها فَإِذَا جاء وعد الآخِـرةِ لِيسـوءوا وجوهكُم ولِيدخُلُوا الْمسجِد كَما دخَلُوه أَولَ مرةٍ ولِيتَبروا ما علَوا تَتْبِيرا * عسى ربكُم أَن يـرحمكُم وإِن عـدتم عـدنَا وجعلْنَا جهنم لِلْكَافِرِين حصِيرا** ﴾ [الإسراء: ٤ – ٨].

وقد اختلف المفسرون في هذه الآيـات: فريـق فسـرها تفسيرا مستقبليا؛ أي أن المسلمين هم عباد ا الـذي دخلـوا المسجد (بيت المقدس) أول مرة، وسوف يدخلونه مرة أخرى

قرب الآخرة، وفريق آخر فسرها على أنها أحداث مضـت، لكنهم اختلفوا في الفرق المنتصرة على اليهود.

قبل الخوض في أي التفسيرين أقرب للصواب يجب علينا تفسير نبوءة الكتاب الأول "The Testment Of Moses" مـن التوراة نفسها. الخراب الأول الذي حدث على يد ملـك مـن الشرق لن يعدو (وخراب المملكة الإسرائيلية الشمالية على يد الملك الآشوري شلمناسر (ملوك ثـاني ١٧: مـن التـوراة) أو خراب مملكة يهوذا الجنوبية على يد نبوخذ نصر البـابلي (ملوك ثاني ٢١: من التوراة) كلا الملكين من الشرق (شرق فلسطين لكن المرجح جدا هو الملك البابلي، لأن تلك الحادثة أعظم وأشهر، وهي التي خرب فيها الهيكـل كمـا ذكـرت النبوءة (لم نذكر في ملخصنا لكتاب عهد موسى أن السبي قد حدث لسبط يهوذا – وهـذا يؤيـد أن الملـك البـابلي هـو المقصود).

وأما الخراب الثاني فلا يمكن أن يكون إلا ذلك الذي حدث على يد قياصرة الروم عام ٧٠م القيصـر طـيطس، وعـام

١٣٥م القيصر هارديان [1]، وهم ملوك مـن الغـرب كمـا ذكرت النبوءة، وقد هدموا الهيكل مرة أخرى كمـا ذكـرت أيضا. (ينظر "جدول تاريخي" في مقدمة الكتـاب المقـدس طبعة دار الشروق).

- نعود مرة أخرى إلى تفسير الفقرة القرآنية سالفة الذكر. فقد رأينا أن التوراة وكتب التاريخ تقول بأن الخـراب الأول قد حدث على يد البابليين، وأن الثاني حدث على يد الرومان. **والعجيب أن التوراة أطلقت لقب عبد ا [2] علـى الفـاتح البابلي وهذا يتوافق مع وصف القرآن بالمنتصرين أول مرة على اليهود ﴿ عِبادا لنَا أُولِي بأْس شَدِيدٍ ﴾ بل طلب النبـي**

(1) خراب هادريان هو المرجح لأنه كان أشد، وسـيق اليهـود فـي أسرى. ذلك هو أيضا رأي د. علي عبد الواحد وافي فـي كتابـه "اليهودية واليهود"؛ إذ يرى أن الخراب الأول الذي يعنيه القـرآن هو خراب بختنصـر، وأن الثـاني خـراب هادريـان ص١١٦، ص١١٧.

(2) "لذلك هكذا يقول الرب القدير: لأنكم عصيتم كلامي، فها أنا أجنـد جميع قبائل الشمال بقيادة نبوخذ نصر عبدي" (أرميا ٢٥: ٩).

أرميا من اليهود عدم مقاومة [1] الفاتح البابلي لأن ا هو الذي بعثه. لعل هذا يرد على بعض المفسـرين المسـلمين الذين رأوا إطلاق لفظ ﴿ **عِبادا لنَا** ﴾ = "عباد ا " دليلاً على أن المنتصرين أول مرة على اليهود هم المسلمون؛ إذ أن لفظ عباد ا أو عباد الرحمن [2] لا يطلـق إلا علـى المنقـادين لطاعة ا ، وقد أطلق القرآن هذا اللفظ على الكـافرين فـي الآخرة [3]؛ إذ إنهم لا يملكون آنئذ إلا طاعة ا . فما المـانع أن يكون "نبوخذ نصر" قد خرج لحرب اليهود بأمر مـن ا وإن كان كافرا لتأديب اليهود. عندئذ يصح إطلاق لقب عباد ا على أفراد جيشه. هذا عن استخدام لفظ ﴿ **عِبادا لنَا** ﴾ = "عباد ا " للمنتصرين أول مرة على اليهود.

العجيب في الفقرة القرآنية ذكر أن اليهود بعد انتصـارهم على هازميهم أول مرة؛ قد صاروا أكثر نفيرا أي معينًا، وقد

---

(1) أرميا ٢٧.

(2) سورة الفرقان ٦٣.

(3) ﴿ **ويوم يحشُرهم وما يعبدون من دون ا ـ فَيقُولُ أَأَنْتُم أَضلَلْتُم عِبادِي هـؤُلاءِ أَم هم ضلوا السبِيلَ** ﴾ [الفرقان: ١٧].

ذكرت التوراة أن اليهود قد عادوا من سبي بابـل بمعونـة الملك الفارسي "كورش" [١].

هذا يجعلنا نرجح تماما التفسير القائل بأن الحـدثين قـد مضيا، وأن المخرب الأول هم البابليون، والمخرب الثاني هم الرومان عام ٧٠م [٢]. يؤيد ذلك أيضا قوله تعالى بعد سرده تلك القصة: ﴿ **عسى ربكُم أن يرحمكُم وإن عدتم عدنَا** ﴾ أي: إن ا تعالى قد يعود بخراب جديـد لهـم غيـر الخـرابين المذكورين. في تلك الفقـرة بالـذات: ﴿ **عسـى ربكُـم أن يرحمكُم**﴾ لعله يريد أن يقول لهـم: إن لـم تؤمنـوا بـالنبي المنتظر المكتوب عندكم الذي يخرج بعد الخرابين (كما ذكر كتاب "The Testament Of Moses").

سوف نعود لعذابكم. ومن الغريـب أن يقـول القـرآن: ﴿**وقَضينَا إِلَى بني إِسرائيلَ فِي الْكِتَـابِ** ﴾ ثم نقرأ في كتـاب عهد موسى أن تلك النبوءة قد تركها موسى ليوشع مكتوبـة في كتاب.

---

(1) "التوراة – أنبا الأيام الثاني (٣٦: ٢٢ – ٢٣).

(2) يتوافق هذا مع رأي الدكتور علي عبد الواحد وافي في كتابه.

* إذن هذه الفقرة القرآنية آية ٤ – ٨ من سورة الإسراء تكاد تتطابق مع كتاب "عهد موسى" الذي لم نجـده إلا فـي القرن التاسع عشر.

* أما عن ذكر زمن خروج النبي المنتظر – وهـذا هـو موضوعنا – فكتاب عهد موسى يذكر أولاً أن النبي المنتظر لن يخرج قبل الخراب الثـاني أي بعـد عـام ١٣٥م كمـا ذكرنا[١].

بل إن كتاب "عهد موسى" قد حدد "السبع سنين" التي يولد فيها ذلك النبي؛ إذ يقول موسى ليوشع إن نبي آخر الزمـان لن يظهر قبل مرور "٢٥٠ أسبوعا" من وفاتـه – أي وفـاة

(1) يفهم ذلك أيضا من إنجيل متـى ٢٤ : ١٥ - ٣٥؛ حيـث ينبـئ المسيح عيسى بخراب آخر لهيكل اليهود، ثم بوضع رجـس فـي الهيكل، وهي أصنام الرومان (تفسير جون وسلي) ثم ظهور دايـن الإنسان (تفسيره النبي المنتظر فـي التـوراة) لكـن المسـيحيين يفسرونه على أنه المجيء الثاني للمسيح عيسى (حسب اعتقـادهم) مع أن رجسة الخراب هذه قد ذكرت في التوراة (دانيـال ٩) فـي معرض الكلام عن زمن خروج النبي المنتظر.

موسى – والأسبوع في كتب نبوءات اليهـود تعنـي سـبع سنين[1] يكون المجموع إذن ١٧٥٠ سنة.

وقد قالت النبوءة إنه سيمر ٢٥٠ أسبوعا (من السنين) بعد موت موسى، حتى يظهر نبي آخر الزمان؛ أي إن نبي آخر الزمان سيولد في الأسبوع الـ ٢٥١ أي خلال الفترة ١٧٥٠ إلى ١٧٥٧ من وفاة موسى عليه السلام.

وقد حاولت إيجاد تاريخ وفاة موسى من مـيلاد المسـيح عيسى، فلم أجده محسوبا، لكني وجـدت مفتاحـا لحسـابه ألا وهو تاريخ وفاة الفرعون رمسيس الثاني الـذي لا يكـاد يختلف فيه المؤرخون من المسيحيين واليهود، على أنه هـو فرعون موسى – لينظر على سبيل المثال "جدول تـاريخي" في مقدمة الكتاب المقدس طبعة دار الشروق – كما وجـدت في دائرة المعارف اليهودية "Judaica" في بـاب Ramses II تاريخ وفاة هذا الفرعون وهو ١٢٢٣ ق. م. ولابد أن يكون موسى قد مات بعد ذلك بأربعين عاما على الأقل (زمن التيه

(1) The Apocryaha and Pseudepigrapha of the old Testament, (Charles) p. 423 (تفسير جون ورسلي).

كما ذكر في القرآن [المائدة: ٢٦] وسفر العدد فـي التـوراة ١٤: ٣٣) إذن ١٢٢٣ – ٤٠ = ١١٨٣.

إذن فقد مات موسى عليـه السـلام عـام ١١٨٣ ق. م. أو بعده بقليل، ولو أردنا حساب تاريخ ميلاد النبي المنتظـر من ميلاد المسيح عيسى، نطرح تاريخ وفاة موسى (١١٨٣) من تاريخ الميلاد للنبي المنتظر في النبوءة ١٧٥٠ – ١٧٥٧ فيكون ميلاد ذاك النبي:

١٧٥٠ – ١١٨٣ = ٥٦٧م.

١٧٥٧ – ١١٨٣ = ٥٧٤م.

وبين عام ٥٦٧م إلى عام ٥٧٤م.

والمعلوم أن نبي الإسلام عليه الصلاة والسلام قد ولد عام ٥٧٠م أي خلال تلك الفترة.

النص الإنجليزي:

"then Moses spoke to Joshua this word:…, but (you) take this writing so that later you will remember how to preserve the books which I shall entrust to you… (chapter 1: 10, 16)… they will offer their some to foreign gods and they will set up idols in the temple… (chapter 2: 8)… In those days a king against them from the east and (his) cavalry will overrun their land. And

will fire he will burn their city with the holy temple of the lord and he will carry off all the holy vesssels. And he will exile all the people and will lead them to his own land, yea the two tribes he will take with him.

(chapter 31 – 1 – 3)… then God will remember them because of the covenant which he made with their fathers… And in those time he will inspire a king to have pity on them and send them home to their own land…. But the ten tribes will grow and spread out among the nations during the time of their captivity. (chapter: 5 – 9) And when the times of exposure come near and punishment arises through kings who (though) sharing their crimes yet punish them.. consequently the word was fulfilled that they will avoid justice and approach iniquity (chapter 5: 1 – 3).. and a powerful king of the west shall come, who shall conquer them, and he shall take them captives, and a part of their temple he will burn with fire. He will crucify some of the around their calony. (chapter 6: 8, 9)… And there shall come upon them a second visitation and wrath.. He will stir up against them the king of the kings of the east.. (ch. 8: 1, 2)… behold a second punishment has befallen the people.. exceeding the former one. (ch. 9: 2) then his kingdom will appear throughout his while creation. Then the evil will have an end.. (ch. 10: 1).. for from my death and burial until his coming there will

pass 250 times (c c 1 times) [i. e. 250 year weaks, or 1750 years] (ch. 10: 11 – pages 422, 423) (١).

"ثم تكلم موسى ليوشع:... خذ هذا الكتاب حتى تتـذكروا فيما بعد كيف تحفظوا الكتب التي أعهد بها إليكم... (فصـل ١: ١٠، ١٦)... سوف يقدمون أبناءهم قرابين لآلهة غريبـة وسوف يقيمون أوثانًا في المعبد... (فصل ٢: ٨)... في هذه الأيام سيقوم عليهم ملك من الشرق، وسوف تحتاج جيوشـه أراضيهم، وبالنار سوف يحرق مدينتهم مـع معبـد الـرب المقدس، وسوف يحمل معه الآنية المقدسة، وسوف يجلي كل الشعب ويقودهم لأرضه.. القبيلتان سـوف يأخـذهم معـه. (فصل ٣: ١ – ٣)... ثم يتذكرهم الرب بسبب عهـده مـع آبائهم... وفي هذه الأيام سيلهم الرب ملكًا، ليعطـف علـيهم ويعيدهم لأرضهم.. لكن القبائل العشرة سوف تكبر وتنتشـر في الأمم خلال وقت السـبي (فصـل ٤: ٥ – ٩) وجـيش يقترب زمن التخلي (عنهم) ويتصاعد العقاب من خلال ملوك

(1) The Apocrypha and Pseudepigrapha of the old testament" (Chalres)

يشاركونهم جرائمهم... تباعا تتحقق الكلمة من أنهم سـوف يتجنبون العدل ويصلون للظلم (فصل ٥: ١ – ٣).

وسوف يأتي ملك قوي من الغرب، يغـزوهم ويأخـذهم أسرى، وسوف يحرم جزءا من معبـدهم، سـوف يصـاب بعضهم أمام قبائلهم (فصل ٦: ٨، ٩)... ثـم تـأتي علـيهم زيارة ثانية وغضب إلهي... سوف يثير عليهم ملك ملـوك الأرض.. (فصل ٨: ١، ٢).. انظروا، عقابا ثانيا سوف يقع للشعب.. يفوق العقاب الأول (فصل ٨: ١، ٢)، ثـم تظهـر مملكته (مملكة ا) في كل مكان من خلقه، ثم ينتهي الشر.. (فصل ١٠: ١)... لأنه من دفني (دفن موسى) حتى مجيئـه (مجيء نبي آخر الزمان سوف يمر مئتان وخمسـون زمنًـا [أي ٢٥٠ أسبوعا من السنين أي ١٧٥٠ سنة: التعليق مـن كتـاب "Charles" نفسـه] (فصـل ١٠: ١١ – ص٤٢٢ – ٤٢٣) [1] [الترجمة من عندنا].

---

(1) The Apocrypha and Pseudepigrapha of the old testament" (Chalres)

في مخطوطات البحر الميت:

وجدت نسخة من هذا الكتاب "عهد موسـى" أو "وصـية موسى" في مخطوطات البحر الميت والتي أفرج عنها منـذ عام ١٩٩٢م.

والنص لا يختلف كثيرا عن المخطوطة التي وجدت فـي المكتبة الأمبروزية في ميلانو بإيطاليا والتي ذكرناها آنفًـا. منها..

١، ٢ – وصية موسى التي كتبهـا فـي السـنة المائـة والعشرين من حياته... والآن سيدخلون بفضلك إلى الأرض التي قـرر ووعـد أن يعطيهـا لآبـائهم.. وستنشئ لهم مملكة.. [وخلال أربع] سيعملان ضـد ميثاق الرب ويدنسان القسم الذي عقده الرب معهما، وسيضحيان بأبنائهما لآلهـة غريبـة، وسينصـبان أصناما في الخيمة ويخدمانهما.

٣- وفي هذه الأيام سيأتي ملك مـن الشـرق ضـدهم، وسيغطي فرسانه بلادهم، ويحرق مسـتعمرتهم مـع هيكل الرب المقدس، وسينهب الآنية المقدسة كلها.

٥- وعندنا ستقترب أزمنة الدينونة.. يذلون خاف الآلهـة الغريبة.

٦-.. وستحتاج أراضيهم كتائب ماك قوي مـن الغـرب سيبغضهم ويسخطهم في الأسر، وسيحرق جزء مـن هيكلهم، وسيصاب بعضا حول مستعمرتهم..

١٠-.. وأنت يا يشوع يا ابن نافي، احفظ هذه العبـارات وهذا الكتاب؛ لأنه منذ موتي واستقبالي، وحتى مجيئه سيمر مائتان وخمسون زمنًا، [يقول مترجم الـنص: موسى ديب الخوري: ٢٥٠ أسبوعا من السنوات أي ١٧٥٠ سنة: نقلاً عن كتاب "مخطوطات قمـران – البحر الميت" الجزء الثاني].

* * *

مملكة ا "الدولة الإلهية"

ذكر في آخر النبوءة السابقة المدونة فـي كتـاب "عهـد موسى".. "ثم تظهر مملكته (مملكة ا) في كل مكـان مـن خلقه".

فما هي مملكة ا ؟

وما هي علاماتها؟

مملكة ا أو مملكة الرب أو مملكة السماء في التـوراة، كل هذا يعني بلا ريب الدولة التي تحكم بشرع ا ، ويعـيش فيها المؤمنون به وبكتبه وأنبيائه ويقتفون أثـرهم؛ هـي إذن الدولة الإلهية.. يؤيد ذلك النصوص الآتيـة: "... اصـطفى سليمان ابني ليجلس على عرش ملك الرب علـى إسـرائيل (أخبار أيام أول ٢٨: ٥).

"عرشك يا ا إلى دهر الدهور وصولجان ملكك عـادل ومستقيم (مزامير ٤٥: ٦).

ومثل ذلك كثير في العهد القديم (التوراة). وقد وردت في الأصل بصـيغة "مملكـة" كمـا وردت بصـيغة "ملكوتـا" الأرامي[١] وصيغة "ملكوت".

أما في العهد الجديد (الأناجيل والرسائل الملحقة) فلم ترد إلا بصيغة المبالغة "ملكوت" في الترجمات العربية ذلـك لأن مفهوم مملكة السماء عندهم أنها روحية غيـر ماديـة فـي تناقض واضح مع العهد القديم.. ويدعون أن المسيح عيسـى "طلب من تلاميذه ومن غيرهم ألا يظهروه، لوجود الفرق بين الهوة السحيقة بين ما كان يعتقده اليهود عن المسيا، وبين ما يفهمه هو من عمل المسيا.. وعندما يموت ويقدم في مجـد؛ عندئذٍ يستطيع التلاميذ أن يعلنوه أنه هو المسيا المخلص [٢]. ويا له من رأي عجيب أليس من عمل الأنبياء توضيح الأمور المبهمة للناس أم العكس. وأليس من عمل الكتب السـماوية ذلك أيضا؟ ثم لماذا يقبل النصارى هذا التناقض الواضح في العهد القديم (التوراة) ومع ذلك يقدسونه ويضـمونه لكتـابهم

---

(1) "ملكوت ا " د. فهيم عزيز ص١٠.

(2) المصدر السابق: ص١٦٨ – ١٦٩.

المقدس؟ والأعجب أنهم يتكلمون بعد ذلك عن فقـرات فـي العهد القديم تتكلم عن مسيح متألم [شعيا ٥٢: ١٣، ٥٣: ١٢] ويقولون هذه إشارة لصلبه وتألمه؟! أليس هناك معنى للألـم إلا الصلب.. ثم لماذا الآن توضح التوراة هذا، وتنـاقض أن مملكة ا روحية حسب زعمهم.

يجدر بنا أن نشير إلى قـول النصـارى فـي ملكـوت السماوات ليس واحدا.. بل هناك ما لا يقـل عـن خمسـة أقوال:

فمنهم من قال: إن المسيح عيسى لم يظهر الملكوت، بـل تنبأ به ومنهم من يقول إنه أعلنه كحقيقة واقعة [1].

ومنهم من يراه سلطان المسيح المستمر بالصليب ومـنهم من يراه الضمير، ومنهم من يراه نزول الروح القدس علـى جماعتهم في اليوم الخمسين لرفع المسيح، ومنهم من يرى أنه لم ينو إقامة مجتمع أرضي "ملك أرضي" ومنهم مـن يـرى (سابقي الألف سنة) أنه جاء ليقيم ملكوت ا علـى الأرض "وحاول ذلك بكل جهده، ولكن لأسباب دينية واجتماعية كف

(1) المصدر السابق: ص٣٣.

عن هذه المحاولة لأنه لم يستطع إقامته، فأجل الملكوت إلى حكم الألف سنة عند مجيئه الثاني وأقام الكنيسة بدلاً منه" [١].

ثم يختلفون في هذا الرأي الأخير.. هل يأتي المسيح بعد الألف سنة أم قبلها؟! [٢].

أما الاختلاف الأكبر فيأتي من طائفة اليسوعيين الذين يروا – وحدهم – أن الملكوت ماديا وقد تحقق وهو الدولة البيزنطية.

يتضح مما سبق كم تلبس الأمر على النصارى في هذا المجال (تفسير "مملكة ا ") وكم هو غامض ذلك لأنهم بعدوا عن التفسير الحق. فهي الدولة الإلهية التي يقيمها نبي آخر الزمان، وتلتزم بشرع ا ويعيش فيها الموحدون توحيدا خالصا.

أما عن علامات وتاريخ هذا الملك الرباني، وهو السؤال الذي بدأنا به هذا الفصل، وقد تكلمنا قبله مباشرة عن تاريخ

(1) المصدر السابق: ص٢٠٥.

(2) المصدر السابق: ص٢٤٨.

ميلاد نبي آخر الزمان ونبوءات ذلـك.. ونـتكلم الآن عـن نبوءات تاريخ ملك نبي آخر الزمان.

وهو أوضح ما يكون في التوراة في سفر دانيال:

الفصل الثاني، الأعداد ٣١ – ٤٥: "رأيت أيها الملك وإذا بتمثال عظيم ضخم كثير البهائم واقفًا أمامك وكـان منظـره هائلا، وكان رأس التمثال من ذهب نقي، وصدره وذراعـاه من فضة، وبطنه وفخذاه من نحاس، وساقاه من حديد، وقدماه خليط من حديد ومن خزف. وبينما أنت في الرؤيـا انقـض حجر لم يقطع بيد إنسان، وضـرب التمثـال علـى قدميـه المصنوعتين من خليط الحديد والخزف فسـحقهما، فـتحطم الحديد والخزف والنحاس والفضة والذهب معا، وانسـحقت وصارت كعصافة البيدر في الصيف، فحملتها الريح حتى لم يبق لها أثر. أما الحجر الذي ضرب التمثال فتحول إلى جبل كبير وملأ الأرض كلها. هذا هو الحلم.

فما تفسيره فهذا ما نخبر به الملك: أنت أيها الملـك هـو ملك الملوك، لأن إله السماوات أنعم عليـه بمملكـة وقـدرة وسلطان ومجد، وولاك وسلطك على كل ما يسـكنه أبنـاء البشر ووحوش البر وطيور السماء، فأنت الرأس الذي مـن

ذهب، ثم لا تلبث أن تقوم من بعدك مملكة أخرى أقل شأنًا منك، وتليها مملكة ثالثة أخرى ممثلة بالنحاس، فتسود على كل الأرض، ثم تعقبها مملكة رابعة صلبة كالحديد الذي يدق ويسحق كل شيء، وكما رأيت أن القدمين والأصابع هي خليط من خزف وحديد، فإن المملكة تكون منقسمة فيكون فيها من قوة الحديد، بمقدار ما شاهدت فيها من الحديد مختلطًا بالخزف.

وكما أن أصابع القدمين بعضها من حديد والبعض من خزف، فإن بعض المملكة يكون صلبا والبعض الآخر هشًا، وكما رأيت الحديد مختلطًا بخزف الطين، فإن هذه المملكة تعقد صلات زواج مع ممالك الناس الأخرى، إنما لا يلتحمون معا، كما أن الحديد لا يختلط بالخزف، **وفي عهد هؤلاء الملوك يقيم إله السماوات مملكته لا تنقرض إلى الأبد، ولا يترك ملكها لشعب آخر، وتسحق وتبيد جميع هذه الممالك. أما هي فتخلد إلى الأبد".**

يشرح النبي دانيال هنا ويفسر حلما للملك نبوخذ نصر البابلي الذي خرب أورشليم – بيت المقدس – في القرن السادس قبل الميلاد وأخذ اليهود سبايا، لم يختلف مفسر قديم

أو حديث والمحدثين في تفسير الممالك الأخرى؛ حيث يفسر علماء الكتاب الحاليين المملكة الثانية بمملكة فارس والثالثة مملكة ميديا [١] (مع أن فارس وميديا مملكة واحدة) والمملكة الرابعة مملكة اليونان. اختلف على هذا التفسير من المحدثين الطبعة القديمة لطبعة اليسوعيين للكتاب المقدس؛ حيث يرون المملكة الثانية هي مملكة فارس وميديا [٢] والمملكة الثالثة اليونان والرابعة الرومان. وهذا التفسير الأخير يتفق وكتب الآباء الأولين [٣] وكتب السوديبيجرافا، ففي سفر عزرا الرابع [٤]، وهو سفر هام دخل في نص من أهم نصوص

---

(1) حواشي الكتاب المقدس – دار المشرق الطبعة ١٩٨٩.

(2) حواشي الكتاب المقدس – دار المشرق ١٩٨٦.

(3) "كيرلس الأورشليمي (٣١٤م – ٣٨٧م) – العظات – رابطة معاهد اللاهوت في الشرق الأوسط – تعريب الأب جورج منصور. ص١٩٦ (العصا من حديد (من٢/ ٧ – ٩) ترمز بوضوح إلى المملكة الرومانية التي يتحدث عنها دانيال أيضا).

(4) The Apocrypha and Pesudepigrapah of the old testament" (Chalres)

أهم نصوص سفر عزرا الرابع النص اللاتيني، ويوجه كذلك السرياني والأثيوبي والعربي والآرامي أقدم مخطوطاته ترجع للقرن التاسع، =

العهد القديم (الفولجاتا – النص اللاتيني) – كملحق – لكنه اختفى في النصوص اللاحقة [١].

في هذا السفر، تفسر لنا رؤيا رآها عزرا نفسه؛ حيث رأى نسرا يخرج من البحر، هذا النسر فسر على أنه المملكة الرابعة التي تكلم عنها دانيال (سفر عزرا الرابع – الفصل ١٢ العدد ١١ – ١٣) والنسر كما نعلم هو رمز الإمبراطورية الرومانية.

وهذا أيضا تفسير العلامة "تشارلز" الذي استعرنا من كتابه نصوص سفر عزرا الرابع (ص ٥٦٩).

بل إن التلمود نفسه "T. B. Aboda Zara Ib" أول تلك المملكة الرابعة على أنها الإمبراطورية الرومانية [٢].

=

وقد كتب في الأصل بالعبرية عام ١٠٠م (مقدمة هذا السفر في الكتاب سالف الذكر).

(1) المرجع السابق – ص٥٤٢.

(2) المرجع السابق – ص٦١٣ (هامش).

ومن الكتب الأخرى التي تذكر أن المملكة الرابعـة هـي الإمبراطورية الرومانية التـي سـيحطمها النبـي المنتظـر "الميدراش" "بسكيتا رباتي" (٨٨، ٥ – ٦) وكتـاب المـؤرخ اليهودي القديم "يوسيفوس" العاديات اليهودية" الجزء الثـاني (٥/ ٢). كذلك "ترجوم يروشالمي" (تكوين ٤٠، ٢٠).

(Vol. II. P. 62. The legends Of the Jews)

* لماذا إذن يفسر مفسرو العصر الحالي من علماء أهـل الكتاب المملكة الرابعة على أنها المملكة اليونانية، مخـالفين في ذلك كتبهم المقدسة وشبه المقدسة؟

= يتضح من نص دانيـال (٢/ ٣١ – ٤٥) أن المملكـة الرابعة ستتحطم على يد مملكة السماء (دولة النبي المنتظر)، فلما رأى اليهود المعاصرون لنهاية الإمبراطورية الرومانيـة وما بعدها أن الإمبراطورية قد تحطمت دون أن يظهر المسيا (حسب اعتقادهم) قالوا: إن المملكة الرابعة لم تأت بعد. كذلك النصارى قبل تحطيم الإمبراطورية قـالوا: سـيأتي يسـوع (المسيح عيسى) مرة أخرى ليحطم الإمبراطورية الرومانيـة (المملكة الرابعة حسب دانيال ٢ و٧).

مثل هذا القول نجده في كتابات الآباء الأقدمين؛ كيـرلس الأورشليمي على سبيل المثال – فلما انتهت الإمبراطوريـة دون المجيء الثاني للمسيح عيسى لم يعد مقبـولاً أن تكـون الدولة الرومانية هي مملكـة دانيـال الرابعـة، وإلا صـار محطموها – وهم غير المسيحيين – أتباع النبي المنتظر، ولم يعد يسوع نفسه المسيا المنتظر فقالوا بتفسيرين:

التفسير الأول: المملكة الأولى عند دانيال هي بابل، والثانية فارس، والثالثة ميديا (وفرقوا بين فـارس وميديا مع أنهما مملكة واحدة). والرابعـة اليونان – وهذا التفسير هو الأشهر الآن.

التفسير الثاني: المملكة الرابعة هي فعلاً الدولة الرومانية.

وتحطمت فعلاً على يد أتباع يسوع.. ولكن كيف؟

بأن تحطمت الوثنية وانتصرت المسيحية في تلك الدولة... ذلك الرأي نجده في هامش دانيال ٢: ٤٤ – ٤٥ في الكتـاب المقدس طبعة دار المشرق ١٩٨٦ – وهـذا التفسـير يكـاد ينقرض الآن.

= الواقع والتاريخ يقولان إذن إن المملكة الرابعة التـي تكلم عنها دانيال هي الإمبراطورية الرومانية.

فمن تكون مملكة إله السماء التي تكلم عنها دانيال فـي نهاية النبوءة؟

إنها الدولة التي حطمت الدولة الرومانية. فمن تكون؟

التاريخ يقول إنها الدولة الإسلامية. على ذلك هي دولـة النبي المنتظر الذي يجب أن يكون إذن محمدا ﷺ.

** = نبوءة دانيال هذه وبتفسيرها الذي فسرنا له ما يؤيد في كتاب آخر من الكتب السابقة للإسلام، الزندافستا (الكتاب المقدس عند الزرادشتية – المجوس)؛ حيـث يمثـل تطـور مستقبل الإمبراطورية الفارسية والديانة الزرادشتية بفـروع شجرة مكونة من معادن مختلفة (مثل نبوءة دانيال). الفـرع الأول من ذهب يمثل العصر الـذهبي وهـو حكـم الملـك Gushtasp، الفروع الفضية والفولاذية ترمز لهرم (انحـدار) الإمبراطورية. أما الفرع الحديدي فيرمز للكارثـة العظيمـة التي ستغمر ليس الإمبراطورية الفارسية وديانتها وحدها، بل العالم كله سوى انتصار الحق والفضيلة في آخر الزمـان [١]

---

(1) P. 423: Dhalla: History of Zoroastrianism. By t. 1, 2 – 5; 2. 14 (Zend Avesta)

أي أن الحق والفضيلة سينتصران في آخـر الزمـان علـى الديانة الزرادشتية وإمبراطوريتها والممالك الأخرى.

الغريب أن يصف كتاب الزرادشـتية المقـدس محطـم إمبراطوريتها بالحق والفضيلة.

من حطم الإمبراطورية الفارسية تماما، والممالك الكبرى المعاصرة لها؟ إنه جيش العرب، إنه جيش محمد ﷺ.

إنه جيش الحق والفضيلة (كما تصفه كتب الزرادشتية).

= كما أن نبوءة خلافة العرب لملوك الفرس قد وردت في كتاب الصابئة المقدس، "الكنزه ربه" فـي الكتـاب الثـامن العشر[١]. كما ذكر في نفس الكتاب، كنـزه ربـه أن ملِـك العرب المسمى (سيهولدايو) أي تالي الأنبياء يخرج في زمن ملك الفرس أزدجر [٢].

* * *

(1) "الصائبة المندائيون" ص٦٥ – الليدي دراور.

(2) "مندالي" ص٢٦ – عبد الحميد بن بكر.

(ب) أمثلة ملكه ﷺ

اللبنة

"مثلي في النبيين كمثل رجل بني دارا، فأحسنها وأكملها وأجملها وترك فيها موضع لبنة لم يضعها، فجعل الناس يطوفون بالبنيان، ويعجبون منه ويقولون: لو تم موضع هذه اللبنة، فأنا في النبيين موضع تلك اللبنة" [(١)].

تكلمت نبوءة دانيال المذكورة في الفصل السابق "تحطيم الممالك" عن حجر متميز يحطم التمثال الذي يمثل الممالك القديمة – كما فسر نفس النبوءة ".. وبينما أنت في الرؤيا انقض حجر لم يقطع بيد إنسان، وضرب التمثال على قدميه

---

(1) رواه ابن حنبل والترمذي عن ابن أبي كعب، والبخاري ومسلم والترمذي عن جابر، وابن حنبل ومسلم والبخاري عن أبي هريرة (صحيح الجامع الصغير ص ١٠١٩).

- في إحدى تلك الروايات نجد "في زاوية من زواياه" بعد كلمة "اللبنة".

المصنوعتين من خليط الحديد والخزف فسحقهما، فتحطم الحديد والخزف والنحاس والفضة والذهب معا...".

هذا الحجر يمثل مملكة ا (مملكة النبي المنتظر).. ".. وفي عهد الملوك يقيم إله السماوات مملكة لا تنقرض إلى الأبد، ولا يترك ملكها لشعب آخر، وتسحق وتبيد جميع هذه الممالك. أما هي فتخلد إلى الأبد".

الواقع أن هذا الحجر المميز أو في معنى أخر قريب "اللبنة" كما ذكر الحديث النبوي المذكور أعلاه، سنجده يتكرر في مواضع كثيرة من العهد القديم والعهد الجديد وفي كتاب الصابئة المقدس "الكنزاربا".

ففي إنجيل متى ٢١: ٤٢ – ٤٤ "ألم تقرءوا في الكتاب: الحجر الذي رفضه البناءون هو نفسه صار حجر الزاوية الأساسي..

إن ملكوت ا سينزع من أيديكم ويسلم إلى شعب يؤدي ثمره؛ فأي من يقع على هذا الحجر يتكسر، ومن يقع الحجر عليه يسحقه سحقًا".

هذه الفقرة بلا شك تشير إلى المزمـور ١١٨: ٢٢ فـي العهد القديم: "الحجر الذي رفضه البناءون قـد صـار رأس الزاوية".

الملفت للنظر هنا وصف الحجر بكونـه رأس الزاويـة، وذلك كما أشارت إحدى روايات الحديث النبوي سالف الذكر "إلا موضع لبنة في زاوية من زواياه".

** = أما الكنزاربا، كتاب ديانة الصابئة المقدس، فأورد نبوءة عجيبة عن تلك اللبنة: ففي ديوان "حران كويثة" يجعل لحكم العرب ٤٠٠٠ سنة قبل المسيح الكذاب، ولكنه يطابقـه في قوله: "بأن اللبنة في الجدار ستنادي بـه" [(١)] أي تنـادي بحكم العرب.

- إذن اللبنة كما ذكرها الحديث النبوي لها أربع قـرائن في المزامير ودانيال وإنجيل متى وكتاب الصابئة المقـدس. وإن كان كتاب الصابئة أشد صراحة في نسبة هذا الحجـر أو اللبنة للعرب.

---

(١) الصابئة المندائيون" ص٤٥ تأليف الليدي دراور.

لكن النص الموجود في إنجيل متى كذلك يشير لنبي مـن غير اليهود "إن ملكوت ا سينزع منكم" وهذه الغيرية تتفـق مع حجر الزاوية المرفوض أي من غيرهم أيضا".

* * *

زرع أخرج شطأه

﴿ **محمد رسولُ ا ـِ والذِين معه أَشِداء علَى الْكُفارِ رحماء بينَهم تَراهم ركعا سجدا يبتَغُون فَضلاً مـن ا ـِ ورِضـوانًا سِيماهم فِي وجوهِهِم من أَثَرِ السجودِ ذَلِك مثَلُهم فِي التوراةِ ومثَلُهم فِي الإِنْجِيلِ كَزرعٍ أَخْرج شَـطْأَه فَـآزره فَاسـتَغْلَظَ فَاستَوى علَى سوقِهِ يعجِب الزراع لِيغِيظَ بِهِم الْكُفار وعد ا ُ الذِين آمنُوا وعمِلُوا الصالِحاتِ مِنْهم مغْفِرةً وأَجرا عظِيما** ﴾ [الفتح: ٢٩].

قبل أن نخوض في المثلين يستلفت نظرنا المصطلح الذي عبر به عن الدولة الإلهية ﴿ **محمد رسولُ ا ـِ والذِين معه** ﴾ فهذا المصطلح استعمل في كتب اليهود القديمة، كما أسلفنا في فصل "مملكة ا الدولة الإلهية".

على سـبيل المثـال، كتـاب عـزرا الرابـع (٤: ٢٨) (المسيا... (الذين معه) كذلك في كتاب "الزندافتسا" المقدس

عند الزرادشتية (المجوس) نجد دائما كلاما كثيرا عن "النبي المنتظر ورفاقه".. "Soshyos And His Companions"[١].

تتكلم الآية السابقة عن مثلين للنبي ﷺ وأصحابه (الدولـة الإلهية) يتحدى ا بوجودهما في كتب السـابقين: التـوراة والإنجيل.

أما المثل الأول فنجده بالفعل في كتاب من كتب التـوراة (العهد القديم) ألا وهو المزامير (١٤٩) في نبوءة عن أتبـاع المسيح المنتظر (باتفاق مفسري الكتاب المقـدس) "ليسـبحوا اسمه بالرقص، ليرنموا له على عزف الـدف والعـود [٢]: الرب يسر بشعبه، يجمل الودعاء بالخلاص ليبتهج الأتقيـاء بهذا المجد. يرنمون على أسرتهم [٣]. ليهتفوا مسبحين الرب ملئ أفواههم، وليتقلدوا بسيف ذي حدين في أيـديهم، لتنفيـذ الانتقام في الأمم، ومعاقبة الشعوب" (١٤٩: ٣ – ٧) أولئـك

---

(١) History of Zoroasterianism "P. 423 – 431."

(2) هذه الفقرة لا نجدها في القرآن بالطبع.

(3) تذكرنا بقوله تعالى:﴿**الذين يذكرون ا َ قياما وقعودا وعلى جنُـوبهم** ...﴾ [آل عمران: ١٩١].

"المسبحين الرب ملئ أفواههم" وفي نفس الوقـت "يتقلـدون بسيف ذي حدين" [١] هم "الأشداء على الكفار" وفـي نفـس الوقت "رحماء [٢] بينهم تراهم ركعا سجدا".

أما المثل الثاني في الآية القرآنية السابقة ﴿ **ومـثَلُهم فِـي الإِنْجِيلِ كَزرعٍ أَخْرج شَطْأَه** ﴾ فكنا نرى مثلاً قريبا منه فـي أناجيل متى ومرقص ولوقا ألا وهو مثل بذرة الخردل، "وقال الرب: ماذا يشبه ملكوت ا [٣]؟ وبماذا أشبهه؟ إنـه يشـبه

---

(1) ذلك السيف كان مشهورا عند العرب.

(2) الرحماء هم الودعاء حسب النص التوراتي (المزامير ١٤٩).

(3) مع أن العهد القديم يفهم منه تماما أن مملكة ا أو ملكوت ا هـو دولة ا أو الدولة الإلهية".. لأن الـرب رزقنـي بنـين كثيـرين اصطفى سليمان ابني ليجلس على عرش ملك الرب على إسرائيل" (أخبار أيام أول ٢٨ : ٥)، وإذا ذكرت مملكة ا في صيغة نبوءة قصد بها تلك الدولة التي يقيمها نبي آخر الزمان، مزامير ٤٥: ٦ ومزامير ١١٤٥: ١١ – ١٣ وغيرها. ورغم ذلك يفسرها بعـض النصارى (على أنها جنة سماوية لا مجال للمجتمـع فيهـا بينمـا يفسرها فريق آخر (الألفين Premillennium) على أنها مملكـة أرضية سوف يقيمها المسيح عيسى عندما يجـيء ثانيـة حسـب =

بذرة خردل أخذها إنسان وألقاها في بستانه، فنبتت وصارت شجرة عظيمة، وأوت طيور السماء في أغصانها" (لوقا ١٣: ١٨، ١٩).

* أما الآن وبعد اكتشاف مخطوطات نجع حمـادي عـام ١٩٤٥م. (أي بعد وفاته ﷺ بأكثر من ١٣ قرنًا) فقد وجدنا في إحدى تلك المخطوطات [(١)] تشبيها يكاد يتطابق مـع المثـل

=

اعتقـادهم "ملكـوت ا ": د. فهـيم عزيـز ص٢٠٤ وص٢٠٥ (بتصرف).

(1) مخطوطات نجع حمادي دفنت في القرن الرابع المـيلادي وتتبـع طائفة الغنوص Gnostic المسيحية المنقرضة (يراجع في ذلك أية دائرة معارف حديثة) تلك الطائفة كان عندها تثليث يختلـف عـن تثليث النصارى الحالي؛ إذ كان عندهم الأب والابن والأم لا الروح القدس.

(The Nag Hammadi Library – J. M. Robinson p. 208)

وقد كتبت تلك المخطوطات في القرن الأول والثاني الميلادي في الأصل باليونانية ثم ترجمت إلى القبطية (اللغة التي وجدت مكتوبة بها) في عدد من الأماكن في مصر، وقد استغرقت عملية الترجمة هذه أكثر من قرن من الزمان (المرجع السابق ص١٤)، وقد دفنت

=

القرآني. **تلك المخطوطة هي "رسالة جيمس السرية"** "The Apocryphon Of James". [1] **(حيث يشبه المؤلف مملكـة السماء – وهي دولة المسيح المنتظر،** انظر الهامش رقم ٣ – **يشبهها بنخلة خرج منها برعم (شطأ – فراخ) ثم تـدلى من هذا البرعم ثمار حوله، وأخرجت هـذه الثمـار ورقًـا. وحين شبت استغلظت هذه الثمار،** تسببت في جفاف منبعها. وأصبحت هذه الثمار (الخارجة من البرعم) من تلك الخارجة من الشجرة الأصلية.

"Do not allow the kingdom of heaven to wither; for it is like a palm shoot whose fruit has dropped down around it. They (I. E, the fallen fruits) put forh leaves, and after they had sprouted, they caused their womb to dry up. So it is also with the fruit which had grown from this single root".

=

هذه المخطوطات في تلال نجع حمادي في صعيد مصر؛ مخافـة بطش الرومان الذي كان لهم عقيدة نصـرانية مختلفـة (المرجـع السابق ص٥ – ٢٣).

(1) كلمة Apocryphon تعني كتاب سري – المرجع السابق ص٢٩ – أي يمنع أي فرد من غير طائفة القنوص الاطلاع عليها.

يختلف هذا التشبيه عن مثل حبة الخردل في أنه بدأ بالزرع (الشجرة) كما بدأ المثل القرآني ولم يبدأ بالبذرة، كما يذكر الشطأ (البرعم) وقد ذكر الكتاب (رسالة جيمس السرية) أمثلة أخرى لملكوت السماء عدا مثل "برعم الشجرة" وعد منها مثل الحبة – أي أن الكتاب فرق تماما بين المثلين.

العجيب أيضا أن تكون الشجرة التي يخرج منها البرعم نخلة، وهي الشجرة التي يشبه النبي ﷺ المؤمن بها "مثل المؤمن مثل النخلة، ما أخذت من شيء ينفعك" [١].

* * *

(1) حديث صحيح رواه الطبراني عن ابن عمر (صحيح الجامع الصغير وزيادته – للألباني المجلد الثاني ص١٠١٨).

أمثلة أخرى

ليس المثل السابق لمملكة ا (دولة النبي المنتظر) الوحيد الذي نجده في كتب أهل الكتاب، وفي نفس الوقت له نظيـر إسلامي، بل هناك أمثلة أخرى نجدها في الحـديث النبـوي الصحيح.

فهناك مثل "العمال في الكرم": "فإن ملكـوت السـماوات يشبه بإنسان رب بيت خرج في الصباح البـاكر، ليسـتأجر عمالاً لكرمه واتفق مع العمال على أن يدفع لكل منهم دينارا في اليوم، وأرسلهم إلى كرمه، ثم خرج نحو الساعة التاسعة صباحا، فلقي في ساحة المدينة عمالاً آخرين بلا عمل فقـال لهم: اذهبوا أنتم أيضا واعملوا في كرمي فأعطيكم ما يحـق لكم فذهبوا، ثم خرج إلى الساحة أيضا نحو السـاعة الثانيـة عشرة ظهرا، ثم نحو الثالثة بعد الظهر، أرسل مزيـدا مـن العمال إلى كرمه، ونحو الساعة الخامسة بعد الظهر، خـرج أيضا فلقي عمالاً آخرين بلا عمل، فسألهم: لماذا تقفون هنـا طوال النهار بلا عمل؟ أجابوه: لأنه لم يستأجرنا أحد. فقال: اذهبوا أنتم أيضا إلى كرمي، وعندما حل المساء، قـال رب

الكرم لوكيله: ادع العمال وادفع الأجـرة مبتـدئًا بـالآخرين ومنتهيا إلى الأولين. فجاء الذين عملوا من الساعة الخامسـة وأخذ كل منهم دينارا. فلما جاء الأولون ظنوا أنهم سيأخذون أكثر. ولكن كل واحد منهم نال دينارا واحـدا. وفيمـا هـم يقبضون الدينار تذمروا على رب البيـت، قـائلين: هـؤلاء الآخرون عملوا ساعة واحدة فقط، وأنت قد ساويتهم بنا نحن الذين عملوا طول النهار تحت حر الشمس، فأجـاب واحـد منهم: يا صاحبي، أنا ما ظلمتك، ألم تتفق معه على دينـار؟ خذ ما هو لك وامض في سبيلك: فأنا أريد أن أعطـي هـذا الأخير مثلك، أما يحق لي أن أتصرف بمالي كما أريد؟ أم أن عينيك شريرة لأنني أنا صالح؟ فهكذا يصير الآخرون أولين، والأولون آخرين". (متى ٢٠: ١ – ١٦). هذا المثل نجد لـه شبيها في الحديث الصحيح: "إنما أجلكم فيما خلا من الأمـم كما بين صلاة العصر إلى مغارب الشمس، وإنما مثلكم ومثل اليهود والنصارى، كمثل رجل استأجر أجراء فقال: من يعمل من غدوة إلى نصف النهار على قيراط؟ فعملت اليهود، ثـم قال: من يعمل من نصف النهار إلى صلاة العصـر علـى قيراط قيراط؟ فعملت النصارى، ثم قال من يعمل من العصر

إلى أن تغيب الشمس على قيراطين قيـراطين؟ فـأنتم هـم، فغضبت اليهود والنصارى، وقالوا: ما لنا أكثر عمـلاً أقـل عطاء؟ قال: هل ظلمتم من حقكم شيئًا؟ قالوا: لا. قال: فـذلك فضلي أوتيه من أشاء". (رواه البخاري وأحمد والترمذي عن ابن عمر)[1].

التشابه واضح بين المثلين إلا أن المثل النبوي صريح في مفهومه، ثلاث فرق من الأجراء يمثلون ثـلاث فـرق مـن المال. أما المثل الإنجيلي فيذكر خمس فـرق مـن العمـال متتابعة، وهذا لا يتفق حتى مع التفسير المسيحي القائل بـأن الآخرين الذين صاروا أولين (كما فـي آخـر المثـل) هـم المسيحيون، والأولين الذين صاروا آخرين هم اليهود (انظر هامش (متى: ٢٠) في الكتاب المقدس طبعـة دار المشـرق ١٩٨٩) وكان الأوقع أن يكون الأجراء فريقين إذن.

كما يوجد مثل آخر "مثل وليمة الملك": "يشـبه ملكـوت السماوات بإنسان ملك أقام وليمة في عرس ابنه وأرسل عبيده يستدعي المدعوين إلى العرس، فلم يرغبوا فـي الحضـور،

(1) "صحيح الجامع الصغير وزيادته" للألباني ص٤٥٨.

فأرسل الملك ثانية عبيدا آخرين قائلاً لهم: قولوا للمـدعوين: هل أنا قد أعددت وليمتي؟ ثيراني وعجولي المسمنة قد ذبحت وكل شيء جاهز، فتعالوا إلى العرس ولكن المدعوين تهاونوا فذهب واحد إلى حقله وآخر إلى متجره والباقون قبضوا على عبيد الملك وأهانوهم وقتلوهم. فغضب الملك وأرسل جيوشه فأهلك أولئك القتلة وأحرق مدينتهم [1]. ثـم قـال لعبيـده إن وليمة العرس جاهزة، ولكن المدعوين لم يكونوا مسـتحقين. فاذهبوا إلى مفارق الطرق، وكل من تجدونه ادعوه إلى وليمة العرس. فخرج العبيد إلى الطرق، وجمعوا كل من وجـدوا أشرارا وصالحين حتى امتلأت قاعة العـرس بالضـيوف، ودخل الملك لينظر الضيوف فرأى إنسـانًا لا يلـبس ثـوب العرس، فقال له: يا صاحبي كيف دخلت إلـى هنـا وأنـت لا تلبس ثوب العرس؟ فظل صامتًا. فأمر الملك خدامه قائلاً: قيدوا رجليه ويديه، واطرحوه في الظلام الخارجي – هنـاك

(1) هذه الفقرة أضيفت إلى المثل بعد خراب أورشليم، وأما أن المثـل كله اتخذ صيغته النهائية بعد السنة ٧٠ (العهد الجديـد طبعـة دار الشرق ١٩٨٩ ص٩٧).

يكون البكاء وصـرير الأسـنان لأن المـدعوين كثيـرون والمختارين قليلون". (متى ٢٢: ٢ – ١٤).

هذا المثل أيضا نجد له شبيها في الحديث: "إني رأيت في المنام كأن جبريل عند رأسي وميكائيل عند رجلـي، يقـول أحدهما لصاحبه: اضرب له مثلاً، فقال اسمع سمعت أذناك، واعقل عقل قلبك، إنما مثلك ومثل أمتك كمثل ملك اتخذ دارا، ثم بنى فيها بيتًا، ثم جعل فيها مائدة، ثم بعث رسولاً يـدعو الناس إلى طعامه، فمنهم من أجاب الرسـول، ومـنهم مـن تركه، فا : هو الملك، والدار: الإسلام، والبيت: الجنة، وأنت يا محمد رسول ا ، من أجابك دخل الإسلام، ومـن دخـل الإسلام دخل الجنة، ومن دخل الجنة أكل مـا فيهـا". (رواه البخاري والترمذي عن جابر) [1].

التشابه واضح كذلك بين هذين المثلين، والتفسير لا يختلف كثيرا، فا هو المهلك كما فسر الحديث النبوي نفسه بنفسه،

---

(1) "صحيح الجامع الصغير وزيادتـه" للألبـاني ص٤٨٤ – المجلـد الأول.

وكما فسر المفسرون النصارى لفظ الملك أيضا [1]. أما الرسول (العبيد في النص الإنجيلي) هو محمد ﷺ كما فسر الحديث نفسه في تفسير "جون ويسلي" العبيد هم يوحنا المعمدان والرسل السبعين الذي أرسلهم عيسى عليه السلام حسب الأناجيل. الاختلاف الثاني يأتي في تفسير الطعام فالحديث يقول: إنه طعام في الجنة (الدار) أما المفسرون المسيحيون (جون ويسلي والكتاب المقدس طبعة دار المشرق وغيرهم) فيرون أن هذا الطعام هو الاتحاد مع ا !!

المثل الإنجيلي الثالث الذي نجد له شبيها نبويا هو مثل الزارع "هو ذا الزارع قد خرج ليزرع، وبينما هو يزرع وقع بعض الحب على جانب الطريق، فجاءت الطيور فأكلته، ووقع بعضه الآخر على أرض حجرة لم يكن فيها تراب كثير، فنبت من وقته لأن ترابه لم يكن عميقًا، فلما أشرقت الشمس احترق، ولم يكن له أصل فيبس، ووقع بعضه الآخر

---

(1) تفسير إنجيل متى: جون ويسلي – مكتبة الذيل المسيحية ص٢١١، ص٢١٢.

على الأرض الطيبة فأثمر، بعضه مائـة، وبعضـه سـتين، وبعضه ثلاثين.." (متى ١٣: ٣ – ٣ – ٨).

هذا المثل قريب جدا من قوله ﷺ: "مثل ما بعثني بـه ا من الهدى والعلم، كمثل الغيث الكثير، أصاب أرضا، فكـان منها نقية قبلت الماء، فأنبتت الكلأ والعشب الكثير، وكانـت منها أجادب أمسكت الماء، فنفع ا بها الناس، شربوا منهـا، وسقوا ورعوا وأصاب منها طائفة أخرى، إنما هـي قيعـان لا تمسك ماء، ولا تنبت كلأ، فذلك مثل من فقه في دين ا ، ونفعه ما بعثني ا به، فعلم وعمل، ومثل من لم يرفع بـذلك رأسا، ولم يقبل هدى ا الذي أرسلت بـه" (رواه البخـاري ومسلم عن أبي موسى) [١].

المثل النبوي لا يحتاج لتفسير، أما المثل الإنجيلي فقد فسر في نفس إنجيل متى في موضع آخر: "كل من سـمع كلمـة الملكوت ولم يفهمها يأتي الشرير ويخطف ما زرع في قلبه: فهذا هو الذي زرع في جانب الطريق، وأما الذي زرع فـي

---

(1) "صحيح الجامع الصغير وزيادتـه" للألبـاني – المجلـد الثـاني ص١٠١٩.

الأرض الحجرة فهو الذي يسمع الكلمة ويتقبلها لوقته فرحـا، ولكن لا أصل له في نفسه، فلا يثبت على حاله، فإذا حـدثت شدة أو اضطهاد من أجل الكلمة عثر لوقته، وأما الذي زرع في الشوك فهو الذي يسمع الكلمة، ويكون له من هم الحيـاة الدنيا وفتنة الغنى ما يخنق الكلمة فلا تخرج ثمرا، وأما الذي زرع في الأرض الطيبة، فهو الذي يسمع الكلمـة ويفهمهـا فيثمر ويعطي بعضه مائة وبعضه ستين وبعضـه ثلاثـين". (متى ١٣: ١٩ – ٢٣).

الاختلاف بين المثل النبوي والإنجيلي كما نـرى طفيـف جدا وفرعي.

ولو فسرنا ملكوت ا في هذا المثـل والأمثلـة السـابقة حسب ما يورد العهد القديم وكما ذكرنا في بداية هذا البـاب، لكانت هذه الأمثلة كلها تتكلم عن دولة النبي المنتظر الإلهيـة وأصحابه وهديه.

* * *

(ج) الدين الذي يأتي به ﷺ
الإسلام [أمر جديد]

يتضح بشكل قاطع من النبوءات المسيحانية [أي المتعلقـة بالمسيح المنتظر أو نبي آخر الزمن] أنه فيما يتعلق به هناك أمر جديد أو مشروع آخر يختلف عما سبقه في أمور أهـل الكتاب السابقة "ها أنـا أنجـز أمـرا جديـدا ينشـأ الآن، ألا تعرفونه أشق طريقًا في البرية" (شعيا ٤٣: ١٩).

ﷺ (١) = فهناك مكان آخر للسجود لأتباع ذلك النبـي.. (أي القبلة التـي يكـون فيهـا المعبـد الأعظـم قدسية)... ".. فقال لهـا المسـيح: إن السـاجدين الحقيقيين لن يكونوا في أورشليم ولا فـي جبـل جرزيم.

"قالت المرأة يا رب لا أرى أنك نبي. تعبد آباؤنا في هذا الجبل (جبل جرزيم)، وأنتم (أي اليهود) تقولون إن المكـان الذي فيه يجب التعبد هو أورشليم (القدس). قال لها يسـوع: صدقيني أيتها المرأة.. تأتي ساعة فيها تعبدون الأب (أي ا)

لا في هذا الجبل ولا في أورشـليم.." [1] (يوحنـا ٤: ١٩ – ٢١).

[سنرى في فصل لاحق كيف أن هناك نبوءات واضـحة على كون الكعبة هي قبلة النبي الأخر].

* (٢) = وهناك تعميد [2] آخر للمؤمنين أتباع ذلك النبي (صبغة) "أجاب يوحنا الجميع قائلاً: أنا أعمدكم بالماء، ولكن سيأتي من هو أقدر مني، مـن لا أستحق أن أحل رباط حذائه: **هـو سـيعمدكم بالروح القدس وبالنار**" (لوقا ٣: ١٦) [3].

---

(1) تفسير النصارى لذلك أن العبادة لن تكون في أي مكان محدد بـل هي بالروح فقط.

(2) التعميد أو الصبغة أو التغطيس هو غمر الأفراد في المـاء وهـي عبادة قديمة لمغفرة الخطايا، ولفـظ صـبغة هـو اللفـظ الأقـدم والمستخدم عند النصارى في كتاب التقليـد القـديم (الدسـقولية) والمستخدم كذلك عن الصابئة المندائية الآن.

(3) النصارى كانوا ولا زالوا يصبغون بالماء مثل وقت يوحنا (يحيى) ولم يمارسوا تعميدا آخر.

المعروف أن النصارى حتى الآن يصبغون بالماء ولم يتغير الحال... أما في القرآن فنقرأ... ﴿ **فَإِن آمنُوا بِمِثْلِ مَا آمنْتُم بِهِ فَقَدِ اهتَدوا وإِن تَولَوا فَإِنما هم فِي شِقَاقٍ فَسيكْفِيكَهم ا ُ وهو السمِيع الْعلِيم * صِبغَةَ ا ِ ومن أَحسن مِن ا ِ صِبغَةً ونَحن لَه عابِدون** ﴾ [البقرة: ١٣٧، ١٣٨] أي أن الصبغة الإلهية أو التعميد الإلهي هو ما آمن به المسلمون، وهو إذن تعميد معنوي لا حسي مثل الماء كما أشارت الفقرة الإنجيلية.

* (٣) = وهناك لغة أخرى يخاطب ا بها اليهود من ذلك النبي "**سيخاطب الرب هذا الشعب بلسان غريب أعجمي**" (إشعياء ٢٨: ١١) [1].

---

(1) تفسير النصارى لذلك نجده في سفر الأعمال (٢: ١ – ٤) "ولما حضر يوم الخميس (أي من رفع المسيح عيسى) كان الجميع (أتباع يسوع) معا بنفس واحدة وصار بغتة من السماء صوت كأنه دوي ريح عاصفة، فملأ البيت الذي كانوا جالسين فيه. ثم ظهرت لهم ألسنة!! كأنها من نار، وقد توزعت وحلّت على كل واحد منهم، فامتلأوا جميعا من الروح القدس، وأخذوا يتكلمون بلغات أخرى.

* (٤) = وهناك شعب آخر يخرج منه ذلك النبي ويتبعه.

يقول عيسى مخاطبا اليهـود: "**إن ملكـوت ا سينزع من أيديكم ويسلم إلى شعب يؤدي ثمره**" (متى ٢١: ٤٣) "ملكوت ا أو مملكة ا كمـا ذكرنا هو نبي آخر الزمان وأتباعه).

"وهكذا قال السيد الرب إنني أنزع العمامة وأرفع التـاج. هذه الحال لا تبقى بل أُعلي السافل وأسفل العـالي، وأجعـل انقلابا على انقلاب على انقلاب. هذه الحال لا تكون وذلـك إلى أن يأتي "شيلوه" [الذي له الحكمي فاجعله له". (حزقيـال ٢١: ٢٦، ٢٧).

واضح تماما توافق المعنى بين فقرة حزقيال هذه وسابقتها فقرة متى، فالنزع هو النزع؛ إذن "العمامـة والتـاج" همـا "ملكوت ا " أي الملك والنبوة، وذلك منطقي، فالتاج معروف أنه رمز الملك، وذلك أيضا تفسير النصارى في هذه الفقرة. لكنهم يقفون عن تفسير العمامة التي لابد أن تكـون ترمـز للنبوة – وقد ذكر ذلك بعض علماء الأديان المسلمين السابقين – أي أن بني إسرائيلي ينزع منهم الملك والنبوة وليس الملك فقط كما أراد تفسير النصارى لهذه الفقرة؛ إذ فسرها لـزوال

ملك اليهود على يد بختنصر البابلي وغيره إلى يـأتي نبـي آخر الزمان "شيلوه"، ولكن أليس لليهود اليوم ملكًا قبل مجيء المسيا الذي ينتظرونه؟ الحق أنه جاء وتغافلوا عنه ﷺ.

= من صفات هذا الشعب أنه:

أ) من إخوة بني إسرائيل "لهذا أقيم لهم نبيـا" مـن بنـي إخوتهم (١) مثلك (مثل موسى) وأضع كلامي في فمه" (تثنية ١٨: ١٨). أي من بني عمومة اليهود وهم بنو عيسو أو بني إسماعيل.

= من صفات هذا الشعب أنه:

ب) شعب وثني "ثم رأيت رجلاً (المسيا) يخرج من وسط الوثنيين.. سوف أقيم هذا الرجل مـن نسـلك (نسـل إبراهيم).. كثير من الوثنيين سـوف يثقـون فيـه.." (مخطوطات البحر الميت – رؤيا إبـراهيم – فصـل

---

(1) يفسر اليهود والنصارى "إخوتهم" هنا أي نفس بني إسرائيل مع أن التوراة تقول في موضع آخر "ها أنتم عابرون بتخوم إخوتكم بنـي عيسو" (تثنية ٢: ٤) وغير ذلك كثير مثـل (شـعيا ٦٦: ٢٠)؛ إذ يعبر على بني العمومة بالإخوة.

٢٩) كذلك في التوراة (شعيا: ٦٥: ١ – ٣) "وجـدني من لم يطلبني.. شعب يثابر على إغاظتي في وجهي؛ إذ يقرب ذبائح لأصنام".

= من صفات الشعب المتبع للنبي الآخر كذلك أنه:

جـ) شعب يسكن الصحراء "ها أنا أنجز أمرا جديدا" ينشأ الآن، ألا تعرفونه؟ أشق فـي البريـة طريقًـا وفـي الصحراء أنهارا، فكرمني وحسن الصحراء: الـذئاب والنعام، لأني فجرت في القفر ماء"، وفي الصـحراء أنهارا لأسقي شعبي الذي اخترته، وجبلته لنفسي ليذيع حمدي" (شعيا ٤٣: ١٩ – ٢١) العجيب أن الصحراء تذكر في أغلب النبوءات المسيحانية.

= من صفات ذلك الشعب أيضا أنه:

د) لم يرسل فيه نبي من قبل... هذا يتضح كذلك تماما من فقرة سفر شعيا المـذكورة آنفًـا.. إذ قصـد كـذلك بالصحراء أنه لم يكن في العرب ساكني الصحراء من قبل نبيا وقصد بالأنهار – كمـا واضـح – رسـالة السماء.

= من صفات ذلك الشعب أيضا أنه:

هـ) متمرد وضال وأحمق.. "بسطت يدي اليـوم لشـعب متمرد سالك في طريق طالح، ضالاً وراء أوهامـه..." (شعيا ٦٥: ٢)... "لذلك سأثير غيرتهم بشعب متوحش وأغيظهم بأمة حمقاء (تثنية ٣٢: ٢١) لم يكن هنـاك أشد تمردا ولا أحمق ولا أجهـل مـن العـرب قبـل الإسلام.. وذلك شهادة التوراة نفسها.. ".. قد جلسـت لهم على قارعة الطريق كالأعرابي في البادية ودنسـت الأرض بزناك وعهارتك.." (إرميا ٣: ٢) بينمـا رأى العهد الجديد في اليونان وهم المتبعون الجدد للنصرانية أنهم أهل حكمة.. ".. إذ إن اليهـود يطلبـون آيـات، واليونانيين يبحثون عن الحكمـة.." (كورنثـوس ١: ٢٢).

* (٥) = وهناك اسم آخر يطلق على الداخلين فـي ديـن النبي الآخر..

يقول شعيا في الإصحاح الخامس والستين في آخر نبوءة طويلة عن شَعب جديد يتقرب إلى ا   بعد أن كانـا جـاهلاً كافرا يبتعد عن ا   هكذا يقول في آخر النبوءة غائظًا اليهود.

"وتخلفون اسمكم لعنة على شفاه مختـاري [1] ويميـتكم الرب ويطلق على عبيده اسما آخر" (شعيا ٥٦: ١٥).

** لا يمكن أن يقبل تفسير النصارى أن هذا الاسم هـو "المسيحيون" لأن – هذا الاسم لم يطلق إلا متأخرا، بل إنهـم كانوا يعتبرون في أول الأمر فريقًا من اليهود. نقرأ في العهد الجديد؛ سفر أعمال الرسل "وفي أنطاكية أطلق على تلاميـذ الرب أول مرة اسم المسيحيين" (١١: ٢٦).

الحق أن هذه إشارة إلى الإسلام.

*** وقد ذكرت الموسـوعة اليهوديـة Encyclopaedia Judaica في باب Abraham إن التعبير "مسلمين": "أولئك الذين يكرسون Dedicate أنفسهم " يعود إلـى "ترجـوم أُونْكيلُوس" (تكوين ١٧: ١).**

حيث أمر ا إبراهيم أن يكون مستسلما (مكرسـا) لـه،

(1) لعن اليهود في القرآن وعلى لسان النبي ﷺ مرات لا حصر لهـا، وكلمة مختاري في النبوة تعني النبي المنتظر.

"Become Shelim" أي أن الكلمة تنطق بالآرامية "شليم" [1] والمعروف أن اللغة الآرامية التي كتب بها الترجوم قريبة جدا من اللغة العربية، وتنطق هي وأختها العبرية "السين": "شينًا" فمن اليسير إذن أن تنطق الكلمة "سليم" قريبة جدا من لفظ "مسلم".

* العجيب أن الفقرة المذكورة في "الترجوم"؛ حيث يقول الله لإبراهيم: كن مسلما (أو مستسلما) نجدها في القرآن الكريم: ﴿ **ومن يرغَب عن ملةِ إِبراهِيم إِلا من سفِه نَفْسه ولقَدِ اصطَفَيناه فِي الدنْيا وإِنه فِي الآخِرةِ لَمِن الصالِحِين * إِذْ قَالَ له ربه أَسلِم قَالَ أَسلَمتُ لِرب الْعالَمِين** ﴾ [البقرة: ١٣٠، ١٣١]. هذا ما نقرأه تماما في "الترجوم" (١٧: ١): "And god said to Abraham be Shelim".

- والقرآن ينص على أن هذا المصطلح "إسلام" "مسلمون" لم يكن محمدا عليه الصلاة والسلام أول من استخدمه، بل إن

---

(1) He (Abraham) called you muslimin I.E. those who dedicate themselves to god. This expression goes back to genesis (17: 1) in the version of targum Onkelos. Where Abraham is admonished by God to he shelim (Judaica vol I Abraham).

إبراهيم هو أول من استخدمه. ﴿ **هو سماكم المسلمين من قبل** ﴾ [الحج: ٧٨].

لذا لم يكن غريبا أن يقول القرآن: ﴿ **ما كان إبراهيم يهوديا ولا نصرانيا ولكن كان حنيفا مسلما وما كان من المشركين** ﴾ [آل عمران: ٦٧].

= والحق أن هذا ليس هو الموضع الوحيد في كتب أهل الكتاب الذي يذكر المصطلح "إسلام"، فإن الإنجيل نفسه يذكره ولم يبدل معاني هذا اللفظ إلا عدم الدقة في الترجمة والأمانة فيها. يذكر لوقا في إنجيله (٢ – ١: ٢٠) نشيدا للملائكة سمعه رعاة غنم في ليلة مولد عيسى..

* المجد في الأعالي *

* وعلى الأرض السلام *

* وفي الناس المسرة *

"هذه الترنيمة ليست لسوء الحظ سوى ترجمة غامضة عن النص اليوناني، الذي لا يمكن الركون إليه أو الوثوق به، لأنه لا يبين لنا الكلمات الأصلية في اللغة التي رتل بها الملائكة والتي فهمها الرعاة العبرانيون، ومن المسلم به كحقيقة أن الحشود السماوية أنشدت أنشودتها المفرحة بلغة

الرعاة، وأن تلك اللغة لـم تكـن اليونانيـة بـل العبريـة العامية.."[1].

والجميع يعلم أن اللغة التي كتب بها أقـدم مخطوطـات الأناجيل كلها هي اليونانية. ولنتساءل مع البروفيسور عبـد الأحد داود (القس دافيد بنجامين كلداني" سابقًا) "لماذا لم يكتب هؤلاء الرسل اليهود والإنجليون بلغتهم الأصلية، بل كتبـوا جميعا باليونانية؟" وأين تعلم الصياد (شمعون كيفا) "سـمعان بطرس" ويوحنا (يوحنا) ويعقوب (جمس) والجابي ميثـامي (متى) أين تعلم هؤلاء اللغة اليونانية من أجل كتابة سلسـلة من الكتب المقدسة؟ [2].

كلمة "السلام" المذكورة في نص "لوقا" سالف الذكر أصلها اليوناني "Eiriny" مرادفة للكمات السامية "شالوم" و"شـلاما"

(1) "محمد في الكتاب المقدس". عبد الأحد داود. دار الضياء ص١٤٧ الطبعة الثانية.

(2)"محمد في الكتاب المقدس". عبد الأحد داود. دار الضـياء ص١٤٩ الطبعة الثانية.

و"إسلام" [1].

لكن المترجم يختار الترجمة التي تمشي حسب هواه وحسب عقيدته، فيقول سلام ولا يقول إسلام - مع أن هذا اللفظ كما أسلفنا نجد ذكره في "ترجوم أونكيلوس" (التوراة الآرامية).

= لم تكن هذه هي كل المواضع في كتب أهل الكتاب التي يذكر فيها اللفظ "إسلام".

* **فإن كتاب "الكنزاربا" المقدس لدى طائفة الصابئة** يعبر عن المؤمنين به بالمسلمين "أيها المسلمون المؤمنون وأيها المؤمنون المسلمون لا تتراجعوا عن عهدكم الذي عاهدتم ا عليه" [2] كذلك تعتبر كتب الصائبة المقدسة إسماعيل "أبو جميع المسلمين" [3].

---

(1)"محمد في الكتاب المقدس". عبد الأحد داود. دار الضياء ص١٥٤ الطبعة الثانية.

(2) "الصائبة المندائيون" سليم برنجي - ترجمة جابر أحمد - دار الكنوز الأدبية ص٤٢.

(3)"الصائبة المندائيون" سليم برنجي - ترجمة جابر أحمد - دار الكنوز الأدبية ص٦٩.

(د) قبلته ﷺ
الكعبة

﴿ **ولئن أتيت الذين أوتوا الكتاب بكل آية ما تبعوا قبلتك وما أنت بتابع قبلتهم وما بعضهم بتابع قبلة بعض ولئن اتبعت أهواءهم من بعد ما جاءك من العلم إنك إذًا لمن الظالمين * الذين آتيناهم الكتاب يعرفونه كما يعرفون أبناءهم وإن فريقًا منهم ليكتمون الحق وهم يعلمون** ﴾ [البقرة: ١٤٥، ١٤٦].

** قوله عز وجل: ﴿ **الذين آتيناهم الكتاب يعرفونه** ﴾ يعود كما يتضح من السياق على مسألة القبلة.. أي أن كتب أهل الكتاب فيها ما يدل على تحويل قبلتهم لقبلة أخرى هذا الذي نقرؤه في الفقرة التالية..

"فقالت له المرأة (السامرية): يا سيد أرى أنك نبي. آباؤنا عبدوا ا في هذا الجبل (جرزيم)، وأنتم اليهود تصرون على أن أورشليم يجب أن تكون المركز الوحيد للعبادة. فأجابها يسوع: صدقيني يا أمرأة، ستأتي الساعة التي فيها تعبدون الأب لا في هذا الجبل ولا في أورشليم فستأتي ساعة، لا بل

هي الآن، حين يعبـد العابـدون الصـادقون الأب بـالروح وبالحق". (يوحنا ٤: ١٩ – ٢٣).

هذه الفقرة في العهد الجديد ذكرها العديد من علماء مقارنة الأديان المسلمين؛ على أنها إشارة للكعبة وبيت ا الحـرام، والحق أن المعنى ليس بالوضوح الكافي.

لكني وجدت في مواضع أخرى في كتب السوديبيجرافا [١] كلاما صريحا عن المسجد الحرام.

*** ففي كتاب "آدم وحواء" [٢]:**

يقول آدم لابنه شيث: إن ا سوف يدل الناس الأمناء على المكان الذي يبنون فيه بيته (بيت ا). (كتاب آدم وحـواء – ٢٩: ٥ – ٧) وقد علق العلامة "تشارلز" – صاحب الكتـاب الذي حوى الترجمة الإنجليزية لهذا الكتاب علق علـى هـذه الفقرة قائلاً [٣]: عدم ذكر معبد أورشـليم فـي الفصـل ٢٩ (المذكور فيه بيت ا) يدل على أن هذا الكتاب كتـب فـي

---

(1) ارجع "لبعض المصطلحات" في مقدمة هذا العمل.

(2) "تكلمنا عن في باب" الكوثر.

(3) مقدمة كتاب آدم وحواء:

.P.152. Apocrypha and Pseudepigrapha Of The Old Testament

مدينة غربية. واكتفاء الكتاب بقوله: المكـان الـذي اعتـاد الصلاة فيه هو الذي تعلم المسلمون أن يبنوا عليه احتـرامهم للكعبة.

أي أن هذا العلامة رأى فعلاً هذا التشابه بين الكعبة فـي القرآن والفقرة المذكورة في كتاب آدم وحواء، فـادعى أن المسلمين (لابد أنه يقصد النبي عليـه الصـلاة والسـلام) اقتبسوها.

* الحق أن هذا التشابه قائم بوضوح. يتبين ذلك في قوله تعالى: ﴿ **وَإِذْ بَوَّأْنَا لِإِبْرَاهِيمَ مَكَانَ الْبَيْتِ**... ﴾ [الحـج: ٢٦]. أي أن ا عز وجل بين لإبراهيم المكان الـذي يبنـي فيـه الكعبة، وهذا يكاد يتطابق مع الفقرة المذكورة في كتاب "آدم وحواء".

* توجد إشارة أخـرى قويـة فـي كتـاب مـن كتـب "السوديبيجرافا"، أيضا كتاب "اليوبيلات" "The Book Of The Jubilees" على لسان إبراهيم الخليل "لقد بنيت هـذا البيـت لنفسي لأضع اسمي علـى الأرض وسـوف يسـمى "بيـت إبراهيم" (٢٢: ٢٤).

* آخر القرائن التي وجدناها في هذا البـاب، حـوار دار بين إبراهيم والنمرود. قدم فيه إبراهيم نفسه على أنه سـادن ا .

The Legends Of The Jews: "The Stewart Of God House".

* ولم نذهب بعيدا إن التوراة نفسها تـذكر "مكـة" لكـن باللفظ الذي ذكر في القرآن "بكة" ولعل القرآن اختـار هـذا اللفظ دون الأول حتى يتذكره أهل الكتاب... إذ تتكلم التوراة (مزامير ٨٤: ٥، ٦) عن فرحة حاج يؤدي مناسك حجه (هو في تفسيرهم داود) إلى بيت ا ، وكيف أن هناك عيون مـاء لسقيا الحجيج (يذكرنا ذلك ببئر زمزم في المسجد الحرام).

"طوبي لأناس أنت قوتهم، المتلهفـون لأتبـاع طرقـك المفضية إلى بيتك المقدس؛ وإذ يعبرون في "وادي البكـاء" الجاف، يجعلونه ينابيع ماء، ويغمـرهم المطـر الخريفـي بالبركات". (مزامير ٨٤: ٥، ٦).

لفظ "وادي البكاء" هنا ترجمة لاسـم مكـان، والأسـماء لا تترجم، فإن العالم الشـهير "أينشـاتين" لا نترجمـه إلـى العربية، فيصبح "الصخرة الواحدة" بل ندعه كما هو. لـذلك الترجمات الإنجليزية لهذه الفترة تقول The Valley Of Baca

أي "وادي بكة" وهذا أقرب إلى الأمانة العلمية في الترجمة.. لكن يبدو أن الترجمات العربية خشيت من هذا التشابه، بـل التطابق بين تلك الكلمات ومدينة الإسلام المقدسـة. **الغريـب أننا لا نعرف حتى الآن في القدس** (وهي المدينة التي يحـج إليها أهل الكتاب) واديا يسمى وادي البكاء أو وادي بكة. هذا ما نقرأه في المرجع التالي: (Young's concordance P. 67)

(Baca: weeping valley near Jerusalem, and the valley of Rephaim whose exact locality is unceratain).

= كذلك نجد تلميحا واضحا عن الكعبة في كتاب مهم من كتب النصارى، وهو كتاب "الراعي هرس" الذي [لاقى نجاحا كبيرا ورواجا منقطع النظير؛ بحيث إن إيريناوس وإقليمندس الإسكندري و"أوريجينوس" كانوا يضعونه في مستوى الكتب المقدسة. وفي أوائل القـرن الرابـع ذكـر أوسـابيوس أن "الراعي" يتلي في بعـض الكنـائس ويسـتخدم فـي تعلـيم الموعظين أو طالبي العماد] [١]؛ حيث يصف هرماس كيـف

(1) "أقدم النصوص المسيحية" – أقلميندس الروماني – راعي هرماس/ تعريب الأب جورج، فصور رابطة الدراسات اللاهوتية في الشرق الأوسط. ١٩٧٥ – ص٨٠.

أخذه الملاك فوق جبل وأراه سهلاً حوله اثنا عشـر جـبلاً. وفي وسط السهل [صخرة كبيرة بيضاء كانت تقوم مرتفعـة، وكانت أعلى من الجبال ومربعة، ومن الوسع بحيث يمكنهـا أن تحوي العالم بأسره، كانت هذه الصخرة قديمة وبها بـاب محفور، ويبدو أن الباب كان حديث الحفر، وكانت تسـتطيع أكثر من الشمس وكنت أعجب لضيائها. وكانت تقف حـول الباب اثنتا عشرة عذراء... كن يرتدين أقمصة مـن كتـان بزنار ظريف، ويظهرن أكتافهن اليمنى كما لو كن يتـأهبن لرفع حمل ثقيل] [1]. **البناء المربع وسط الجبـال لـه بـاب حوله الطوافين الذين يكشفون كتفا واحدا. ألا يذكرنا ذلـك بالكعبة المشرفة؟.**

= الكلام عن البيت الحرام يستدعي الكلام عـن البيـت المعمور وهو في عرف الإسلام في السماء السـابعة يقابـل الكعبة في الأرض، ففي حديث النبي عليه الصلاة والسـلام عن المعراج.

(1) المصدر السابق ص٢٠٥.

"... ثم عرج بنا إلى السماء السابعة، فاستفتح جبريل، قيـل: من هذا؟ قال جبريل. قيل ومن معك؟ قال: محمد، قيل: وقد بعث إليه؟ قال: قد بعث إليه، ففتح لنا، فإذا أنا بإبراهيم مسندا ظهـره إلى البيت المعمور، وإذا هو يدخله كل يوم سبعون ألف ملـك لا يعودون إليه". (رواه أحمد ومسلم عن أنس).

وقد كنت أقرأ في سفر الرؤيا ٢١ (العهد الجديـد) وصـفًا لأورشليم الجديدة ولو أنه يتكلم عن مدينة لا بيت عبادة، فأقول في نفسي: هذا الكلام كان في أصله عن البيت المعمور.

*** فقول رؤيا يوحنا إن هذه المدينة الجديـدة متسـاوية الطول والعرض والارتفاع (٢١: ١٦)؟! يدعونا للدهشـة، فهذا لا ينطبق إلا على بناء مكعب لا مدينة.**

* وقد وجدت في كتاب من كتب السـوديبيجرافا، كتـاب أخنوخ وصفًا لبيت عبادة سماوي يكاد يتطابق مع الوصـف الإسلامي، ومع نفس الوقت له قرائن مع أورشليم الجديدة في سفر الرؤيا.

يصف هذا الكتاب معراجا للنبي أخنوم (لعلـه إدريـس)، وحين يصل إلى سماء السماوات (السماء السابعة) يجد بناء من البلاور.

هذا البيت له أربعة أركان يدخله الملائكة ويطوفون حوله (LXXT 71: 5 – 9).

- هذه الفقرة تختلف مع تلك في رؤيا يوحنا في وصـفها بيتًا (بناء) بينما تقول رؤيا يوحنا لا يوجد هيكل في أورشليم (القدس) الجديدة (٢١: ٢٢)، وهذا الذي اتفقت فيه مع الرؤية الإسلامية إلى جانب ذكر المكان الذي – يوجد فيـه البيـت (السماء السابعة)، وأن الملائكة هم الذين يدخلون هذا البيـت ويطوفون حوله..

عبادة الطواف لا توجد إلا عند المسلمين.

- أما الذي لم يذكره كتاب أخنوخ فهو شكل هـذا البنـاء وذكرته رؤيا يوحنا (مكعب الشكل). إذن الوصف الإسلامي فيه من هذين السفرين.

- وقد ذكر المعبد السماوي (Heavenly Temple) هذا في كتب أخرى من كتب اليهـود القديمـة (والكتـب المخفيـة) "Apocrypha" راجع في ذلك:

"The legends of jews "ginzberg/ Adam 49".

* * *

(هـ) الكتاب الذي يأتي به ﷺ (القرآن) كتاب تذكرة

﴿ **نَزلَ بِهِ الروح الأَمِين * على قَلْبِك لِتَكُون مِن الْمنْذِرِين * بِلسانٍ عربِي مبِينٍ * وإِنه لَفِي زبرِ الأولِين** ﴾ [الشعراء: ١٩٣ – ١٩٦].

هكذا يشير القرآن إلى أن الكتب السماوية السابقة تـورد إشارات عن القرآن نفسه (كتاب نبي آخر الزمان).. وقد تكلم بعض علماء المسلمين حول فقرة في سفر شعيا (في التوراة) "وصارت لكم هذه الرؤيا جميعها كظلمات كتاب مختوم، حين يناولونه لم يتقن القراءة قائلين: اقرأ هذا يجيب: لا أسـتطيع لأنه مختوم. وعندما يناولونه لم يجهل القراءة قائلين: اقـرأ هذا يجيب: لا أستطيع القراءة". (شعيا ٢٩: ١١، ١٢).. قال الشيخ أحمد ديدات وقيس الكلبي (من علمـاء المسـلمين) أن الكتاب المختوم هنا هو القرآن حين عرض على أنبياء بنـي إسرائيل لم يفهموه، لأنه بالعربية فهي ليست لغتهم، فالكتـاب لهم "مختوم". وأما من عرض عليه وقال: لا أستطيع القراءة فهو النبي الأمي محمد ﷺ، وهذا كما هو معروف كما حـدث

له (ﷺ) في غار حراء مع الملاك جبريل.. والحق أن هذا قد يكون تحميلاً للكلمات أكثر مما تحتمل مـن معـاني، إلا أن يكون قد حدث نوعا من الطمـس سـواء غيـر المقصـود أو المقصود.

= أما – في رأينا – الفقرة التوراتية في هذا المجال التي لا زالت تحتفظ بوضوح معانيها فهي الفقرة الآتيـة: "حينئـذ تكلم خائفو الرب الواحد مع صاحبه وأصغى الـرب وسـمع وكتب كتاب تذكرة أمامه لخائفي الرب المتفكرين في اسـمه (١٦) إنهم سيكونون خاصة لي قال رب الجنود يوم أعمـل وأشفق عليهم كما يشفق الإنسان على ابنه الذي يخدمه (١٧)، فتتوبون وتميزون [1] بين الصديق والمنافق. بين الذي يعبـد ا والذي لا يعبده، فإنه هو ذا يأتي اليوم المضطرم كالتنور فيكون جميع المتكبرين وجميع صـانعي النفـاق عصـافة، فيحرقهم اليوم الآتي، قال رب الجنود حتى لا يسـتبقي لهـم

(1) في طبعة كتاب الحياة نجد: "فتشرعون ثانية فـي التمييـز بـين الصالح والطالح" وقد ورد في تفسـير الكتـاب المقـدس: (The International Critical commentary) أن كلمة "ثانية" هـي الأكثر انتشارا في المخطوطات القديمة.

جرثومة ولا أفنانًا وتشرق لكم أيها المتقون لاسمي [1] شمس البر والشفاء في أجنحتها، فتسـرحون وتطرفـون كعجـول المعاف وتطأون المنافقين، وهم رماد تحت بطون أقدامكم يوم أعمل أنا، قال رب الجنود: اذكروا شريعة موسى عبدي التي أوصيته بها في حوريب إلى جميع إسرائيل رسوما وأحكامـا "ملاخي ٣: ١٦، ١٨، ٤: ١ – ٤) كتاب اليسوعيين".

= تتحدث هذه الفقرة من التوراة عن فريق مـن اليهـود الأتقياء يذكرون ا فيما بينهم، ويسمع ا لهم ويكتـب لهـم كتاب تذكرة فيتوبون ويميزون مـرة ثانيـة بـين الصـالح والطالح.

ثم تذكر الفقرة بعد ذلك مباشرة مجيء المسيح المنتظـر وانتصاراته، ثم أخيرا وصيته باتباع تعاليم موسى.

وقد أجمعت تفاسير النصارى للكتاب المقـدس علـى أن كتاب التذكرة هذا ليس إلا "لستة" تدون فيها أسـماء خـائفي

---

(1) في الترجمة الإنجليزية "يا من تخافون اسمي".

الرب، وأن صفة التذكرة للكتاب ليست إلا لإنعـاش ذاكـرة الرب [1] تعالى عن ذلك.

وأن كلمة "تميزون بين الصديق والمنافق" تعنـي تـرون الفارق بينهما؛ إذ يدخل الأول في ملكوت الرب بينما يعـذب الآخر.

تأملت هذه الفقرة ووقفت عند كلمـات كتـاب تـذكرة.. تميزون.. مرة ثانية.. ونظرت في تفسيرات النصارى فمـا وجدتها مقنعة، فالرب لا يحتاج لتذكرة مـن كتـاب أو مـن غيره، كما أن كلمة تميزون لا تعني أبدا: ترون هذا يعـذب وهذا ينعم.

= **ثم خطر لي أن كتاب التذكرة هـذا لـيس إلا القـرآن الكريم،** فقد سمي القرآن نفسه بالذكر والتذكرة والذكرى فـي عشرات المواضع منه ﴿ **ذَلِكَ نَتْلُوهُ عَلَيْكَ مِنَ الْآيَاتِ وَالذِّكْرِ الْحَكِيمِ** ﴾ [آل عمران: ٥٨] ﴿ **إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّـا لَـهُ لَحَافِظُونَ** ﴾ [الحجر: ٩]، ﴿ **وَإِنَّهُ لَتَذْكِرَةٌ لِلْمُتَّقِينَ** ﴾ [الحاقـة:

The International Critical Commentary (1)

٤٨]، ﴿ **قُل لا أَسأَلُكُم عليهِ أَجرا إِن هو إِلا ذِكْرى لِلْعالَمِين** ﴾ [الأنعام: ٩٠].

وأن هذه الفقرة نبوءة عن الكتاب الذي يـأتي بـه النبـي المنتظر، وقد بشر به خائفو الرب من يهود، فيميزون مـرة ثانية (المرة الأولى أيام موسى)، بين النبي الحـق (المسـيا) والدعي ثم يسود هذا النبي وأتباعه. وعلـى خـائفي الـرب هؤلاء، أن يعملوا بشريعة موسى حتى يأتي المسيا.

الدليل على هذا التفسير الآتي:

١- صفة التذكرة في الكتاب لابد أن تكون لخائفي الـرب لأن الرب لا يحتاج لتذكير وليس هناك احتمال ثالث.

٢- تسمية القرآن نفسه بهذا الاسم كثيرا كما أوردنا.

٣- التوبة والتمييز في كلمة "فتتوبون وتميزون" مرتبطة بوضوح بكتاب التذكرة والتفسير المسيحي لا يعطينـا هذه الرابطة.

٤- الكلام عن يوم مجيء المسيا وانتصاراته عقب ذكره كتاب التذكرة فالتوبة والتمييز. فبعد كتاب التذكرة قال: "فتتوبون وتميزون..." ثم قال مباشرة "فإنه هذا يـأتي

اليوم..." وهو باتفاق التفاسير يوم مجيء المسيا الـذي هو في نظر النصارى المسيح عيسى.

هذا يبين علاقة كتاب التذكرة هذا بالمسيا. تقـوي هـذه العلاقة معرفتنا أن الآية الثانية من الإصحاح الرابع تتكلم عن منتظري المسيا من اليهود [1] وهم "المتقون لاسـم الـرب" أو "خائفو اسم الرب" كما في الترجمة الإنجليزية. الذين لابد أن يكونوا هم "خائفو الرب" المذكورين في أول النبوءة والذي كتب لهم كتاب التذكرة.

يكون معنى النبوءة إذن: كتب (أو سـيكتب) ا كتـاب تذكرة لخائفيه منتظـري المسـيا، نتيجـة لـذلك يتوبـون ويميزون مرة أخرى النبي من الداعي وهـو هـذه المـرة المسيا نفسه.

وكتاب التذكرة الذي كتب لمنتظري النبي المنتظر والذي نتيجة له يتوب.

---

(1) تفسير Adam Clarke – وسوف يؤكد ذلك أيضا "وثيقة دمشـق" وهي مخطوطة قديمة لهذا النص سنذكرها لاحقًـا" – وهـي مـن مخطوطات البحر الميت.

ويميز الفريق النقي من اليهود لابد أن يكون القرآن إذن:

٥- التذكير بشرعية موسى في آخـر النبـوءة، ولـو أن تفسير

"International Critical Commetary"

يرى هذه الفقرة لا علاقة لها بما قبلها – وذلك للعمل بتلك الشريعة حتى يأتي كتاب التذكرة. يتضح ذلك أكثر في "وثيقة دمشق" [1] وهي مخطوطة من أقدم المخطوطات اليهوديـة، وقد وجدت في مخطوطات البحر الميت التي توصي باتبـاع الشريعة القديمة وطاعة المسيا والعمل بشرائعه، وذلك عقب ذكرها لنفس سياق كتاب التذكرة.

* ومن المفيد هنا أن نذكر ترجمة الجـزء مـن "وثيقـة دمشق" الذي – يقابل النبوءة "لكن أولئك الذين تحولوا عـن خطيئة يعقوب الذين يحفظون عهد ا ، سوف يتكلم الواحـد (١٧) منهم مع صاحبه، ليحفظوا صدقهم وسلامة خطـواتهم على طريق ا وسوف يصغي الرب (١٨) ويسمع. وسوف يكتب كتاب تذكرة (أمامه) لخائفي الرب المتفكرين في اسمه

(1) الإصحاح ١٨: ٢٧ – ٣٣.

(١٩) حتى يوحي الخلاص والصدق لخائفي الرب، وسـوف يميزون مرة ثانية بين البريء (٢٠) والمذنب (أو الصـديق والمنافق) بين الذي يعبد ا والذي لا يعبده... (٢١). وسوف يظهر الرحمة (لآلاف) لأولئك الذين يحبونه وأولئـك الـذين ينتظرون من أجله (لآلاف الأجيال... (٢٢).

أولئك الذين تعدوا الحدود سوف ينفصلون من المعسـكر وفاعلو الشر من أبناء يهـوذا (٢٦) [كـان أصـحاب هـذه الخطوات فريقًا من اليهود يعيشون في البرية بعيدا عن بقيـة بني إسرائيل في معسكرات] لكن أولئـك الـذين يتمسـكون بالشرائع الأولى. (٢٧) ويطيعون المعلم (النبـي المنتظـر) ويعترفون أمام ا (٢٨): لقد ارتكبنا الإثم نحن وآباؤنا فـي سيرنا على غير ما يقول العهد (٢٩) أحكامك علينا صـادقة وصحيحة" ولا يرفعون يدا علـى شـرائعه المقدسـة (٣٠) وأحكامه الصادقة وبراهينه الصحيحة وائتمروا بقوانينه (٣١) التي يحتكم بها رجال الجماعة (معسكر هـذا الفريـق مـن اليهود) وأطاعوا معلم الصدق (المسيا) ولم يرفضوا الشرائع (٣٢) الحقة حين يسمعونها، أولئك الرجال سوف يبتهجـون ويسعدون، سوف يصبح قلبهم قويا وسوف يظهـرون (٣٣)

(يسودون) فوق كل سكان العالم، سوف يغفر ا لهم وسوف يرون خلاصة لأنهم اعتصموا في اسمه المقدس [1] (وثيقة دمشق (١٨: ١٧ – ٣٤).

= هذه الفقرة من وثيقة دمشق تؤكد ما ذهبنا إليه في تفسيرنا.

... فقوله في أول الفقرة إن كتاب التذكرة سوف يكتب حتى يوحي الخلاص والصدق لخائفي الرب، يفهم منه أن هذا الكتاب سوف يكتب ويكون عند الرب حتى يكون إذنه بوحي الخلاص والصدق إلى المسيا، وبالتالي إلى منتظريه. بذلك يخرج هذا الكتاب ويتحرر.. وطالما هذا الكتاب هو وحي ا لأتباع المسيا، فلابد أن يكون القرآن الكريم.

..كذلك تتكلم هذه الفقرة بوضوح من أولها لآخرها عن منتظري المسيا "الذين ينتظرون من أجله" – "يطيعون المعلم" – "أطاعوا معلم الصدق" وهذا يؤكد أن كتاب التذكرة خاص بهم كما أكد من قبل "آدم كلارك" في تفسيره لنبوءة "ملاخي" كما أسلفنا.

---

(1) "The Damascus covenant" by Philip R.

*** كذلك هذه الوثيقة تحل إشكالية كلمة "تميـزون مـرة ثانية" لأنها تدعو إلى التمسك بالشرائع الأولى أولاً وطاعـة شرائع معلم الحق (المسيا) ثانية. (٢٧، ٢٨).**

أيضا توصي هذه الفقرة باتباع النبي المنتظر وعدم رفض شرائعه المقدسة، والبراهين التي يأتي بها وهذا مسـتغرب؛ إذ أن اليهود ينتظرون المسيا بفارغ الصبر فكيف يكذبونـه. لكن هذا ما حدث بالفعل مع محمد ﷺ؛ إذ كفر به اليهود ولـم يتبعه إلا فريق صغير منهم كما ذكرت أيضا "هذه الفقرة من وثيقة دمشق".

..ومن غريب أن هذه الوصية تجدها في القرآن الكـريم؛ إذ دعا موسى ربه ورد عليه المولى عز وجل – وكان معـه سبعين رجلاً "اختارهم فقال":

﴿ واكْتُب لنَا فِي هذِهِ الدنْيا حسنَةً وفِي الآخِرةِ إِنا هـدنَا إِلَيك قَالَ عذَابِي أُصِيب بِهِ من أَشَاء ورحمتِي وسِـعتْ كُـل شَيءٍ فَسأَكْتُبها لِلذِين يتقُون ويؤْتُون الزكَـاةَ والـذِين هـم بِآياتِنَا يؤْمِنُون * الذِين يتبِعون الرسولَ النبِي الأُمي الـذِي يجِدونَه مكْتُوبا عِنْـدهم فِـي التـوراةِ والإِنْجِيـلِ يـأْمرهم بِالمعروفِ وينْهاهم عن الْمنْكَرِ ويحِلُ لَهم الطيباتِ ويحـرم

عليهم الْخَبائِثَ ويضع عنْهم إِصرهم والأغْلالَ التِي كانَتْ عليهم فَالذِين آمنُوا بِهِ وعزروه ونَصروه واتبعوا النور الذِي أُنْزِلَ معه أُولئِك هم الْمفْلِحون ﴾ [الأعراف: ١٥٦، ١٥٧].

ذكرت هذه الفقرة القرآنية أيضا "أن من صفات النبي المنتظر في التوراة أن يأتي بشريعة (أمر ونهي) تماما كما ذكر في وثيقة دمشق التي نحن بصددها (٢٨، ٣١ – ٣٣) ففيها أمر باتباع الشرائع السابقة واتباع شريعة المسيا كذلك.

ومن القرائن أيضا في هاتين الآيتين دعاء موسى بحسنتي الدنيا والآخرة الذي نجده في وعد ا في آخر وثيقة دمشق ٣٣ – ٣٤" وسوف يظهر فوق كل سكان الأرض، سوف يغفر ا لهم".

= هذه الفقرة من وثيقة دمشق بها العديد من المواضع الأخرى تتكلم فيها عن منتظري نبي آخر الزمان، كما تكلم القرآن عن منتظري النبي ﷺ من أهل الكتاب، فآخر العدد ٣٢، ٣٣ "... ويطيعون معلم الصدق (المسيا) ولا يرفضون الشرائع الحقة حين يسمعونها..".

تذكرنا بقوله تعالى: ﴿ **الذِين آتَيناهم الْكِتَاب مِن قَبلِهِ هم بِهِ يؤْمِنُون * وإِذَا يتْلَى عليهم قَالُوا آمنا بِهِ إِنه الْحق مِن**

ربنَا إِنا كُنا مِن قَبلِهِ مسلِمِين * أُولَئِك يؤْتَون أَجرهم مرتَين بِما صبروا ويدرؤُون بِالْحسـنَةِ السـيئَةَ ومِمـا رزقْنَـاهم ينْفِقُون ﴾ [القصص: ٥٢ – ٥٤].

- كذلك بقية العدد ٣٣ "... أولئك الرجال سوف يبتهجون ويسعدون وسوف يصبح قبلهم قويا..." يذكرنا مباشرة بقولـه تعالى: ﴿ **ولِيعلَم الَّذِين أُوتُوا الْعِلْم أَنه الْحق مِن ربك فَيؤْمِنُوا بِهِ فَتُخْبِتَ لَه قُلُوبهم وإِن ا َ لَهادِ الَّذِين آمنُوا إِلَى صِـراطٍ مستَقِيمٍ** ﴾ [الحج: ٥٤].

- وقوله في آخر ٣٣، ٣٤ ".. سوف يظهرون فوق كـل سكان الأرض.." تذكرنا بآخر سـورة الصـف": ﴿ **فَآمنَـت طَائِفَةٌ من بنِي إِسرائِيلَ وكَفَرت طَائِفَةٌ فَأَيدنَا الـذِين آمنُـوا علَى عدوهِم فَأَصبحوا ظَاهِرِين** ﴾ [الصف: ١٤].

- كما توجد فقرة قرآنية أخرى في هذا المجال: ﴿ **يا أَيها الناس قَد جاءكُم برهان من ربكُم وأَنْزلْنَا إِلَيكُم نُورا مبِينًا * فَأَما الَّذِين آمنُوا بِا ـ واعتَصموا بِهِ فَسيدخِلُهم فِـي رحمـةٍ منْه وفَضلٍ ويهدِيهِم إِلَيهِ صِراطًا مستَقِيما** ﴾ [النساء: ١٧٤، ١٧٥].

- وقوله تعالى: ﴿ **قَد جاءكُم برهان من ربكُم** ﴾ تـذكرنا بكون منتظري المسيا في العدد ٣٠، ٣١ لا يرفعون يدا على

البراهين الصادقة حتى يسمعونها وقوله: ﴿ **واعتَصموا بِهِ** ﴾ يذكرنا بآخر وثيقة دمشق "... لأنهم اعتصـموا فـي اسـمه المقدس".

* * *

(و) حوضه ﷺ في السماء

الكوثر

﴿ **إِنا أَعطَينَاكَ الْكَوثَر فَصل لِربك وانْحر إِن شَانِئَك هـو الأبتَر** ﴾ [سورة الكوثر].

- "إني لبعقر حوضي يوم القيامة أذود النـاس لأهـل اليمين، وأضربهم بعصاي حتى يـرفض (يزيـد). فسئل عن حوضه فقال: من مقـامي إلـى عمـان. شرابه أشد بياضا من اللبن وأحلى من العسـل..." [رواه أحمد ومسلم عن ثوبان].

- "بينما أنا أسير في الجنة؛ إذ عرض لي نهر حافتـاه قباب اللؤلؤ المجوف، قلت يا جبريل ما هذا؟ قـال: هذا الكوثر الذي أعطاكـه ا .." (رواه البخـاري ومسلم عن أنس).

الكوثر نهر في الجنة يسقي منه النبي ﷺ أتباعه، يوصـف ماء هذا النهر كما ورد في الحديث المذكور، بأنه أشد بياضا من اللبن وأحلى من العسل.

وقد كنت أقرأ فقرة في العهد الجديد فـي رؤيـا يوحنـا أحسبها عليه:

"وكان يبدو وكأنه بحرا شفافًا مثل البلاـور يمتـد أمـام العرش" (رؤيا يوحنا ٤: ٦)، لكني وجدت بعد ذلك في بعض كتب الأبوكريفا [1] أوصافًا أكثر دقة، فكتاب "رؤيـا بـولس" "Apocalypse Of Paul" يذكر فـي آخـر الفصـل الثـاني والعشرين أن بولس رأى في معراج له في السماء نهرا ماؤه أشد بياضا من اللبن واسمه "أكروسا" Acherusa ويقـع فـي مدينة المسيح.

And after that be took me out of that place where I saw these things,…, and the waters of it were white exceedingly, more than milk, and I said to he angel: what is this? And he said to me: this is the lake Acherusa where is the city of Christ?

وقد ذكر اسم هذا الحوض كذلك في رؤيا بطرس.

وهو من كتب الأبوكريفا كتب في القرن الثـاني – ذكـر الاسم هكذا "اكروسجا".

---

(1) راجع باب "بعض المصطلحات" وقد كتب هذا الكتاب في القـرن الرابع الميلادي.

= التطابق في الصفة واضح بين المصـادر الإسـلامية والكتابية. كما يوجد شبه في الاسم كذلك "الكوثر – أكروسا" وإن كانت الكتب المسيحية قد كتبت باليونانية.

- وقد وجد ذكر هذا الحوض باسمه أيضا في كتب اليهود السابقة للكتب المسيحية المذكورة والتي كتبت فـي الأصـل بالعبرية القريبة من العربية.

فكتاب "آدم وحواء" [1] المكتوب في الأصل بالعبرية ذكر فيه الحوض "وقد علق العلامة "تشارلز" في كتابه المـذكور في الهامش على هذا الاسم بأن المحتمل أنه الأصـل لـذلك المذكور في رؤيا بولس، وذكر في هامش صـفحة ١٣٠ أن مترجم الكتاب من اللغة السامية (عبريـة أو آراميـة) إلـى اللاتينية قد أخطأ في ترجمة بعض الفقرات.

فليس ببعيد أن تكون "الكوثر" قد حرفت إلى "أكروسا".

---

(1) من كتاب السوديبيجرافا، كان متداولاً بين اليهـود وأخـذه عـنهم النصارى أقدم مخطوطة له تعود للقرن الثامن أو التاسع، كتب في الأصل في القرن السابع مبنيا على مصدر عبري أو آرامي أقدم – مقدمة كتاب آدم وحواء في كتاب: Pseudepigrapha of The Old Testament

هذه الفقرة في كتاب آدم وحواء تتكلم عـن تغسـيل آدم بواسطة الملائكة بعد وفاته في بحيرة هي Acherusian Lake بحيرة أكروسا [1].

العجيب أن هذه القصة ذكرت فـي الحـديث الشـريف الصحيح: "لما توفي آدم غسلته الملائكة بالماء وترا وألحدوا له وقالوا: هذه سنة آدم في ولده" (رواه الحاكم في المستدرك عن أبي وصححه الألباني).

* * *

(1) الفقرة ٣٧ من كتاب آدم وحواء نص Apocolypsis Moses

(ز) صفاته ﷺ

ليس هذا الباب – حقيقة – بداية كلامنا عن صفات رسول الله ﷺ في كتب السابقين، فقد ذكر في ثنايا النبوءات السابقة العديد من هذه الصفات، مثل كونه من نسل إبراهيم لكنه يخرج من وسط الوثنيين الذين يكذبونه ويضطهدونه في أول الأمر، ثم يتبعونه بعد ذلك (مخطوطات البحر الميت. رؤيا إبراهيم) وكونه وأتباعه محطمون للإمبراطورية الرابعة المذكورة في سفر دانيال في التوراة ألا وهي الإمبراطورية الرومانية (راجع فصل "مملكة الله" الدولة الإلهية) كذلك ذكر الإسلام والكوثر والكعبة والقرآن في الفصول السابقة هو من صفاته ﷺ.

إلا أننا في هذا الباب ونعني بصفاته المباشرة في خَلْقه وخُلقه وسيرته لا صفة الأشياء التي تتعلق به..

نجد أغلب هذه الصفات في التوراة في سفر شعيا وسفير المزامير... بشكل عام ومكرر تتكلم هذه الأسفار عن أربع صفات لنبي آخر الزمان:

أولاً: كونه صاحب شريعة.

ثانيا: كونه محارب منتصر.

ثالثًا: له علاقة وثيقة بالصحراء.

رابعا: له علاقة حميمة بالحمد.

آخر صفتين ذكرناهما – خاصة – لا تكاد تخلـو منهمـا نبوءة مسيحانية (لها علاقة بالمسيح المنتظـر، نبـي آخـر الزمان).

= **أما عن الصحراء**: فنقرأ عنها على سبيل المثـال فـي شعيا (٤٠: ٣) "صوت صارخ: أعدوا في الصحراء طريقًـا للرب". ومثل ذلك في شعيا ٤٢ (١ – ١٥) و٢١: ١٤ و٣٢: ٢، ٣٢: ١٦ و٣٥: ١ و٤٣: ١٩. وفـي المزمـور ٦٨: ٤ وغير ذلك كثير.

وقد فهمت طائفة اليهود الأسينيين التي انعزلت عن بقيـة اليهود ١٠٠ عام قبل الميلاد إلى صحراء البحر الميت فـي قمران، والتي كُشفت مخطوطاتها حديثًا هذا الفهم عن علاقة نبي آخر الزمان بالصحراء فخرجوا لانتظاره فيها.

= **وأما عن "الحمد"** فقد أفردنا له بابا كـاملاً "اسـمه ﷺ" [البريكليت – الحمد].

= نبدأ هذا الباب بذكر نبوءة طويلة في سفر شعيا...

شعيا ٤٢

"هو ذا عبدي الذي أعضده، مختاري الذي ابتهجـت بـه نفسي، وضعت روحي عليه ليسوس الأمم بالعدل، لا يصيح ولا يصرخ ولا يرفع صوته في الطريق، لا يكسـر قصـبة مرضوضة، وفتيلة مدخنة ولا يطفئ؛ إنمـا بأمانـة يجـري عدلاً، لا يكل ولا تثبط له همة حتى يرسخ العدل في الأرض وتنتظر الجزائر شريعته، أنا الرب دعوتك لأجل البر وأخذت بيدك وحفظتك، وجعلتك عهدا للشعب ونورا للأمـم، لتفـتح عيون المكفوفين وتطلق سراح المأسـورين فـي السـجن.. لتهتف الصحراء ومدنها وديار قيدار المأهولة، ليتغن بفـرح أهل سالع، وليهتفوا من قمم الجبال، وليمجدوا الرب ويذيعوا حمده في الجزائر. يبرز الرب كجبار، يستثير حميتـه كمـا يستثيرها المحارب ويطلق صرخة حرب... وأقود العمى في سبيل لم يعرفوها من قبل، وأهديهم فـي مسـالك يجهلونهـا وأحيل الظلام أمامهم إلى نور، والأماكن الوعرة إلـى أرض ممهدة. هذه الأمور أصنعها ولن أتخلى عنهم، أما المتوكلـون

على الأصنام، القائلون للأوثان أنتم آلهتنا، فـإنهم يـدبرون مجللين بالخزي" (سفر شعيا ٤٢: ١ – ١٧).

الواقع أني ترددت في ذكر هذه الفقرة، لأنها ذكرت كثيرا من قبل في كتب علماء مقارنة الأديان، وقـد تكلمـوا عـن التشابه الواضح بين صفات الشخصية صاحبة هذه النبـوءة وبين صفات النبي ﷺ في القرآن وسـيرته، لكنـي وجـدت ورأيت أنها من القوة؛ بحيث لا يمكن الملل من تكرارها، كما أنها بها عدة مواضع لم يتكلم عنها من ذكرها من قبل.

= فقوله "لا يكسر قصبة مرضوضة "يذكرنا بقول النبـي ﷺ: "مثل المؤمن مثل النحلة، إن أكلت طيبـا، وإن وضـعت وضعت طيبا، وإن وقفت على عود نخر لم تكسره..." (رواه البيهقي عن ابن عمرو).

= ولقب عبدي ذكـر فـي أول سـورة الفرقـان، وأول الإسراء، والجن ١٩، والبقرة ٢٣، وكثيـر مـن المواضـع الأخرى.

= كذلك لقب "المختار" أو المصطفى وهو لقب شهير عند المسلمين للنبي عليه الصلاة والسلام.

= "لا يكل ولا تتبت له همة ("ولا ينكسر" في نصوص أخرى) حتى يرسخ العدل في الأرض" يذكرنا بقوله تعالى عن الدعوة الإسلامية في القرآن: ﴿ **يريدون أن يطفئوا نور الله بأفواههم ويأبى الله إلا أن يتم نوره ولو كره الكافرون** ﴾ [التوبة: ٣٢].

وذكر هذه الجزئية قبلنا الأستاذ نظمي لوقا في كتابه "محمد الرسالة والرسول" ص٢٥.

= "الشريعة" المذكورة جاء بها محمد ﷺ ﴿... **فاحكم بينهم بما أنزل الله ولا تتبع أهواءهم عما جاءك من الحق لكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجا** ﴾ [المائدة: ٤٨]. والمعروف أن عيسى لم يأت بشريعة "لا تظنوا أني جئت لأنقض الناموس" (متى ٥: ١٧) كما أن مؤلفي رسائل الرسل في العهد الجديد كانوا يتكلمون دائما عن الشريعة على أنها أوامر موسى، وأنهم قد تحرروا منها أو تبرروا مجانًا "فهم يبررون مجانًا بنعمته بالفداء بالمسيح يسوع" (روما ٣: ٢٤).

= "... وأخذت بيدك وحفظتك" يذكرنا بقوله تعالى للنبي ﷺ: ﴿ **يا أيها الرسول بلغ ما أنزل إليك من ربك وإن لم تفعل فما بلغت رسالته والله يعصمك من الناس** ﴾ [المائدة: ٦٧].

- هذا أيضا مما ذكره الأستاذ نظمي لوقا في كتابه سالف الذكر.

= التعبير عن النبي المنتظر "بالنور"، يتفق مـع التعبيـر القرآني عن محمـد ﷺ (الأحـزاب ٤٦، المائـدة ١٥، ١٦، الأعراف ١٥٧ وغير ذلك كثير).

= كذلك ذكر ديار قيدار وسالع وهي مواضع في الحجاز.

= "وليهتفوا من قمم الجبال ويمجدوا الـرب"... لا يفعـل ذلك إلا حجاج المسلمين (أتباع محمـد ﷺ)... فـوق جبـال عرفات ويسبحون ويكبرون.

= كون النبي المنتظر يأتي بصرخة حرب لا يتفق وحياة المسيح عيسى، وإن قيل إن هذا سيحدث في مجيئه الثـاني. فإنه على قولهم – يتضح ذلك كثيرا في رؤيا يوحنا – سيأتي بحرب ليحطم أعداءه لا ليقوده العمي في مسالك يجهلونها – كما تقول الفقرة اللاحقة.

= أما انتصار صاحب النبوءة على عباد الأصنام كما ذكر في آخرها فلا يحتاج لتعليق، فعيسى لم يلتق في حياته بعبـاد أصنام. أما محمد ﷺ فقد ظهر في شعب يعبد الأوثان وانتصر

عليه – وهذا ما أكدته مخطوطات البحر الميت – كتاب رؤيا إبراهيم – وقد ذكرنا ذلك في فصل الساعة ١٢.

= مسألة الأمم أيضا فيها تعليق – نورا للأمـم، "يسـوس الأمم" فإن المسيح عيسى قال:

= "ما أرسلت إلا إلى الخراف الضالة، إلى بيت إسرائيل" (متى ١٥: ٢٥) بل إن بطرس هو أول من خرج بالمسـيحية عن نطاق اليهود؛ بسبب رؤيته المذكورة في أعمال الرسـل (١١). أو لعله بطرس وبرنابا" ولما وصلا استدعيا الكنيسـة إلى الاجتماع، وأخبرا (بولس وبرنابا) بكـل مـا فعـل ا بواسطتهما، وبأنه فتح باب الإيمان لغير اليهـود". (أعمـال الرسل ١٤: ٢٧) [1].

* أغلب ما ذكر آنفًا ورد في كتب سابقة، لكنـي أود أن ألفت النظر إلى أربع مسائل:

١- يتكرر في هذه النبوءة مثل غيرهـا مـن النبـوءات المسيحانية في العهـد القـديم، يتكـرر فيهـا ذكـر

(1) الواقع أن هذا يناقض فقرة في الإنجيل، يأمر فيها أتباعه أن يتلمذوا الأمم.

"الصحراء" "والحمد" بشكل ملفت للنظـر، والعلاقـة بينهما وبين محمد ﷺ واضحة، ولا علاقة لهما علـى الإطلاق بعيسى.

٢- التماثيل بين قوله: "وسنطلق سراح المأسـورين فـي السجن" وبين قوله عز وجل: ﴿ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا عِنْدَهُمْ فِـي التَّـوْرَاةِ وَالْإِنْجِيلِ يَأْمُرُهُمْ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِـثَ وَيَضَـعُ عَـنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالْأَغْلَالَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ... ﴾ [الأعراف: ١٥٧].

٣- التماثيل الخطير بين قوله: "وأقود العمي في سبل لـم يعرفوها من قبل، وأهديهم في مسالك يجهلونها وأحيل الظلام أمامهم إلى نور، والأماكن الوعرة إلـى أرض ممهدة" (شعيا ٤٢: ١٦) وبين قوله عز وجل عن النبي ﷺ: ﴿ يَهْدِي بِهِ اللَّهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْـوَانَهُ سُـبُلَ السَّـلَامِ وَيُخْرِجُهُمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِهِ وَيَهْدِيهِمْ إِلَـى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴾ [المائدة: ١٦].

٤- ذكر الأصنام في آخر النبوة لابد أن يكون له علاقـة بالنبي الذي لابد أنه سيكون محطما لهـا، يعضـد أن

يكون المقصود محمد ﷺ الذي نشأ وسط عبادها ثم حطمها لا عيسى الذي لم يخالط وثنيين قط، نرجع في ذلك لآخر الفصل الأول من الباب الأول (الساعة ١٢)؛ حيث ذكرت مخطوطات البحر الميت المكتشفة حديثًا نفس ما ذهبنا إليه، هذا يجعل تفسيرنا قاطعا.

* * *

خاتم النبوة

كما وجدنا من قبل ذكر في كتب أهل الكتـاب لصـفات النبي ﷺ معنوية، وجدنا كذلك الجسدية، مثل خاتم النبوة...

ذكر شعيا في سفره نبوءة عن إحدى صفات النبي المنتظر فقال:

"لأنه يولد لنا ولد ويعطي لنا ابن [١] يحمل الرياسة علـى كتفه" (شعيا ٩: ٦)، كما ذكر يوحنا ذلك أيضا: "لا تسـمعوا وراء الطعام الفاني، بل وراء الطعام البـاقي إلـى الحيـاة الأبدية، والذي يعطيكم إياه ابن الإنسان [٢]، لأن هذا [٣] قـد وضع ا   ختمه عليه" (يوحنا ٦: ٢٧).

(1) يستخدم "اليهود لفظ ابن ا   وأبناء ا   على سبيل المجاز" إنكم أبناء ا   تدعون.

(2) تعبير يذكر في العهد القديم لنبي آخر الزمان.

(3) أضاف طبعة كتاب الحياة للكتاب المقدس كلمة "الطعام" بعد "هـذا" حتى يكون الطعام هو المقصود بالختم مخالفـة، بـذلك الطبعـات الأخرى التي تقول: إن المقصود هو ابن الإنسان.

يفسر أهل الكتاب هذا الخاتم تفسيرا معنويا لا ماديـا؛ أي إنه دليل عظمة ورياسـة فقـط، والحـق أن المعنـى فـي الموضعين السابقين يحتمل هذا وذاك.

*** يفصل في هذا الأمر، الخاتم جسـدي أم معنـوي. المخطوطات الكتابية المكتشفة حديثًا ألا وهـي مخطوطـات البحر الميت المكتشفة عام ١٩٤٧م التي كتبت فـي خـلال القرن الأول قبل وبعد ميلاد المسيح عيسى.

ذكرت هذه المخطوطـات (٢: ١ Messq 40) أن هنـاك علامات على جسد النبي المنتظر تشبه حبات العدس.

كذلك ذكر في كتاب من كتـب اليهـود القديمـة (كتـب المركبة) (Seper Assap) ذكر في هـذا الكتـاب أن هـذه العلامات الجسدية بعضها مثل حبات العدس، وبعضها مثـل بذور الخيار [١].

هذا يتفق مع نبي الإسلام عليه الصلاة والسـلام، فمـن المعروف عنه وجود خاتم النبوة بين كتفيه.

---

(1) مقدمة سفر أخنوخ الثالث في كتاب:

Pseudepigrapha of The Old Testament (Schneemelcher) P. 250.

ذكر ذلك الصحابي سلمان الفارسي في نهاية سرده لقصة إسلامه بعد بحثه الطويل عن الحقيقة الذي دفعه إلى ترك ثراء أبيه، ودفعه للرق، ثم اتبع النصارى الموحدين وعلم منهم صفات نبي آخر الزمان، ثم اختبر محمد عليه الصلاة والسلام في هذه الصفحات، وكان آخرها خاتم النبوة "... ثم أتيته فوجدته في البقيع، قد تبع جنازة وحوله أصحابه وعليه شملتان مؤتزرا بواحدة، مرتديا الأخرى، فسلمت عليه، ثم عدلت لأنظر أعلى ظهره، فعرف أني أريد ذلك، فألقى بردته عن كاهله، فإذا العلامة بين كتفيه.. خاتم النبوة، كما وصف لي صاحبي.." (رواه أحمد والطبراني وابن سعد عن ابن عباس).

ذكر ذلك أيضا الصحابي عبد ا بن سرجس: "أتيت رسول ا ﷺ وهو جالس في ناس من أصحابه، فدرت خلفه هكذا، فعرف الذي أريد، فألقي الرداء عن ظهره، فرأيت موضع الخاتم على نغض كتفه مثل الجمع حوله خيلان، كأنها الثآليل" [١] رواه مسلم والترمذي والنسائي.

---

(1) نغض كتفه: أعلى كتفه وقيل هو العظم الرقيق الذي على طرفه.

=

= قليل من التأمل يظهر لنا التطابق بين ما ذكر في هذين الحديثين وما ذكر في كتب اليهود المذكورة قبلهـا خاصـة كتاب (Seper Assap) الذي يذكر أن خاتم النبوة مكون مـن جزئين، كما روى عبد ا بن سرجس.

* * *

=

الجمع: جمع الكف هو أن يجمع الأصابع وضمها.

الثآليل: الحبة في الجلد كالحمصة فما دونها.

" نبينا مثلي"

نعود مرة أخرى إلى الصفات المعنويـة للنبـي ﷺ فـي التوراة بذكر نبوءة في سفر "التثنية" (١٨: ١٧، ١٨).

"قال لي الرب (لموسى): قد أحسنوا في ما تكلموا، أقـيم لهم نبيا من وسط إخوتهم مثلك وأجعل كلامي في فمه فيتكلم بكل ما أوصيه به".

هذه نبوءة مسيحانية مشهورة في التوراة يفسرها النصارى على أنها تشير إلى المسيح عيسى، وحجتهم في ذلك أنـه أي عيسى مثل موسى مـن بنـي إسـرائيل، الإنجيـل طبعـة الأرثوذكس في مصر (كتاب الحياة) يضيف (بجرأة شـديدة) إلى جانب كلمة "مثلك" كلمة "من بني إسرائيل"... معنى ذلك أنهم يفسرون كلمة "من وسط إخوتهم" أي من بني إسـرائيل أنفسهم... وهذا يتناقض مع التوراة نفسها التي تفسـر فـي مواضع أخرى هذه الكلمة "من وسط إخوتهم" على أنها تعني "من بني عمومتهم"...

"ها أنتم عابرون بتخوم إخوتكم بني عيسو." (تثنية ٢: ٤).

"فاجتزنا بإخواننا بني عيسو المقيمين في سعير." (تثنية ٢: ٨٩).

النبي المنتظر إذن – حسب هذه النبوءة يكون من بني عمومة الإسرائيليين أي أبناء عيسو أو أبناء إسماعيل، هذا عن تفسير كلمة "من وسط إخوتهم".

= أما عن تفسير كلمة "مثلك" ففيها بحث..

ما وجه التشابه بين عيسى وموسى سوى أن هذا نبي وذاك نبي.. [١] من بني إسرائيل.

أما عن التماثل بين موسى وبين محمد ﷺ فحدث ولا حرج.. وأفضل ما كُتب في هذا المجال جدول نجده في كتاب "محمد في الكتاب المقدس" د. جمال بدوي [٢]..

---

(1) النبي المماثل حقيقة لعيسى هو ابن خالته يحيى – لذلك يقرن القرآن دائما بينهما – فيتشابهان في القرابة والميلاد المعجز والحالة الاجتماعية وغير ذلك.

(2) دار البشير – ترجمة علي الجواهري ص١٠٤.

وجه المقارنة	موسى	محمد	عيسى
الميلاد	وُلِد لأب وأم كالمعتاد	وُلِد لأب وأم كالمعتاد	وُلِد بطريقة خارقة للعادة
الحالة الاجتماعية	تزوج وأنجب	تزوج وأنجب	لم يتزوج فلم ينجب
الوفاة	توفاه ا كالمعتاد	توفاه ا كالمعتاد	حاول أعداؤه قتله صلبا – غير معتادة
المهنة	نبي ومشرع جاء بشريعة	نبي ومشرع جاء بشريعة	نبي لم يأت بشريعة
الاضطرار للهجرة	انتقل إلى مدين	هاجر إلى المدينة المنورة	لم يهاجر
محاربة الأعداء	طارده فرعون وجنوده	طارده الكفار وحاربوه	لم يخض غمار أي حروب
نتائج الحروب	نصر معنوي ومادي ملموس	نصر معنوي ومادي ملموس	نصر معنوي فقط
تدوين الوحي الإلهي	وحي إلهي مكتوب في حياته (التوراة)	وحي إلهي مكتوب في حياته (القرآن)	**كُتِب الوحي بعد رفعه بعشرات السنين**
طبيعة التعاليم	روحية وتشريعية	روحية وتشريعية	روحية في غالبيتها
قبول قومه لرسالته	رفضٌ في البداية وقبول بعد حين	رفضٌ في البداية وقبول بعد حين	رفضٌ مستمر من الغالبية العظمى من بني إسرائيل

= أما عن تفسير كلمة "اجعل كلامي في فمه"، فيفهم منـه أنه بينما جعل ا رسالته إلى موسى فـي صـورة ألـواح

مكتوبة، "نجد أن وضع ا كلامه في فـم رسـول ا مـن رسله، إنما هو تعبير فعمم بالحيوية لوصف ذلك الخط مـن أنماط الوحي الذي تلقاه محمد ﷺ. لقد كان جبريل عليه السلام يأتي ويقرئه قدرا من القرآن الكريم.. إن آيات كثيـرة مـن القرآن الكريم تبدأ باستخدام اللفظ "قل" أو "ذكـر" أو "نبـئ" وتبدأ آيات قرآنية أخرى: "وقال ربكم". هذا، بينما نجد آيات تبدأ بقول ا "ويسألونك... قل.." [1].

= إذن هذه النبوءة تبشـر بنبـي مـن بنـي عمومـة الإسرائيليين (بني عيسو أو بني إسماعيل) وهذا النبي تتعدد أوجه الشبه بينه وبين موسى حتى تكاد تتماثل، ويتكلم هذا النبي بوحي يصفه ملاك للرب على لسانه، وليس مكتوبـا على ألواح مثل موسى.

ألا ينطبق هذا على محمد ﷺ من بني إسـماعيل (بنـي عمومة الإسرائيليين) تكاد تتماثل أوجه الشبه بينـه وبـين موسى ووضع ا كلامه في فمه كما وصفنا؟

---

(1) "محمد في الكتاب المقدس" د. جمال بدوي – دار البشير ص١١٤ – ١١٦.

= يجدر أن نذكر هنا أيضا أن التوراة تقول في موضـع آخر "ولم يقم بعد ذلك نبي في إسرائيل مثل موسى يعـرف الرب وجها لوجه" (تثنية ٣٤: ١٠) إذن مثيل موسى يجب أن يكون من غير بني إسرائيل.. [هذا ما ذكره السـيد "بشـري زخاري ميخائيل" في كتابه "محمد رسول ا ﷺ" هكذا بشرت به الأناجيل].

* * *

"النبي أنت"

"وهذه هي شهادة يوحنا، حين أرسل اليهود من أورشـليم كهنة "ولاويين" ليسألوه: من أنت؟ فاعترف ولم ينكر، وأقر: أني لست أنا المسيح، فسألوه: إذًا ماذا؟ إيلياء أنـت؟ فقـال: لست أنا النبي أنت؟ فأجاب: لا" (يوحنا: ١: ١٩ – ٢١).

فسر بعض علماء المسلمين هذه المصطلحات الثلاث: ١- المسيح. ٢- إيليا. ٣- النبي. على أن الأول: للمسيح عيسى (كما يتضح من ظاهر النص).

والثاني: ليحيى (يوحنا) – مع أنه نفسه رفض ذلـك فـي ذات النص، لكن حجته أن الإنجيل في موضـع آخـر أقـر بذلك.. ".. إن إيلياء قد جاء ولم يعرفوه – حينئذٍ فهم التلاميذ أنه قال لهم عن يوحنا المعمدان" (متى ١٧: ١٢ – ١٣) مـع الإنجيل كما أسلفنا مباشرة في الموضع السابق يرفض ذلـك

على لسان يوحنا [١] – وهكذا يناقض الإنجيل نفسـه بشـكل واضح.

ويفسرون الثالث: على أنه للنبي محمد ﷺ.. وحجته فـي ذلك إن الإنجيل فسر المصطلح الأول والثاني، ولـم يفسـر الثالث..

= الحق أن هذا التفسير مثله مثل التفسير المسيحي يناقض نفسه – ومظهر اللبس هو الخلل في فهـم لفـظ "المسـيح". فالمسيح عيسى مسيحٌ فقط وليس المسيح المنتظر الذي يعني "المسيا" وهو كذلك "نبي آخر الزمان". فإن التوراة تسـتخدم لفظ مسيح لأغلب الأنبياء كداود مثلاً.

ثم لم يجبنا صاحب هذا التفسير ولم يجبنا كتاب الإنجيـل من قبله لماذا يصبح "يوحنا" هو "إيليا"؟

= كما أنه من مظاهر التناقض في النصوص الإنجيلية في هذا الأمر أيضا... إذ نقرأ قولاً لعيسى يقول: "فهذا هو إيلياء المزمع أن يأتي. من له أذنان للسمع فليسمع.." (متـى ١١:

(1) لماذا ينكر يحيى في الإنجيل أنه نبي؟ ولماذا من بعده فيـه أيضـا ينكر عيسى أنه – في زعمهم – المسيح المنتظر؟ لماذا الإخفاء؟

١١ – ١٥) "ففي هذا النص: تصريح بظهور إيلياء من بعده. وفي نص جبل التجلي (الذي ذكرناه قبل قليل) تصريح بـأن إيلياء قد ظهر من قبل عيسى عليه السـلام. فـأي النصـين تصدق؟ [١].

*** = التفسير الصحيح هو أن: المسيح هو إيليا هو النبي الذي هو النبي المنتظر نبي آخر الزمان.**

الدليل على ذلك نجده في مخطوط ذكرها القديس الأشهر أوغسطينوس عام ٤٢٠م.. "حينما سأل الرسل الـرب عمـا يقوله عن أولئك الأنبياء، الذين أعلنوا أنه جاء إلـى العـالم القديم في وقت ما، اضطرب يسوع بالروح لأن أفكارا مثـل هذه تراودهم]... [قالوا (أي اليهود): إن المسـيا لابـد وأن يكون ملكًا من ملوك العهد القديم من الموت.. وآخرون قالوا إنه الملك داود أو النبي إيلياء] [٢].

---

(1) "المسيا المنتظر" د. أحمد حجازي السقا – ص٢٣٣.

(2) "أقوال المسيح غير المدونة" يواكيم إرميا – ترجمة د. عزت زكي. ص٨٩.

أي أن "المسيح" هو ذاته "النبي" هو ذاته "إيليا" الذي كـان يظن بعض اليهود أن المسيح المنتظر سيأتي وفيه روح النبي القديم "إيليا"، والذي كان قد قتله اليهود. وإن لم يكـن "إيليـا" فداود أو غيره من الأنبياء القدماء.

لهذا فإن النص المكافئ لذلك في إنجيـل "برنابـا" الـذي يرفضه النصارى أكثر دقة في ذلك.. إذ ذكر أن كون نبـي آخر الزمان كان يعتقد أن يكون إعادة حياة لإيليا أو غيره من الأنبياء..

"فإن رؤساء الكهنة تشاوروا فيما بينهم ليسقطوه بكلامـه، لذلك أرسلوا اللاويين وبعض الكتبة يسألونه قائلين: من أنت؟ فاعترف يسوع [١] وقال: الحق أني لست مسيا. فقالوا: أأنت إيلياء أو أرمياء أو أحد الأنبياء القدماء؟ أجاب يسوع: كـلا. حينئذ قالوا: من أنت؟ قل، لنشهد للذين أرسلونا. فقال حينئـذٍ يسوع: أنا صوت صارخ في اليهودية كلها. يصرخ أعـدوا طريق رسول الرب، كما هو مكتوب في أشعياء" [٢].

(1) الأناجيل القانونية تجعل هذا الكلام على لسان يحيى (يوحنا).

(2) برنابا ٤٢: ٣ – ١٢.

* قد يقول قائل هنا... قد أقررنا بتفسيرك أن لفظ المسيح في هذه النبوءة هو ذاته يعني النبي، وهو يعني كذلك إيلياء.. ما علاقة ذلك بمحمد ﷺ؟.. نقول إن لفظ "إيلياء" ذاتـه هـو "أحمد" بحساب معروف تماما عند اليهـود فـي النبـوءات يسمونه "حساب الجمل".. بل إن ذلك نجده في العهد الجديـد في رؤيا يوحنا حين تكلم عن الوحش.

نعود إذًا إلى إيلياء بحساب الجمل وكونه يعني أحمد [١].

إيلياء = أ ى ل ى ا ء

١ ١٠ ٣٠ ١٠ ١ ١ = ٥٣

أحمد = أ ح م د

١ ٨ ٤٠ ٤ = ٥٣

وسوف نتكلم عن هذا الحساب بشيء من التفصـيل فـي الفصل القادم بإذن ا .

* * *

(1) المسيا المنتظر – د. أحمد حجازي السقا ص٢٢٨ نقلاً عن "الفارق بين المخلوق والخالق" لباجة زاده.

"ماد ماد... لجوى جدول"

تكلمنا في آخر الفصل السابق عن التنبؤ بطريقة "حساب الجمل"..

لعل أول من كشفها الحبر اليهودي السموأل بن يحيى المهتدي إلى الإسلام في القرن الهجري السادس [1] وهي طريقة يلجأ إليها كتبة الكتب اليهود في مجال التنبوءات؛ إذ يرمز كل حرف أبجدي برقم يكون مجموعه مساويا لكلمة أخرى أرادها الكاتب، فلا يفهمها غيره هو وعلماء اليهود؛ حيث... أ = ١، ب = ٢، ج = ٣، د = ٤، هـ = ٥، و = ٦، ز = ٧، ح = ٨، ط = ٩، ى = ١٠، ك = ٢٠، ل = ٣٠، م = ٤٠، ن = ٥٠، س = ٦٠، ع = ٧٠، ص = ٩٠، ق = ١٠٠، ر = ٢٠٠، ش = ٣٠٠، ت = ٤٠٠، ث = ٥٠٠، خ = ٦٠٠، ذ = ٧٠٠، ض = ٨٠٠، ظ = ٩٠٠، غ = ١٠٠٠.

---

(1) "إفحام اليهود" للإمام المهتدي: السموأل بن يحيى المغربي. تقديم وتحقيق د. محمد عبد ا الشرقاوي – دار الهداية.

وذلك حسب ترتيب الحروف في اللغة العبرية. أبجد هوز حطي كلمن صعفص قرشت ثخذ طغش.

مع الأخذ في الاعتبار أن اليهود السامريين يختلفون فـي حساب ما بعد الطاء فتكون الياء: ١٠٠ لا ١٠.

نطبق ذلك على فقرة في التوراة.

"وأما إسماعيل فقد قبلت دعاءك، ها أنت قد باركت فيـه، وأثمره وأكثر جدا جدا، اثنا عشر رئيس بلد. وأجعلـه أمـة كبيرة". (تكوين ١٧: ٢٠).

كلمة "جدا جدا" هذه هي ترجمة لكلمة عبرية في التـوراة هي: بماد ماد يكون عددها بحساب الجمل كالتالي:

ب = ٢ + م = ٤٠ + أ = ١ + د = ٤ + م = ٤٠ + أ = ١ + د + ٤ = ٩٢

وهو نفس حساب حروف كلمة "محمد" حيث:

م = ٤٠ + ح = ٨ + م = ٤٠ + د = ٤ = ٩٢

وكلمة "أمة كبيرة" ترجمة لكلمة عبرية في التوراة هـي: لجوى جدول:

ل = ٣٠، ج = ٣، و = ٦، ى = ١٠، ج = ٣، د = ٤، و = ٦، ل = ٣٠ يكون المجموع أيضا ٩٢ = محمد

المعروف أن إسماعيل هو الجد الأكبر لمحمد ﷺ فيكـون المعنى: إن ا سيبارك في إسماعيل بمحمد ﷺ.

= لست ممن يعولون كثيرا على حسابات الجمل، لأن في عملنا بفضل ا ما هو أشد وضوحا، لكنه جهد مشكور لمن بذله وعلم به، وهو من أهل الكتاب ممن أسلموا.

* * *

"بركات موسى"

"وهذه هي البركة التي بارك بها موسى رجـل ا بنـي إسرائيل قبل موته، فقال: جاء الرب من سيناء، وأشرق لهـم من سعير، وتلألأ من جبل فاران، وأتى من ربوات القـدس (جماعات القديسين) وعن يمينه نار شـريعة لهـم، فأحـب الشعب جميع قدسيه في يدك، وهم جالسون عند قدمك يتقبلون من أقوالك". (التوراة – التثنية ٣٣: ١ – ٣).

"أضيفت قصيدة موسى هذه في نهاية "تثنيـة الاشـتراع"، بين إعلان وفاة موسى ورواية الوفاة. وهذه القصـيدة هـي وصيته. كما أن "تكوين ٤٩ هي وصية يعقـوب، وتفتـرض هذه الأقوال أن الأسباط كانت قد اسـتقرت فـي أراضـيها النهائية، وأن لبعضها تاريخًا طويلاً ويبدو أن هذه المجموعة مـن الأقـوال أقـرب عهـدا مـن تكـوين ٤٩ (بركـات يعقوب)..."[١].

(1) ص٤١١ هامش الكتاب المقدس – دار الشرق بيروت سنة ١٩٨٩.

هذا هو تفسير النصارى أن هذه الفقرة مجرد وصية لكل سبط من أسباط يعقوب ودعاء ونبوة خير لكل منهم، كما يتضح من بقية الفقرة في التوراة.

لكن هذا التفسير المسيحي أيضا يلمح إلى وجود خلل بالنص.. إذ كيف يفترض أن الأسباط استقروا في الأرض المقدسة في عهد موسى وهم لم يدخلوها بعد. لذلك اعترف المفسر أن هذا النص أقدم من مثيله (ليعقوب) في سفر التكوين المفترض تاريخيا أنه الأقدم.

= وقد رأى العديد من علماء الأديان المسلمين (منذ السموأل بن يحيى – الحبر المهتدي في القرن السادس الهجري) أن هذه الفقرة تتكلم عن نبي آخر الزمان، ولهذا الرأي أوجه عدة من الوجاهة:

أولاً: بركات موسى هذه تذكرنا تماما ببركات يعقوب في سفر التكوين (التوراة)، كما ذكر التفسير المسيحي الذي ذكرناه في أول الفصل.. والمعروف أن بركات يعقوب قد ذكرت وصفًا بل ولقبا للمسيا، فلماذا لا تذكر وصية موسى هنا ذلك أيضا.

ثانيا: قوله في النص "في يـدك" الانتقـال إلـى ضـمير المخاطب، يجعلنا نعتقد أن هذه نبوءة عن المسـيا الآتـي.. وهذا ذكر تفسير مسيحي أيضا [١].

ثالثًا: لقوله "عن يمينه نار شـريعة لهـم"؛ إذ أن أغلـب نبوءات المسيا في التوراة تذكر أنه صاحب شريعة، خاصـة في سفر شعيا والمزامير.

= هذه إذن نبوءة عن نبي آخر الزمان، فما علاقته بسيناء أو سعير أو فاران؟ وما الأهمية التاريخية لكل مكـان مـن هؤلاء؟

- أما سيناء ففيها الجبل الذي كلم ا موسى عنده.

وأما سعير ففيها الجبل الذي كان يسكن عنده بنو عيسـو أبناء عمومة بني إسرائيل، والذي داروا حوله في خـروجهم من مصر [٢]، أي أنه مقدس عند موسى.

---

(1) ص٤٥٣ تفسير الكتاب المقدس – فرانسيس دافرسـن – بيـروت ١٩٦٣م. نقلاً عن "د. أحمد حجازي السقا" "المسيا المنتظر" ص٦٦ – طبعة أولى/ دار التضامن ١٩٧٧م.

(2) "ودرنا حول جبل سعير أياما كثيرة". تثنية (٢: ١).

- وأما جبال فاران – فلا مدلول لها في التوراة قبل ذلك، سوى أنها موضع سكنى بني إسماعيل.

"وكان ا مع الغلام فكبر وسكن في البرية، وكان ينمـو رامي قوس، وسكن في برية فاران، وأخذت له أمه زوجـة من أرض مصر (تكوين ٢١: ١٨ – ٢١).

ثم ذكرت التوراة أن أبناء إسماعيل سكنوا من حويلة (في اليمن) إلى شور التي أمام مصر (تكـوين ٢٥)، فلابـد أن تكون فاران بينهما، وهذه المساحة تشمل بالقطع مكة المكرمة موضع سكنى محمد ﷺ.

وبنو إسماعيل هم العرب ساكنوا مكة الذي خـرج مـنهم النبي محمد ﷺ.

= وقد رأى علماء مقارنة الأديان المسلمين أن جبل سيناء يرمز لموسى، وأن جبل سعير يرمز لعيسى (لا أعلم لـم؟) وأن جبال فاران ترمز لمحمد ﷺ.

- والحق أنا نرى أن الموضعين الأولين يرمزان لموسى – للأسباب سالفة الذكر – وأن الأخير يرمز لخاتم الأنبيـاء محمد ﷺ، لأنه ما من نبي يهودي له علاقة بفاران، وهذا من جملة الشبه بين موسى ومحمد ﷺ، فقد قال موسى عنه ﷺ إنه

نبي مثله (تثنية ١٨: ١٨) والقرآن نفسه يقرنهما كثيرا ﴿**قَالُوا يَا قَوْمَنَا إِنَّا سَمِعْنَا كِتَابًا أُنْزِلَ مِنْ بَعْدِ مُوسَى**﴾ [الأحقاف: ٣٠].

= مما يؤكد ما ذهبنا إليه قوله "وعن يمينه نار شريعة لهم" وهو ما جاء به محمد ﷺ لا عيسى الذي قال "ما جئت لأنقض الناموس".

= تذكر التراجم القديمة بدلاً من "أوتي من ربوات القدس"، تقول: "وجاء مع عشرة آلاف قديس"... مثل الطبعة الفرنسية لسنة ١٨٦٠م [1].

*** **نبي آخر الزمان يقف مع عشرة آلاف قديس من أتباعه فوق جبال سكنى بني إسماعيل (جبال مكة)، وعن أيمانهم نار.. ألا يذكرنا ذلك بفتح مكة حين وقف النبي محمد ﷺ فوق جبال مكة مع أتباعه ليلاً، وقد كان عددهم آلاف وأمر كلاً منهم أن يشعل في يده نارا..!!؟**

***

(1) د. زينب عبد العزيز – "محاصرة وإبادة" ص١٦٧.

"هجرته"

"نبوءة بشأن شبه الجزيرة العربية: ستبيتين في صحارى بلاد العرب يا قوافل الددانيين، فاحملوا يا أهل تيماء الماء للعطشان، واستقبلوا الهاربين بالخبز، لأنهم قد فروا من السيف المسلول، والقوس المتوتر، ومن طيس المعركة لأن هذا ما قاله لي الرب: في غضون سنة مماثلة لسنة الأجير يفني كل مجد قيدار.." (شعيا ٢١: ١٤ – ١٦).

= هذه نبوءة في التوراة تُفَسر عندهم بأنها حدثت بالفعل لقبائل شمال الجزيرة العربية، حين قهرهم الآشوريون في عهد "سرجون" و "سنحاريب".

= وقد فسرها بعض علماء مقارنة الأديان المسلمين على أنها تشير لهجرة الرسول ﷺ. الحق أن في رأيهم وجاهة.. **فهذه دعوة من التوراة لنجدة هاربين من طالبيهم بالسيف في صحراء العرب، وهذا الذي حدث بالفعل للنبي محمد ﷺ في هجرته من مكة إلى المدينة؛** إذ خرج خلفه قومه من العرب في الصحراء يحملون سيوفهم لقتله.

= وإني لأتساءل إذا كان تفسير الفقرة كمـا هـو عنـد النصارى، أي أن هذا حدث بالفعل للعـرب الـوثنيين أيـام الآشوريين، فلماذا تتعاطف معهم التوراة وتطلب أن يحمـل لهم الماء والخبز؟

* * *

"معراجه" – "عرفات"

= "ورأيت في رؤى الليل فإذا بمثل ابن البشر آتيا علـى سحاب السماء فبلغ إلى القديم الأيام وقُرب إلى أمامه، وأوتي سلطانًا ومجدا وملكًا، فجميـع الشـعوب والأمـم والألسـنة يعبدونه، وسلطانه سلطان أبدي لا يزول ملكه ولا ينقرض". (دانيال ٧: ١٣ – ١٤).

= "غنوا ، رنموا لاسمه، أعدوا طريقًا للراكب في القفار (البراري) [١] [السحاب] [٢] "السماء" [٣] باسمه ياه واهتفـوا أمامه، أبو اليتامى وقاضى الأرامل ا في مسكن قدسه" [٤].

= الفقرة الأولى يفسرها النصارى على أنها مسير رمزي لناسوت المسيح عيسى في مراحل هذه الحياة حتى استقر في السماء (دار المشرق – بيروت)، لكن الأناجيل لا تذكر لنـا

---

(1) رواية الكاثوليك – دار المشرق – بيروت.

(2) الرواية الإنجليزية (Clouds = R. S. V).

(3) الرواية الإنجليزية (Heavens = King James).

(4) رواية البروتوستانت – دار الكتاب المقدس – القـاهرة (مزمـور ٦٨: ٤ – ٥).

شيئًا عن هذه الرحلة، لذلك كان مفسر دار المشرق حريصـًا حين قال "مسير رمزي".

أما في الإسلام فإن تلك الحادثة واقعية لا رمزية ذكـرت في القرآن للنبي ﷺ؛ الإسراء والمعراج. ﴿ **سـبحان الـذِي أَسرى بِعبدِهِ لَيلاً من الْمسجِدِ الْحرامِ إِلَى الْمسجِدِ الأَقْصـى الَّذِي باركْنَا حولَه لِنُرِيه مِن آياتِنَا إِنه هو السمِيع الْبصِير** ﴾ [الإسراء: ١].

﴿ **والنجمِ إِذَا هوى * ما ضل صاحِبكُم وما غَوى * ومـا ينطِقُ عن الْهوى * إِن هو إِلا وحي يوحى * علمه شَـدِيد الْقُوى * ذُو مِرةٍ فَاستَوى * ذُو مِرةٍ فَاستَوى * ثُـم دنَـا فَتَدلى * فَكَان قَاب قَوسين أَو أَدنَى * فَأَوحى إِلَى عبدِهِ مـا أَوحى** ﴾ [النجم: ١ – ١٠] ألا يذكرنا قوله تعالى عن النبي ﷺ "ثم دنا فتدلى" بقول دانيال "وقرب إلى أمامه (الرب)". ومـن قرائن وقوع المعراج للنبي الآخر في كتب أهل الكتاب، ذكر كتاب "إسراء شعيا" (من كتب الأبوكريفا). "ورأيـت كيـف صعد (المسيا) إلى السماء السـابعة، فيمـا كـل الصـديقين

والملائكة يمجدونه، حينئذ رأيته يجلس عن يمـين المسـجد الأعظم [1].

= الفقرة الثانية نبوءة مسيحانية بلا خلاف، يهمنا بالدرجة الأولى في هذه الفقرة ذكر الغلاف الشديد في ترجمة الكلمـة السابقة لقوله "للراكب في..."؛ حيث ترد مرة بمعنى "القفار: وفي ترجمة أخرى بمعنى "البراري" وفي غيرهـا "سـحاب" وأخيرا بمعنى "سماء".

هذا الخلط في الترجمة يرجع إلـى أن الأصـل العبـري للكلمة هو "عرفات"، وهي تعني حرفيا الصعود إلى السـماء، إلا أنها كذلك عند اليهود تعني السماء السابعة.

لا ندرك لماذا لم تترك الكلمة كما هي في الترجمات لمنع هذا الخلاف الشـديد فـي الترجمـة؛ خاصـة أن الأسـماء لا تترجم.

---

(1) (١١: ٣٢ – ٣٥) نقلاً عن "الأسـتاذ الحـداد" – القـرآن دعـوة نصرانية – ص١٦٢. منشورات المكتبة البولسية – بيروت.

إلا أنها تعني مباشرة المكان المقدس عنـد المسـلمين، الذي يقفون فيه قرب مكة في حجهـم؟ ومـن هـو النبـي المنتظر الراكب فوق هذا المكان (عرفات)؟

من هو أبو اليتامى وقاضي الأرامل كما تقول بقية النبوءة عن نبي آخر الزمان؟

إنه النبي محمد ﷺ صـاحب المعـراج والراكـب علـى عرفات، أبو اليتامى وقاضي الأرامل.

- أما كونه أبو اليتامى فنجد في الكتاب الذي جـاء بـه (القرآن) – لا في غيره – الآتي:

﴿ **ولاَ تَقْربوا مالَ الْيتيمِ إلا بِالتِي هي أَحسن حتى يبلُـغَ أَشُده** ﴾ [الأنعام: ١٥٢].

﴿ **كَلا بل لا تُكْرِمون الْيتيم * ولاَ تَحاضون علَـى طَعـامِ الْمسكِين** ﴾ [الفجر: ١٧، ١٨].

﴿ **فَأَما الْيتيم فَلاَ تَقْهر** ﴾ [الضحى: ٩].

﴿ **أَرأَيتَ الذِي يكَذب بِالدين فَذَلِك الـذِي يـدع الْيتِـيم** ﴾ [الماعون: ١، ٢].

﴿ **ويطْعِمون الطعام على حبهِ مِسكِينًا ويتِيما وأَسِـيرا** ﴾ [الإنسان: ٨].

﴿ **أَو إِطْعام فِي يومٍ ذِي مسغَبةٍ * يتِيما ذَا مقْربةٍ** ﴾ [البلد: ١٤، ١٥].

وهكذا في أكثر من عشرين موضعا في القرآن الكريم.

- وأما كونه ﷺ قاضي الأرامل، فهو بالفعـل منصـفهم. يكفي أن نقرأ في التوراة كيف تورث أرملة الأخر المتـوفى لأخيه "إذا أقام أخوان معا ثم مات أحدهما وليس له عقب، فلا تحميه زوجة الميت إلى خارج لرجل أجنبي، بل أخوه يدخل عليها ويتخذها زوجة له ويقيم عقبا لأخيه". (تثنيـة ٢٥: ٥) كذلك كان الحال عند العرب في الجاهليـة. أمـا الأرملـة النصرانية فتستحب لها ملتها ألا تتزوج بعد زوجها المتوفى، كما قال بولس الرسول.

الحال في ملة محمد ﷺ قاضي الأرامل يختلف تماما فنقرأ في القرآن، الوصية بالأرامـل: ﴿ **والـذِين يتَوفـون مِـنْكُم ويذَرون أَزواجا يتَربصن بِأَنْفُسِهِن أَربعةَ أَشْهرٍ وعشْرا فَإِذَا بلَغْن أَجلَهن فَلاَ جنَاح علَـيكُم فِيمـا فَعلْـن فِـي أَنْفُسِـهِن بِالْمعروفِ وا ُ بِما تَعملُون خَبِير** ﴾ [البقرة: ٢٣٤].

** ﴿ **يا أيها الذين آمنوا لا يحل لكم أن ترثوا النساء كرها** ﴾ [النساء: ١٩].

﴿ **والذين يتوفون منكم ويذرون أزواجا وصية لأزواجهم متاعا إلى الحول غير إخراج فإن خرجن فلا جناح عليكم في ما فعلن في أنفسهن من معروف وا ُ عزيز حكيم** ﴾ [البقرة: ٢٤].

[ها هي ذي الأرملة الآن وقد صبحها ا بالإسلام، فانتهت عصور الظلام الرهيبة التي مرت عليها إلى غير رجعة، الأرملة لا تورث، وعدة الأرملة أربعة أشهر وعشر ليالٍ، ليس لإظهار الحزن ولكن لاستبراء الرحم فقط.. ولا يحق لأحد أن يخرج الأرملة من بيتها قبل انقضاء عام كامل مضمونة لها فيه معيشتها وإقامتها من إرث زوجها المتوفى، بالإضافة إلى ميراثها الشرعي منه، والأرملة حرة من قبل ومن بعد بمجرد انقضاء عدتها أن تفعل بنفسها ما تشاء في حدود شرع ا][(١)]. وهي كذلك تستشار حتى في أمر فطام الولد.

---

(1) أ/ عصام راشد. "البشارة بمحمد ﷺ في التوراة" ص٧٣.

"المزامير"

سفر المزامير في التوراة – كما أسلفنا – من أكثر الكتب ذكرا لصفات المسيا، لذلك رأينا أن نفرد له فصـلاً وحـده، مستعرضين أكثر الفقرات ذكرا لرسول ا ﷺ فقـرةً فقـرة. والحق أنّا لسنا في ذلك مكتشفين جديدا، فقد ذكر مـن قبـل كثيرا في كتب علماء مقارنة الأديان المسلمين، خاصة كتاب "المسيا" للدكتور أحمد حجازي السقا.

(١) = "الذين ينتظرون الرب هم يرثون الأرض بعد قليل لا يكون الشرير، تطلع في مكانه فـلا يكـون، أمـا الودعـاء فيرثـون الأرض، ويتلـذذون فـي كثـرة السلامة... الصديقون يرثون الأرض ويسكنونها إلـى الأبد" (مزمور ٣٧: ٩ – ٢٩).

تشير هذه الفقرة بشكل قاطع إلى قوله تعالى في القـرآن عن أصحاب رسول ا ﷺ.

﴿ **ولَقَد كَتَبنَا فِي الزبور مِن بعدِ الذكْرِ أَن الأَرض يرِثُهـا عِبادِي الصالِحون** ﴾ [الأنبياء: ١٠٥].

(٢) = "ليبتهج الأتقياء بمجد، [ليرنموا على مضـاجعهم]. [تنويهات الله في أفواههم، ويتقلدوا بسيف ذي حـدين في أيديهم]، لتنفيذ الانتقام في الأمم.." (مزمور ١٤٩: ٥ – ٧).

قوله "ليرنموا على مضاجعهم" يذكرنا بقوله عـز وجـل: ﴿ **الذين يذكرون الله قياما وقعودا وعلى جنوبهم ويتفكرون في خلق السماوات والأرض ربنا مـا خلقـت هـذا بـاطلاً سبحانك فقنا عذاب النار** ﴾ [آل عمران: ١٩١].

كما أنها تصرح ببعض صفات النبـي ﷺ وأتباعـه كمـا ذكرت في موضع آخر من القـرآن: ﴿ **محمـد رسـول الله والذين معه أشداء على الكفار رحماء بينهم تـراهم ركعـا سجدا يبتغون فضلاً من الله ورضوانًا سيماهم في وجوههم من أثر السجود ذلك مثلهم في التوراة** ﴾ [الفتح: ٢٨].

قوله عز وجل: ﴿ **أشداء على الكفار رحمـاء بيـنهم** ﴾ يستدعي قول الزبور "تنويهات الله في أفواههم، وسـيف ذي حدين في أيديهم" أي أنهم رهبان بالليل، أسود بالنهار.

وصفه للسيف بكونه ذي حدين يذكرنا بسيف رسول الله ﷺ ذي الفقار.

(٣) "أحمدوا الرب لأنه صالح... لا أموت بل أحيا وأحدث بأعمال الرب، تأديبا أدبني الرب، وإلى الموت لم يسلمني. افتحوا لي أبواب البر. أدخل فيها وأحمد الرب... أحمدك لأنك استجبت لي..

الحجر الذي رفضه البناءون قد صار رأس الزاوية... إلهي أنت فأحمدك، إلهي فأرفعك. احمدوا الرب لأنه صالح، لأن إلى الأبد رحمته. (مزامير ١١٨: ١ – ٢٩).

- كما ذكرنا من قبل كم تعج النبوءات المسيحانية في التوراة بذكر الحمد، يتضح هنا جليا، أما علاقة محمد ﷺ بذلك فلا تحتاج لتعليق.

- قوله عن المسيا، "تأديبا أدبني الرب" يذكرنا بقوله ﷺ عن نفسه في الحديث الشريف: "أدبني ربي فأحسن تأديبي".

وقوله "إلى الموت لم يسلمني" ينفي أن يكون المسيا هو المسيح عيسى، لأنه في زعمهم قد أسلم إلى الموت وقتل.

وقوله "عن المسيا": "الحجر الذي رفضه البناءون قد صار رأس الزاوية"، تكلمنا عنه في أمثال "ملكة ا "؛ إذ أن "هاجر" التي يحتقر نسلها صار حفيدها أفضل الأنبياء وخاتمهم ﷺ وهذا ما قاله عيسى في إنجيل "متى"، وقال عنه "الآتي باسم

الرب" ولا يعقل أن يكون هنا يتكلم عن نفسه. ذلك أيضا ذكر في سفر شعيا (٥٤) "لأن أبناء المستوحشة أكثر مـن أبنـاء ذات الزوج" أجل أبناء "هاجر" التي تركت فـي الصـحراء الموحشة يرث نسلها النبوة والملك، أو أن "مكـة" الموحشـة تصبح غير ذلك بالنبوة والملـك، والغريـب أن النصـارى (الكتاب المقدس – دار المشرق – حواشـي ص٦٠ – سـنة ١٩٨٦، تفسير ذلك لمدينة أيضا "لكنهـا عنـدهم أورشـليم (القدس) والحق أن القدس لم تكن قط موحشة لا مـن بشـر أو أنبياء أو علم.

(٤) "قال الرب لسيدي (لربي): اجلس عن يميني، حتـى أضع أعداءك موطئًا لقدميك.." (مزمور ١١٠: ١).

في هذه الفقرة القصيرة إظهار صفة هامة مـن صـفات النبي الآخر، وهو ألا يكون من نسل داود، ذلك لأن داود هو صاحب كتاب المزامير الذي ذكر الفقرة السابقة التي تـتكلم باتفاق أهل الكتاب عن المسيا، والابن لا يكون سيدا لوالده.

والقريب أن النصارى يدعون أن عيسى ينتهي نسبه إلـى داود. فكيف يكون عيسى هو المسيا (النبي الآخر)؟

بل إن الأناجيل المعتمدة ذكرت أن عيسى سأل اليهود: "ماذا تظنون في المسيح؟ ابن من هو؟.. قالوا له: ابن داود [حسب ما كان شائعا بالخطأ] قال لهم: فكيف يدعوه داود بالروح ربا [أي سيدا] قائلاً: قال الرب لربي: اجلس عن يميني حتى أضع أعداءك موطئًا لقدميك؟ فإن كان داود يدعوه ربا، فكيف يكون ابنه؟ فلم يستطع أحد أن يجيبه بكلمة" (متى ٢٢: ٤١ – ٤٦، مرقص ١٢: ٣٥ – ٣٧، لوقا ٢٠: ٤١ – ٤٣).

= المفسرون النصارى يفسرون هذا التناقض [أن المسيح عيسى هو المسيا من نسل داود، مع أن العهد القديم بل والجديد؛ يقر أن المسيا لن يكون من نسل داود] يفسرونه بأن عيسى يريد أن يلمح إلى اليهود أنه ليس من ابن داود بالفعل (مع أنه من نسله) لكنه ابن ا ! (تعالى ا).. لماذا لا يوضح الأمر؟.. أليس من عمل الأنبياء رفع اللبس.

= إنجيل "برنابا" (المرفوض من الكنيسة) عكس الأناجيل المعتمدة يذكر ذلك بشكل مقنع تماما.

".. قال يسوع: ومتى جاء رسول ا فمن نسل من يكون؟ أجاب التلاميذ: من داود. فأجاب يسوع: لا تغشوا أنفسكم لأن

داود يدعوه في الروح ربا قائلاً هكذا: قال ا لربي: اجلس عن يمني حتى أجعل أعداءك موطئًا لقدميك... فإذا كان رسول ا الذي تسمونه "مسيا" ابن داود فكيف يسميه داود ربا؟ صدقوني لأني أقول لكم الحق إن العهد صنع بإسماعيل لا بإسحاق" (برنابا ٤٣: ٢٥ – ٣١).

أي أن المسيا يكون من نسل إسماعيل لا إسحاق – وهو محمد ﷺ -.

(٥) "خاض قلبي بكلام صالح... لساني قلم كاتب ماهر... انسكبت النعمة على شفتيك، لذلك باركك ا إلى الأبد. تقلد سيفك على فخذك أيها الجبار جلالك وبهاؤك وبجلالك اقتحم. اركب من أجل الحق والدعة والبر... كرسيك يا ا على دهر الدهور، قضيب استقامة قضيب ملكك، أحببت البر وأبغضت الإثم، من أجل ذلك مسحك ا إلهك بدهن الابتهاج... بنات ملوك بين حظياتك...

تقيم رؤساء في كل الأرضي، اذكر اسمك في كل دور فدور، من أجل ذلك تحمدك الشعوب إلى الدهر والأبد" (مزمور ٤٥: ١ – ١٧).

= هذه فقرة في المزامير تتكلم باتفاق الجميع عن المسيا.

والحق أن بها مجموعة من صفات النبي ﷺ لا تضـاهيها في ذلك فقرة أخرى في التوراة سوى الإصحاح ٤٢ من سفر شعيا، وقد تكلمنا عنه من قبل.

= قوله: "لساني قلم كاتب ماهر"، من الممكـن أن يكـون مقصودا بها أنه ﷺ كان أميا ولسان هو قلمه.

= "انسكبت النعمة على شفتيك" تعني فصـاحته ﷺ، وقـد كان يعجب العرب من فصاحته حتى سأله أبو بكـر: "مـن أدبك؟ (أي علمك الفصاحة) فقال ﷺ: "أدبني ربـي فأحسـن تأديبي" ألا يعني ذلك أيضا أن ا قد سكب علـى شـفتيه ﷺ نعمة الفصاحة؟ ذلك يذكرنا أيضا بقوله تعالى: ﴿ **الْيوم أَكْملْتُ لَكُم دِينَكُم وأَتْممتُ علَيكُم نِعمتِي ورضِيتُ لَكُم الإِسلاَم دِينًا** ﴾ [المائدة: ٣].

= "تقلد سيفك – اركب من أجل الحـق والدعـة والبـر" لا تطلق قطعا على عيسى لأنه لم يحارب، وأما محمد ﷺ فهو أول نبي يتقلد السيف بعد داود.

وهذا الذي يقضي ويحارب بالعدل، يسميه يوحنا في رؤياه (١٩: ١١) "الأمين الصادق" ومن هو الأمين الصادق سـوى محمد ﷺ كما سماه قومه قبل البعثة؟

= قضيت استقامة قضيب ملكك" هي شريعته ﷺ التي شهد التاريخ بعد لها، أما عيسى فلم يأت بشريعة منفصـلة عـن التوراة.

= "مسحك ا بدهن الابتهاج" يعني أن مسحه معنويا ليس حسيا مثل ما حدث مع أنبياء بني إسرائيل.

= "بنات ملوك حظياتك" هذا ما حدث لمحمد ﷺ إذا تزوج من صفية بنت حيي بن أخطب بنت سـيد بنـي النضـير، وجويرية بنت الحارث سيد بني المصطلق بعد عتقهما.

= "اذكر اسمك في كل دور فدور"؛ يذكرنا مباشرة بقولـه تعالى عن النبي محمد ﷺ ﴿ **ورفعنا لك ذِكْرك** ﴾ [الشرح: ٤] فيعلى ذكر محمد ﷺ ويذكر مع المولى عز وجل فـي الأذان والإقامة والتشهد.

= "من أجل ذلك تحمدك الشعوب إلى الدهر والأبد" أليس في ذلك إشارة لاسمه ﷺ وهو المحمود أبدا ويصـلي عليـه ملايين المسلمين يوميا على الأقل في الصـلوات الخمـس،

والحق أن هذه الصفة (صفة الحمد) ليس هذا هو الموضـع الوحيد لها في التوراة، بل إنها كما أسلفنا لا تكاد منها نبوءة مسيحانية في التوراة خاصة سفر المزاميـر وسـفر شـعيا. ألا يتدبر ذلك متدبر؟

* * *

(ح) ألقابه ﷺ

الأمين الصادق

= "ثم رأيت السماء مفتوحة، وإذا حصان أبـيض يسـمى راكبه "الأمين الصادق" الذي يقضي ويحارب بالعدل... وكان يخرج من فمه سيف له حدان، ليضرب به الأمم ويحكمهـم بعصا من حديد" (رؤيا ١٩: ١١، ١٥).

= حين وقعت عيني على هذه الفقرة خاصة اللقب المركب "الأمين الصادق"، قلت لابد أن هذه النبـوءة تخصـه عليـه الصلاة والسلام، فمن المعروف جدا أن أهل مكة قد سـموا محمد ﷺ من قبل النبوة الصادق الأمين – نجد ذلك في كـل كتب السيرة – ولكن هذه النبوءة ليست من نبـوءات العهـد القديم التي تتكلم عن النبي المنتظر، بل هي من العهد الجديد وتتكلم بوضوح عن المسيح عيسى في المجـيء الثـاني – حسب اعتقادهم – وإن كان غريبا أن يسـمي عيسـى فـي الآخرة بلقب هو صفة نبوية بحتة. وهذا لقب لم يطلق عليـه في الدنيا أبدا... الأمين الصادق.

= زال هذا اللبس عندي حين قرأت كتاب "أناجيل الطفولة" للأب "جان دانيالو"؛ إذ نقد هذا العالم كثيرا من أحداث طفولة يسوع المروية في إنجيلي متى ولوقا خاصة حادث زيارة المجوس وسجودهم عند عيسى الذي يراه نوعا من أنواع الميدراش هجاده [١]. أي إعادة كتابة العهد القديم مع تعديلات.

وذكر أن مؤلف تلك الفقرة قد استوحاها من قصص سابقة في كتب اليهود غير التوراة، مثل كتاب اليوبيلات والعاديات اليهودية ونصوص قمران التي تكلمت عن برج الملك المسيحاني؛ أي النجم الدال على ميلاد المسيح المنتظر تماما، مثل ما ذكر في حادثة المجوس هذه [٢].

كما ذكر أن هذه الميدراشيم (جمع ميدراش) تتميز بأنها مطعمة بنصوص من العهد القديم [٣].

---

(1) ص٥٤، ٥٥.

(2) ص٥٤.

(3) ص٥٥.

= قلت في نفسي هذا بالضبط مـا حـدث فـي الفقـرة المذكورة من رؤيا يوحنا. لا جدال هذا الوصف كان للمسيح المنتظر في بعض كتب الربيين اليهود القدماء ثم طبقة مؤلف الرؤيا على يسوع لأنه يراه ذلك النبي المنتظر. يؤيـد ذلـك فقرات من هذه النبوءة موجودة في العهـد القـديم خاصـة بالمسيا تماما مثل الميدراش الذي تكلم عنه جان دانيالو فـي كتابه "أناجيل الطفولة" فذلك النص يذكرنا بقول شـعيا عـن المسيا "إنما يقضي بعدل للمساكين، ويحكم بالإنصاف لبائسي الأرض، ويعاقب الأرض بقضيب فمه، ويميت المنافق بنفخة شفتيه، لأنه سيرتدي البر ويتمنطق بالأمانة" [1] (شـعيا ١١: ٤) كذلك مزامير ٢: ٩ – كذلك الآية الرابعة في مزامير ٤٥ "اركب ظافرا لأجل الحق والوداعة والبر" [2] تذكرنا بقـول الرؤيا: يقضي ويحارب بالعدل. كذلك الآيـة السادسـة فـي

(1) العجب أن كلمة "البر" في أصلها العبري تنطق Tsedeq (صدق) يرجع في ذلك إلى كتاب "Young's concordance" وهي تعني بالعربية أيضا الصدق، وبذا يمكن أن نقـرأ تلـك الفقـرة: لأنـه سيرتدي الصدق بالأمانة.

(2) كلمة "البر" في الأصل هنا أيضا (الصدق) كسابقتها.

مزامير ١٤٩ التي تتكلم عن أصحاب المسيا "ليهتفوا مسبحين الرب مليء أفواههم وليتقلدوا بسيف ذي حدين فـي أيـديهم" تذكرنا بقول الرؤيا "وكان يخرج من فمه سيف له حدان".

** = وقد اجتهدت في كتب اليهود القديمة غير التـوراة **فوجدت في كتاب من كتب السوديبيجرافا [١] "كتاب أخنـوخ" "Book Of Enoch" [٢] ففي الفصل الثامن والثلاثين فـي هذا الكتاب [٣]، وفي العدد الثاني يلقب مؤلف "كتاب أخنوخ" النبي المنتظر "الصادق".**

"And when the righteous one shall appear before the eyes of the righteous.."

---

(1) راجع "بعض المصطلحات".

(2) اكتشف هذا الكتاب الرحالة "بروس" في الحبشة في القرن التاسـع عشر، وقد كتب أصلاً في القرن الثاني قبل الميلاد بعضه بالآرامية وبعضه بالعبرية، اعتبر قانونيا عند الآباء الأولين للكنيسة (كلمنت – أريانوس)، اختفى بعد القرن الثالث الميلادي إلى أن ظهر فـي القرن التاسع عشر (ملخص من ص١٦٣ – ص١٦٥) من كتاب: "The old Testament Apocrypha and Pseudepigarapha" (Charles).

(3) ص٢٠٩ من المصدر السابق.

[وحين يظهر الصادق أمام أعين الصادقين].

وقد ذكر مؤلف الكتاب الذي استعرنا منه هذه الفقـرة [١] وفي هامش الصفحة أن هذا هو لقب المسيا، وينطق بالعبرية Sadeq أي كما ينطق بالعربية تماما، فكما نعـرف العربيـة والعبرية ينتميان لعائلة واحدة من اللغات، اللغات السامية.

والحق أن هذه الفقرة تذكرنا تماما بقوله تعالى عن النبـي ﷺ وأصحابه: ﴿ **وَالَّذِي جَاءَ بِالصِّدْقِ وَصَدَّقَ بِهِ أُولَئِكَ هُـمُ الْمُتَّقُونَ** ﴾ [الزمر: ٣٣].

= أما اللقب الآخر "الأمين"، فقـد اجتهـد فيـه القسـيس المهتدي البروفسور عبد الأحد داود – القرن التاسع عشر – فذكر في كتابه "محمد في الكتاب المقدس" [٢] في باب "محمد هو الشيلو"؛ يقصد بها نبوءة سفر التكـوين الإصـحاح ٤٩: ١٠. "لا يزول صولجان من يهوذا أو مشترع من قدميه حتى يأتي "شيلوه"، ويكون له خضوع الشعوب" وهي نبوءة تـتكلم بوضوح عن النبي المنتظر، وقد اختلف في تفسير شـيلوه –

(1) المصدر السابق.

(2) نشر دار الضياء – الأردن – ترجمة فهمي شما.

ذلك، لأن اللغة العبرية تحتمل الكلمة الواحدة فيها أكثر مـن معنى تفسير ترجمتها "الذي له" – أي "له الصولجان والملك".

والتفسير الثاني [١] للكلمة الرباعية Shilh وتلفظ شيلوه ذو أهمية مساوية لصالح محمد، فكما وصف آنفًـا أنـه هـادئ مسالم أمين وديع وهكذا -. والصيغة الآرامية للكلمـة هـي شليا Shilya وفعل الأمن العربي مثل فعـل أمـان العبـري معناه: ثابت، مستمر، مأمون، ولذلك فإن الهـدوء والأمانـة والثقة ترينا أن **كلمة "أمين" مساوية تماما لشيلوه [٢].**

* * *

---

(1) وقد قرأت بنفسي في التلمود – سنهدرين ٩٨ ب ص٦٦٧ أن مـن أسماء المسيا Shiloh.

(2) هذا هو نص كتاب عبد الأحد داود ص٨٢، ٨٣.

(ط) اسمه ﷺ

البيريكليت - الحمد

﴿ **وإذْ قالَ عِيسى ابن مريم يا بني إسرائيلَ إني رسـولُ ا ـ إليكُم مصدقًا لما بين يدي مِن التوراةِ ومبشرا بِرسـولٍ يأْتِي مِن بعدِي اسمه أحمد فلما جاءهم بِالْبينَاتِ قَالُوا هـذَا سِحر مبِين** ﴾ [الصف: ٦].

= لا تكاد تخلو نبوءة مسـيحانية (تـتكلم عـن المسـيح المنتظر) في العهد القديم من ذكـر الحمـد والصـحراء [١] أو كلاهما، والذي يعنينا هنا الحمد. خاصة المزامير وسـفر شعيا وهما أكثر أسفار العهد القديم ذكرا للمسيا "... يخضـع الشعوب لنا، ويطرح الأمم تحت أقدامنا... لأن ا هو ملـك الأرض كلها، رنموا له قصيدة حمد". (مزامير ٤٧: ٣ – ٧).

---

(1) قد فهمت طائفة اليهود الأسينيين التي انعزلت عن اليهود ١٠٠ عام قبل الميلاد إلى صحراء البحر الميت في قمران، والتـي كُشـفت مخطوطاتها حديثًا هذا الفهم عـن علاقـة نبـي آخـر الزمـان بالصحراء، فخرجوا لانتظاره فيها.

"ليترأف ا   علينا وليباركنا، وليضئ بوجهه علينـا لكـي يعرف في الأرض طريقك، وبين جميـع الأمـم خلاصـك، تحمدك الشعوب يا ا ، تحمدك الشعوب كلها."(مزامير٦٧: ١ – ٥).

"قد أقبل ا   من أدوم (تيمان) [١]، وجاء القدوس من جبل فاران. غمر جلاله السماوات وامتلأت الأرض من تسـبيحه (حمد)" [٢] (حبقوق ٣: ٣).

ثم في أشعيا ٤٢، وهي أكثر النبوءات وضوحا عن المسـيا "أنا هو الرب وهذا اسمي، لا أعطي مجدي لآخر، ولا حمـدي للمنحوتات... لتهتف الصحراء ومدنها وديار قيدار المأهولة... وليمجدوا الرب ويذيعوا حمده في الجزائر" (٨ – ١٢).

وقد ذكرت فقرة أن المسيا محمود من الشـعوب، "أخلـد ذكري اسمك [١] في كل الأجيال، وتحمدك جميع الشعوب إلى الدهر والأبد" (مزامير ٤٥: ١٧).

(1) طبعة اليسوعيين.

(2) تقول أغلب النصوص العربية الحالية "تسبيحة" مـع أن الأصـل العبري ينطق هكذا Tehillah حمد. (Young's concordance) P. 766

* = لعل أعجب ما ذكر في ذلك في العهد القديم هو قول حجي (٢: ٧) "ولسوف أزلزل كل الأمـم، وسـوف يـأتي "مشتهى" الأمم...".

وقد ذكر القس المهتدي عبد الأحد داود في كتابه "محمـد في الكتاب المقدس" ص٥٠، ٥١" أن أصل كلمـة مشـتهى العبري هو "حمدا" Himada وهي تعني كـذلك "أحمـد" أي "سوف يأتي أحمد (حمدا) لكل الأمم" لكن المترجم اختار كلمة "مشتهى". والعجيب أن نسخة القـديس جيـروم (Vulgate) للكتاب المقدس لم تمس الصيغة العبرية (ح م د ه). المصدر السابق ص٥٣.

وقد تأكدت من هذه المسألة اللغوية من أستاذة للغة العبرية بجامعة عين شمس.

= أما قول عيسى الذي أشار إليه النص القرآني، فيوجد له نظير إنجيلي يكاد يتطابق معه – لو درسنا عدة مسائل.

=

(1) تذكرنا بقوله عز وجل في القرآن للنبي ﷺ: ﴿ **ورفعنا لـك ذِكْـرك** ﴾ [الشرح: ٤].

"إن كنتم تحبونني فاعملوا بوصاياي، وسوف أطلب مـن الأب أن يعطيكم "معينًا" [1] آخر يبقى معكم إلى الأبد، وهـو روح الحق، الذي لا يقدر العـالم أن يتقبلـه لأنـه لا يـراه ولا يعرفه، وأما أنتم فتعرفونه لأنه في وسطكم، وسيكون في داخلكم، لن أترككم يتامى بل سأعود إليكم بعد قليل لا يراني العالم، أما أنتم فسوف ترونني... وليس هذا الكـلام الـذي تسمعون من عندي، بل من الأب الـذي أرسـلني... وأمـا الروح القدس، المعين الذي سيرسله الآب باسمي فإنه يعلمكم كل شيء، ويذكركم بكل ما قلته لكـم. (يوحنـا ١٤: ١٥ – ٢٦)... وعندما يأتي المعين، الذي سأرسله لكم مـن عنـد الآب، روح الحق الذي ينبثق من الآب، فهـو يـؤدي إلـى الشهادة... (١٥: ٢٦)... من الأفضل لكم أن أذهب، لأني إن كنت لا أذهب، لا يأتيكم المعين (١٥: ٧)... يرشـدكم إلـى

(1) في نص الآباء اليسوعيين (١٩٨٩) "مؤيدا" وفي الطبعـة القديمـة "معزى" وفي طبعات أخرى "المحـامي"، "المسـاعد" "المـدافع"، "الشفيع" وفي بعض الطبعات القديمة نجدها "البـارقليط" بتحريـف بسيط عن الأصل اليوناني "باركليطوس" كما نجد في هامش طبعة الآباء اليسوعيين (١٩٨٩).

الحق كله، لأنه لا يقول شيئًا من عنده (١٦/ ١٣)" وهو متى جاء أخزى العالم على الخطيئة والبر والدينونة. أمـا علـى الخطيئة فلأنهم لا يؤمنون بي، وأما على البر فلأني ذاهـب إلى الآب فلن تروني. وأما على الدينونة فلأن سيد هذا العالم قد دين" (١٦: ٨ – ١٦).

= في هذا النص عدة مباحث وقبل أن نخوض فيها يجب أن نعلم أن النصارى يفسرون "المعين" أو "المعزى" على أنه الروح القدس الأقنوم الثالث أو الشخص Person الثالث فـي عقيدتهم. وهذه النبوءة تعنيه حين ينزل على أصحاب عيسى بعد خمسين يوما من قيامته من الأموات "ولما أتـى اليـوم الخمسون، كانوا مجتمعين كلهم في مكان واحد، فانطلق مـن السماء بغتة دوى كريح عاصفة، فملأ جوانب البيـت الـذي كانوا فيه، وظهرت لهم ألسنة كأنها من نار، فوقف على كل منهم لسان فامتلئوا جميعا من الروح القدس، وأخذوا يتكلمون بلغات غير لغتهم، على ما وهب لهـم الـروح القـدس أن يتكلموا". (أعمال الرسل ٢: ١ – ٤).

* **أول تلك المباحث لفظ "المعين"** هذه الشخصية صـاحبة النبوءة وقد استعيض عنه في طبعات أخرى بلفظ "المحامي"،

"المعزى"، "المؤيد" "المساعد"، "المدافع"، "الشفيع" (وهي فـي الأصل اليوناني "باراقليط") [1] وقد تركتها طبعات أخرى كما هي "باراقليط" (Paraclete) وهي تكتـب باليونانيـة هكـذا: باركليطوس.

هذا الكلمة قريبة جدا من كلمة يونانية أخرى وهي...

بريكليتوس وهي تعني "أحمد" كما ذكرت طبعـة الآبـاء اليسوعيين القديمة ١٩٦٩ للكتاب المقدس في هامش الفقـرة سالفة الذكر، فهكذا تذكرنا تلك الكلمة بالفقرة القرآنية في أول هذا الفصل. والفرق بين الكلمتين "باركليتوس" و"بريكليتوس" كما نرى طفيف جدا، فليس ببعيد أن تكون الكلمة في الأصل "بريكليطوس" لكنها نتيجـة خطـأ "نسـخي" تحولـت إلـى "باراكليطوس". يصبح ذلك مقبولاً لو قرأنا قليلاً في "علم نقد النصوص" أو تاريخ الكتاب المقدس. فالكتاب المقدس طبعـة "الآباء اليسوعيين" ١٩٨٩ "يتكلم فـي مـدخل إلـى العهـد

(1) الكتاب المقدس – طبعة الآباء اليسوعيين (١٩٨٩).

الجديد"[١] عن سبب الفوارق الكثيرة جدا (كمـا ذكـر) بـين مخطوطات العهد الجديد فيقول:

".. واكتشاف مصدر هذه الفوارق ليس بالأمر العسـير، فإن نص العهد الجديد قد نسخ، ثم نسخ طوال قرون كثيـرة بيد نساخ صلاحهم للعمل متفاوت،... يضاف إلـى ذلـك أن بعض النساخ حاولوا أحيانًا، عن حسن نية، أن يصوبوا مـا جاء في مثالهم، وبدا لهم أن يحتوي أخطاء واضحة أو قلـة دقة في التعبير اللاهوتي، وهكذا أدخلوا إلى النص قـراءات جديدة تكاد أن تكون كلها خطأ، ثم يمكن أن يضاف إلى ذلك كله أن الاستعمال لكثير من الفقرات من العهد الجديـد فـي أثناء إقامة شعائر العبادة؛ أدى أحيانًا كثيـرة إلـى إدخـال زخارف غايتها تجميل الطقس، أو إلى التوفيق بين نصوص مختلفة ساعدت عليه التلاوة بصوت عال [٢].

= أما ما لم يذكره هذا "المدخل إلى العهد الجديد" وذكرته دائرة المعارف الأمريكية في باب (P. 695 – 699 Bible: 12)

---

(1) ص١٢، ١٣.

(2) المصدر السابق ص١٣.

أن هذه الأخطاء نتيجة أننا ليس لدينا أي من النسخ الأقـدم، كما أن هناك أخطاء (اختلافات) متعمدة أدخلهـا الناسـخ أو صاحب المخطوطة من قبله. أما الأخطاء النسـخية والتـي أحصاها بعض العلماء فكانت ٣٠,٠٠٠ (وذلك في أول القرن الـ ١٨ فما بالنا الآن) فقسمت إلى أخطاء نتيجة تكرار كلمة كلمة أو فقرة (Dittography)، أو نتيجة قفز عين الناسخ من سطر إلى آخر لتشابه نهايـات الجمـل (Homoeoteleuton) أو نتيجة فصل خطأ للكلمات، لأن المخطوطات لم تكن تترك مسافات بين كلمة وأخرى، بل كانت حروف السطر الواحـد تتراص بدون فواصل أو تشكيل (Lectio continua).

*** أما أهم الأخطاء التي تعنينا هنا فهي الـ (Itacism) وهي استبدال حرف (I) (إيوتا) بحروف أخرى قريبـة فـي السمع، وهي (E, E, AI, EI, OI) والتي تنطق كلها (I) فـي اليونانية الهلينية [١]. أي أن هذا الحرف خاصة يحـدث بـه أخطاء نسخية أكثر من غيره.

---

(1) دائرة المعارف الأمريكية ص٦٩٦.

- ولو نظرنا إلى الحـروف اليونانيـة المكونـة لكلمـة باراكليطوس والمكونة لكلمة بريكليطوس.

لوجدنا الخلاف يكاد يكون منحصـرا فـي الحـرف (I) الموجود في الثانية، والذي استبدل بـ (A) في الأولى.

- فليس ببعيد أبدا، خاصة بعدما عرضنا لكثرة الأخطـاء النسخية – أن يكون حرف (I) في الكلمة هو الأساس، أي أن كلمة بريكليتوس هي الأصل، ثم عن طريق خطأ قريب مـن الـ (Itacism) تحول إلـى (A) أي تحولـت الكلمـة إلـى باراكليتوس.

- يساعد على قبول ذلك بشدة معرفتنا، لسبب الاخـتلاف الشديد في ترجمة كلمة باراكليت، ألا وهو كون الكلمة غيـر كلاسيكية وغير معروفة في دنيا الأدب الإغريقي [1].

= ولعل أعجب ما قيل من قبل ردا على مثل ما ذهبنا إليه آنفًا، هو كلام المستشرق Tisdall في كتابـه "The Orignal Sources of Quran" "المصادر الأصلية للقـرآن" ص١٩٠؛ حيث يقول إن محمد ﷺ قد أغوى عن طريق جاهل مرتد عن

---

(1) "محمد في الكتاب المقدس" – القس عبد الأحد داود ص٥١، ٢١٦.

المسيحية خلط بين كلمتي باراكليطوس وبريكليطـوس التـي تعني "أحمد".

"Muhammed was misled by some ignorant but zealous proselyte or other disciple, who confounded the word used in these verses (john xiv, 16.26'xv. 26 xvi, 7) with another greek word, which might without a very great stretch of the imagination, be interpreted by the Arabic word "Ahmad" the greatly praised" (P. 190).

وقد قال في موضع آخر ص١٤٢ (الهامش) أن الشخص الذي يخبر محمدا ﷺ بعلم النصارى، قد أخطأ في هذا الخلط عن عمد أو عن جهل في هـذا الأمـر؛ أي أنـه ﷺ أدرك، أو أدرك معلمه الفرق الطفيف بين الكلمتين، فحرفـا كلمـة باراكليت تحريفًا بسيطًا، لتصبح فتعطي معنى الحمد ولسـان حالهما، يقول للنصارى لقد كتبت الكلمة في إنجـيلكم خطـأ أو أن جهل هذا المعلم، قد صادف كون اسم النبـي ﷺ فيـه معنى الحمد.

* البحث الثاني في نبوءة يوحنا:

= حتى لو رفض ما ذهبنا إليه في (Paraclete) فإن مـن ترجماته المشهورة جدا لفظ "المعزى"، وهو من ألقاب المسيح المنتظر عند اليهود، ففي التلمود سـنهدرين ٩٨ب ص٦٦٧

[1] ذكر أن من أسماء نبي آخر الزمان Menahem مناحيم = The comforter = المعزى. ونستعير الفقرة الآتية من كتاب "أضواء على الأناجيل الطفولة" للكاردينـال جـان دانيـالو ص٦٥ "وعبارة تعزية إسرائيل قد انتشـرت فـي اليهوديـة المتأخرة ابتداء من أشعيا الثاني (٦٢، أو ٦٦، ٨)، للإشـارة إلى مجيء ا (يقصد الكاتب بنبي آخر الزمان) في الـزمن الآخر، وهذه العبارة هي سامية صرفة وقد تلقاها "لوقا" مـن التقليد، وتجـدر الملاحظـة أن لفـظ "تعزيـة" (باليونانيـة باراكليس) قريبة من لفظ باراكليتوس التي يستعملها يوحنـا للدلالة على الروح القدس".

لماذا إذن لا يفسرون هذا النص على أنه للنبي المنتظـر، المسيح عيسى في عرفهم؟ خاصة أن يوحنا قد استخدم لفـظ باراكليتوس بعد ذلك مرة واحدة في رسالته الأولـى (٢: ١) للدلالة على المسيح عيسى وهذا متفق عليه عندهم، اعتقادي أنه لولا أن الكلام لعيسى، وأنه يتكلم بوضوح عن شـخص

---

(1) The Talmud: Soncino.

غيره، "معينًا آخر" "إن كنت لا أذهب لا يأتيكم المعين" لـولا ذلك لقيل إن المقصود هو عيسى.

هذا اللبس والخلط هو الذي حدا بعض تفاسير النصـارى أن تقول إن كلمة بارقليط تدل تارة على الروح القدس وتارة على المسيح نفسه!! [الكتاب المقدس دار الشرق سنة ١٩٨٩ بيروت العهد الجديد ص٣٣٧].

* البحث الثالث في نبوءة يوحنا:

الصفات المذكورة في هذه النبوءة هي صـفات بشـرية رسولية، فالفقرة القائلة: "لن يتكلم بإرادته، وإنما سيقول مـا يسمع وسيعرفكم بكل ما سيأتي" [(١)] أوضح دليل على ذلـك. ونستعير هنا قول الطبيب الفرنسي موريس بوكاي في كتابه "دراسة الكتب المقدسة في ضوء المعارف الحديثة" ص١٢٩ طبعة دار المعارف: "وعندما يقول المسيح، حسـب إنجيـل يوحنا (١٦، ١٤): سأصلي وسيرسل لكم Paraclete آخر فهو يريد بالفعل أن يقول إنه سيرسل إلى البشر وسيطًا آخر، كما كان هو وسيطًا لدى ا ، وفي صالح البشر فـي أثنـاء

(1) يوحنا (١٦: ١٣).

حياته على الأرض... إن وجود كلمة الـروح القـدس فـي النص الذي نملك الذي نملكه اليوم، قد يكون نابعا من إضافة لاحقة إرادية تماما (لنرجع في ذلك إلى Bible 12 في دائـرة المعارف الأمريكية كما أسفلنا [١]، تهدف إلى تعديل المعنـى الأول لفقرة تتناقض، بإعلانها بمجيء نبي بعد المسيح، مـع تعاليم الكنائس المسيحية الوليدة التي أرادت أن يكون المسيح هو خاتم الأنبياء". إن المسيحيين الأوائل قد فهمـوا النبـوءة على أنها لبشر رسـول فعـلاً، فقـد ذكـر الأب كيـرلس الأورشليمي (٣١٤م – ٣٨٧م) [٢] في عظاته أن هناك ثلاثة أشخاص ادعى كل منهم أنه الـ Paraclete أولهـم سـيمون الساحر (العظة ٦: ١٤) والذي خدع مدينة رومـا بكاملهـا؛ بحيث إن الإمبراطور كلوديوس أقام له تمثالاً نقشـت عليـه باللغة اللاتينية هذه العبارة التي يمكن ترجمتها: إلى سـيمون ا القدوس، والشخص الثاني الذي ادعى أنه الـ Paraclete هو ماني (العظة ٦: ٢٥). أما الشخص الثالث فهو مونتـان

(1) هذه الإضافة من عندنا.

(2) كيرلس الأورشليمي: "العظات" تعريب الأب جـورج منصـور. رابطة معاهد اللاهوت في الشرق الأوسط.

(١٦: ٨، ٩) "وقد تجاسر على القول بأنه المعزى الذي وعد المسيح بإرساله" [١].

* البحث الرابع في هذه النبوءة:

تتفق صفات الشخصية صاحب النبوءة مع صفات المسـيا المنتظر في العهد القديم، فقوله فهو يؤدي لي الشـهادة "فـي نبوءة يوحنا (١٥: ٢٦) تذكرنا بقول شعيا في سـفره عـن المسيا المنتظر "ها أنا قد جعلته شاهدا للشعوب زعيما وقائدا للأمم" (شعيا ٥٥: ٤) [٢].

= كذلك قوله: "وهو متى جاء أخزى العالم على الخطيئـة والبر والدينونة "لأنه سيرتدي البر" (١١: ٤) يذكرنا بقـول شعيا في (٩: ٧) عن المسيا أنه يثبـت مملكتـه ويعضـدها بالحق والبر، كما تذكرنا بقول شعيا عن المسـيا: "أنـا هـو الرب قد دعوتك بالبر" (٤٢: ٦) كذلك تذكرنا بتعبير دانيـال في سفره (٩: ٢٤) عن المسيا المنتظر بالبر الأبدي.

---

(1) المصدر السابق ص٣٠٢.

(2) تذكرنا أيضا بقوله تعالى في القرآن عن النبي ﷺ: ﴿ **يا أيها النبي إنا أرسلناك شاهدا ومبشرا ونذيرا** ﴾ [الأحزاب: ٤٥].

فخزيان الباراكليت للعالم على الخطيئة أي إنكـار نبـوة عيسى، وهذا ما يتضمن في العدد اللاحق (٧)، هذا واضح. أما "البر" فلا يفهم فيه خزيان ولكن يفهم أن تعود الكلمة على "جاء" أي الباراكليت دون أن تعود على الفعل أخـزى أي أن الباراكليت يأتي على البر. خاصة أن الفقرة اللاحقة تقـول: "وأما على البر فلأني ذاهب إلى الآب فلن تروني".

فلعل المقصود أن المسيح عيسى أيضا على بر لأنه نبـي لكن هذا البر سينتهي برفعه، ولن يبقى إلا بر النبي المنتظر، والحق أني لم أر في تفسير مسيحي عن هذه الفقرة (على بر) شيئًا مفهوما، ولكن ما يمكن أن يفهم تفسيره، على خطيئة = لأنهم لا يؤمنون بي. على دينونة = قد يكون المقصود بها أن هذا المجيء يكون يوم إدانة للأمم، ويوم الدينونة في العهـد القديم هو يوم مجيء المسيا، لكن المسيحيين يفسـرون هـذا الأخير على أنه إدانة الشيطان. هذا قد يستسـاغ إلا تفسـير "على بر" الذي فسر في أقرب معنى [1] "ويبكت العالم مـن جهة بر يسوع وحقيقة لاهوته"، ما الفـرق إذن بـين هـذا

(1) حواشي الكتاب المقدس طبعة اليسوعيين القديمة.

التفسير وتفسير "يبكت العالم على خطيئته" في نفس الحواشي "إن الروح القدس يبكت العالم على الخطيئة التـي اقترفهـا برفضه الاعتقاد بأن يسوع هو ابن ا ". هذا التفسير الأخيـر لم يستفد مطلقًا من تفسير "ذاهب إلى الآب فلن تروني".

= كما أن قوله "يبقى معكم إلى الأبد" (يوحنـا ١٥: ١٦) يذكرنا بقول شعيا في (٩: ٧) عن المسيا: "ولا تكون نهايـة لنمو رياسته وللسلام الذين يسودان عـرش داود ومملكتـه، ليثبتها ويعضدها بالحق والبر، ومن الآن وإلى الأبد".

= كذلك قوله: "يرشدكم إلى الحق" وهي تعني الشريعة [1] تتفق مع صفات المسيا في العهد القديم على سـبيل المثـال (شعيا ٤٢).

= العجيب أن هناك موضعا في العهد الجديد نفسه يصف المسيا ببعض الصفات المذكورة في نبوءتنا هذه. فقول المرأة السامرية للمسيح عيسى: "إنني أعلم أن المسيا، الذي يـدعي المسيح سيأتي ومتى جاء أخبرنا بكل شيء" (يوحنا ٤: ٢٥).

---

(1) نص الآباء اليسوعيين ص٣٤٣ حواشي ٩.

هذا القول يذكرنا بصفة في نبوءة يوحنا عن الباراكليت، "..فإنه يعلمكم كل شيء" [1].

* البحث الخامس في نبوءة يوحنا:

تتوافق كثير من صفات الباراكليت مع صفات النبي ﷺ في القرآن. فقوله أول النبوءة: "إن كنتم تحبونني فاعملوا بوصاياي" يذكرنا بقوله تعالى: ﴿ **قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ** ﴾ [آل عمران: ٣١] يقصد تعالى بهذه الآية محمدا ﷺ. بذا قد يكون المعنى الذي تقصده "إن كنتم تحبونني فاعملوا بوصاياي": إن كنتم تحبون المسيح عيسى فاتبعوا ما وصاكم به وهو اتباع الباراكليت. يؤيد ذلك فقرات كثيرة في نبوءة يوحنا توصي بعدم نكران الباراكليت، كذلك قريب من الآية القرآنية قوله: "إذا أحبني أحد حفظ كلامي فأحبه أبي".

(1) تذكرنا هذه الفقرة أيضا بقوله تعالى عن النبي ﷺ: ﴿ **ويعلمكم ما لم تكونوا تعلمون** ﴾ [البقرة: ١٥١]، وبقوله: ﴿ ... **ويعلمهم الكتاب والحكمة وإن كانوا من قبل لفي ضلال مبين** ﴾ [الجمعة: ٢].

- وقوله: "وأما أنتم فتعرفونه" يذكرنا بقوله تعـالى عـن النبي ﷺ: ﴿ **الذين آتيناهم الكتاب يعرفونـه كمـا يعرفـون أبناءهم وإن فريقًا منهم ليكتمون الحـق وهـم يعلمـون** ﴾ [البقرة: ١٤٦].

- وقوله: "يعلمكم كل شيء" (١٤: ٢٦) يـذكرنا بقولـه تعالى عن النبي ﷺ: ﴿ **ويعلمكم ما لـم تكونـوا تعلمـون** ﴾ [البقرة: ١٥١].

** وقوله "يرشدكم إلى الحق كله"، وهو عبارة تطلق في العهد القديم علـى الشـريعة [1]. أي أن الباراكليـت يـأتي بشريعة[2]. وهذا يذكرنا بقولـه تعـالى: ﴿ **الـذين يتبعـون الرسول النبي الأمي الذي يجدونه مكتوبا عندهم في التوراة والإنجيل يأمرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر ويحل لهـم الطيبات ويحرم عليهم الخبائث** ﴾ [الأعراف: ١٥٧].

---

(1) طبعة الآباء اليسوعيين الجديدة حواشي٩ ص٣٤٣.

(2) هذا يتفق مع العهد القديم عن المسيا. على سـبيل المثـال (شـعيا ٤٢).

= وقوله ".. لا يقول شيئًا من عنده بل يتكلم بما يسـمع" أو لا يتكلم من نفسه" في نص آخـر – يوحنـا (١٦: ١٣) يذكرنا بقوله تعالى: ﴿ **قُلْ ما يكُون لِي أَن أُبدله مِـن تِلْقَـاءِ نَفْسِي إِن أَتبِع إِلا ما يوحى إِلَي** ﴾ [يـونس: ١٥]، وبقولـه تعالى: ﴿ **وما ينطِقُ عن الْهوى** ﴾ [النجم: ٣].

= وقوله "يأخذ مما لي ويخبركم" (١٦: ١٤) خاصة بعـد قوله "يتكلم بما يسمع" يشير إلى قوله تعالى: ﴿ **شَرع لَكُم من الدين ما وصى بِهِ نُوحا والذِي أَوحينَا إِلَيك وما وصينَا بِـهِ إِبراهِيم وموسى وعِيسى أَن أَقِيموا الدين ولاَ تَتَفَرقُوا فِيهِ** ﴾ [الشورى: ١٣].

* البحث السادس في نبوءة يوحنا:

ذكرنا من قبل أن النصارى يفسرون تلك النبوءة هكـذا: الباراكليت هو الروح القدس، الإقنـوم الثالـث أو الشـخص الثالث في عقيدتهم [١] وهذه النبوءة تخصه حين ينزل علـى أصحاب عيسى بعد خمسين يوما من قيامته (أي عيسى) من

(1) ذكرنا في فصل سابق أن الروح القدس في كثير من كتب اليهـود هو جبريل عليه السلام، بل يفهم ذلك من العهد القديم نفسه.

الأموات. حسب اعتقادهم. "ولما أتى اليوم الخمسون، كـانوا مجتمعين كلهم في مكان واحد، فانطلق من السماء بغتة دوي كريح عاصفة، فملأ جوانب البيت الذي كانوا فيه، وظهـرت لهم ألسنة كأنها من نار فوقف على كل منهم لسان فـامتلأوا جميعا من الروح القدس أن يتكلموا" (أعمال الرسل ٢: ١ – ٤) وفي التفسير عندهم خلاصة عمل الباراكليـت تعلـيمهم حقيقة المسيح عيسى.

* والحق أني أتساءل، هل هذه النبـوءة الطويلـة التـي شملت ثلاثة فصول من إنجيـل يوحنـا، ١٤ – ١٥ – ١٦ يقصد بها تكلم الحواريين بلغات غير لغاتهم؟.

* ثم إن قوله "رحيلي فائدة لكـم" (١٦: ٧) يزيـد مـن دهشتنا، فهل في تعلمي الروح القدس للحواريين ما لم يـروه من المسيح هو أفضل من وجود المسيح نفسه؟

* كما أن عمل الروح القدس الباراكليت بعد النزول فـي اليوم الخمسين هو المحاماة والدفاع عن النصارى بتفسـيرهم جميعا. فماذا كان عمله قبل ذلك؟ إننا نقرأ الآتي في العهـد القديم:

- "لكنهم تمردوا وأحزنوا روح قدسه فاستحال إلى عـدو لهم... أين من أقام روحه القدس في وسطنا؟" (أشـعيا ٦٣: ١٠ – ١١).

- "لا تطردني من حضرتك، ولا تنـزع منـي روحـك القدوس" (مزامير ٥١: ١١) وهذا إذن عمل قـديم لا يحتاج إلى نبوءة.

- لن نخوض في جدل منطقي حول ألوهية الروح القدس أو اختلاف مدلوله في العهد الجديد عن العهد القـديم، وقد ذكرنا من قبل أن الكثير من أسفار أهل الكتاب من غير الكتاب المقدس؛ تعتبر الروح القدس هو المـلاك جبريل عليه السلام كما يقول القرآن.

* لكنا سنذكر ما ذكرته دائرة المعارف البريطانيـة فـي باب Trinity من أن التثليث لم يعتبر عقيدة مسـتقيمة – أي سائدة – إلا في القرن الرابع الميلادي.

والحق أن مسألة ألوهية الروح القدس كانت محل جـدل شديد حتى عام ٣٨١م، حين عقد مجمع القسطنطينية الـذي أقر ألوهيته؛ نتيجة استنتاج بطريرك الإسكندرية: "ليس روح القدس عندنا بمعنى غير روح ا ، وليس روح ا شيئًا غير

حياته، فإذا قلنا: إن روح القدس مخلوق فقد قلنا: إن روح ا مخلوق، وإذا قلنا: إن روح ا مخلوقة قلنا: إن حياته مخلوقة وإذا قلنا: إن حياته مخلوقة فقد زعمنا أنه غير حي.." [1] إنها إذًا عملية استنتاج!!

= بقى أن نذكر أخيرا أن هذه النبوءة كانت سببا في إسلام القس "أنسلم تورسيدا" في القرن الخامس عشر ليتخـذ اسـم عبد ا الترجمان "تحفة الأريب" ص١٣٦ [2].

* * *

---

(1) محاضرات في النصرانية ص١٣٤.

(2) د. زينب عبد العزيز "محاصرة وإبادة" ص١٧٠.

الباب الثاني

ثمار محمد ﷺ

"من ثمارهم تعرفونهم"

"احترزوا من الأنبياء الكذبـة الـذين يـأتونكم بثيـاب الحملان، ولكنهم من داخل ذئـاب خاطفـة مـن ثمـارهم تعرفونهم. هل يجتنون في الشوك عنبا أو من الحسك تينًا.

هكذا كل شجرة جيدة تصنع أثمارا جيدة، وأمـا الشـجرة الرديئة، فتصنع أثمارا رديئة، لا تقدر شجرة جيدة أن تصنع أثمارا رديئة، ولا شجرة رديئة أن تصنع أثمارا جيدة، كـل شجرة لا تصنع ثمرا جيدا تقطع وتلقى في النار، فـإذًا مـن ثمارهم تعرفوهم". (إنجيل "متى" ٧: ١٥ – ٢٠).

هذا كلام بليغ من سيدنا المسيح ابن مريم، يستشف منـه أولاً أنه ينبئ بنبي بعده ليس بكاذب، وسوف يأتي بعد عيسى كذلك أنبياء كذبة. وكأن أصحابه سألوه: وكيف نفـرق بـين النبي الكاذب والنبي الصادق؟ فقـال لهـم: مـن ثمـارهم تعرفونهم، من نتاج عمله ودعوته يظهر، فالنبي الصادق لابد أن تكون ثمرته طيبة كعمل صالح لأتباعه وغير ذلك، أمـا الأنبياء الكذبة بعد عيسى، فقد ذكر التـاريخ العديـد مـنهم، خاصة مع نهاية القرن الأول الميلادي.

* من أهم مدعي النبوة بعد المسيح عيسى، "سيمون" الملقب بالساحر، الحق أنه لم يدع النبوة فقط، بل ادعى الألوهية أيضا. خرج هذا الرجل من بعض قرى "السامرة" بفلسطين في عهد القيصر كلوديوس، وأتى ببعض أعمال السحر العجيبة، وتابعه عدد كبير من أهل السامرة وغيرها، بل لقد صنع له في روما تمثال أقيم فوق نهر "التيبر" نُقِشَ عليه "إلى سيمون الإله القدوس" ورغم الأعمال الخارقة لسيمون هذا، فقد كانت أخلاقه وضيعة؛ إذ كان يعاشر عاهرة تدعي "هلانة" سماها "الفكرة الأولى" التي انبثقت منه، وسجد أتباعه أمام أصنامه هو وعشيقته ويعبدونها بالبخور والذبائح[١].

وهنالك ذلك اليهودي المصري مدعي النبوة الذي خرج في القرن الأول الميلادي، وقد اقتاد جيشًا مكونًا من ٤٠٠٠ من اليهود لدخول القدس لكن الحامية الرومانية قضت عليهم، وقد أتى ذكره في الإنجيل في سفر الأعمال (٢١: ٣٨) [٢].

(1) "تاريخ الكنيسة" يوسابيوس القيصري – مكتبة المحبة ص٨٤، ٨٥.

(2) "تاريخ الكنيسة" يوسابيوس القيصري – مكتبة المحبة ص٩٩.

ولقد تكلم العهد القديم نفسه عن العديد من الأشياء الكذبة مثل "أجابوس" وغيره، الذين شكلوا ظاهرة خطيرة بنهاية القـرن الأول" [١].

* ذكر التاريخ أيضا من أوائل مدعي النبـوة "ميناندر العراف" Menander خليفة سيمون الساحر. الذي قـال إنـه نفسه "المخلص" الذي أرسل من الـدهور غيـر المنظـورة لخلاص البشر. وقد أتى بأعمال سحر عظيمة وأقنع أتباعـه أنهم لن يموتوا [٢].

* أما أخطر النبوات الكاذبة بعد عيسـى التـي ذكرهـا التاريخ المسيحي، فهي نبوة "مونتانوس" الـذي أعلـن عـام ١٥٦م أن الروح القدس يتكلم إليه مباشرة.. [وأن أتباعه أداة توصيل للروح القدس "البراكليـت" Paraclete] [٣]... وكـان ينطق بعبارات مثل.. هو ذا الإنسان وكأنه قيثـارة وأن (ا)

---

(1) د. ت. فرانس. التفسير الحديث للكتاب المقـدس – إنجيـل متـى ص١٥٥.

(2) المصدر السابق ص١٥٤.

(3) n.s.kelly. "The earlychristian doctrines" j. P. 59 5th editiain

ألعب على أوتارها.. انضمت إلى مونتانوس نبيتـان أعلنتـا نهاية العالم ورجوع المسيح السريع إلى "فريجيـا" (مـوطن مونتاس في تركيا الحالية) وأن أورشليم الجديدة سوف تنزل من السماء... وقد رحب الكثيرون بكل قوة بهذه الدعوة، لأن الانتظار (انتظار عودة المسيح) قد ضعف منذ نهاية القـرن الأول.. وقد امتدت المونتانية حتى إلى الغرب، بل وتبعهـا العديد من الآباء الكبار مثل "ترتليان القرطـاجي" وعاشـت المونتانية حتى القرن الخامس رغم محاربة السابقة لها، ذلك لرفعها صوت النبوة في وجه السلطان الكهنوتي.

وقد عاب المونتانية أخذها من بيئة مدينة "فريجيـا" التـي عبدت الإلهة "سيبيل" أخـذت منهـا الرقصـات المتوحشـة وخصي الذات والاستحمام في دماء الثور الذي يقدم ذبيحـة لها" [1].

* هكذا استعرضنا سريعا النبوات الزائفة التي ظهرت بعد المسيح عيسى.

---

(1) جون لوريمر. "تاريخ الكنيسـة" جـزء١ ص١٢٠. دار الثقافـة. بتصرف.

ماذا كانت ثمراتها؟ نطبق عليها معادلة في أول الفصل.. النبي الصادق له ثمرة طيبة. **يجمع بين تلك الدعوات أن ثمراتها جميعها خبيثة، كالدعوة للزنى والذبح للأصنام وادعاء الألوهية، كما أن هذه الدعوات ماتت ولم تعد لها أية ثمرة.** بالرغم من وجود بعض الخوارق لأصحابها.

*** أما النبي محمد ﷺ فثمرته باقية ودعوته خالدة، وهي ثمرة الصدق والحق والفضيلة، فأمته هي الأمة الوحيدة التي توحد ا توحيدا خالصا، وهي الأمة الوحيدة التي تصلي خمس مرات في اليوم والليلة، وتصوم صوما كاملاً شهرا كاملاً في العام، وهي كذلك أقل الأمم في الانغماس في الزنى وشرب الخمر وسائر الرذائل، ولا يقدح في دعوته أن أمته اليوم تخلفت حضاريا، فتلك دورة الحضارات.**

فحتى الأمس القريب (١١/ ١٢/ ١٨٦٢) أصدر البابا أبيوس التاسع قرارا جاء فيه: لا يمكننا قبول العقل بغزو المجال المخصص لشئون الإيمان ليزرع فيه

الاضطراب...!! [1] كلام البابا هنا له جـذور فـي أصـل النصرانية في "العهد الجديد"؛ إذ يقول بـولس فـي رسـالته الأولى إلى كورنثوس.. "**اختار ا جهـال العـالم ليخـزي الحكماء**.. إن كان أحد يظن أنه حكيم بينكم في هذا الـدهر، فليصر جاهلاً لكي يصير حكيما، لأن حكمة هذا العالم هـي جهالة عند ا ، لأنه مكتوب الآخذ الحكماء بمكرهم، وأيضـا الرب يعلم أفكار الحكماء أنها باطلة (إكورنثـوس (١: ٢٧ – ٢٨، ٢: ١٨ – ٢٠).

أين هذا من قوله تعالى: ﴿ **إِنما يخْشَى ا َ مِـن عِبـادِهِ الْعلماء** ﴾ [فاطر: ٢٨] ومن قوله ﷺ: "طلب العلـم فريضـة على كل مسلم".

تقول د/ "زيجرد هونكة" المستشرقة الألمانيـة الشـهيرة "لو أردنا دليلاً آخر على مدى الهوة العميقة التي كانت تفصل الشرق عن الغرب، لكفانا أن نعرف أن نسـبة ٩٥% علـى الأقل من سكان الغرب في القرون: التاسع والعاشر والحادي عشر والثاني عشر كانوا لا يستطيعون القـراءة والكتابـة.

(1) د. زينب عبد العزيز "محاصرة وإبادة" ص١٩٣.

وبينما كان شارل الأكبر يجهد نفسه فـي شـيخوخته لـتعلم القراءة والكتابة... كانت الآلاف مؤلفة فـي المـدارس فـي القرى والمدن تستقبل ملايين البنين والبنات يجلسـون علـى سجادهم الصغير، يكتبون بحبر يميل إلى السواد فوق ألـواح خشبية،... فلم تكن المساجد مجـرد أمـاكن تـؤدى فيهـا الصلوات فحسب، بل كانت منبرا للعلوم والمعـارف. كمـا ارتفعت فيها كلمات الرسول فوق مجد التدين الأعمـى. ألـم يقل محمد أقوالاً، كنا يكفي لأن يقولها في روما حتى يحـاكم عليها بتهمة الهرطقة... لقد قدم العرب، بجامعاتهم التي بدأت تزدهر منذ القرن التاسع، والتي جذبت إليها منذ عهد البابـا سلفستر الثاني عددا من الغربيين من جانبي جبال البـرانس، ظل يتزايد حتى صار تيارا فكريا دائما (شمس العرب تسطع على الغرب ص٣٦٩ إلى ص١٧٤، ص٣٩٣ إلى ص٣٩٨) كما يقول د/ لويس يونج في مقدمة كتابه "العـرب وأوربـا" ص٩، ١٠ "يجب ألا ننسى الوجـه الآخـر للصـورة فـي العصور الوسطى، عندما عكفت أوربا على علوم العرب من طب وفلسفة وطبيعة، واستمر ذلك لفترة طويلة. حتى إذا كان القرن الثامن عشر قبست منهم نار الرومانطيقية، وفي القرن

التاسع عشر سلبتهم أراضيهم، ثم بترولهم في القرن العشرين. وعلى الرغم من سجل أوربا الطافح بالتزمت الفكري واللاتسامح الديني، على النقيض من المسلمين، فإنها ظلت ترفض الاعتراف بما للعرب من يد طولى على حضارتها، وتتجاهل دورهم الحضاري وتقلل من شأنه" [1].

ونختم كلامنا عن مدى قرب التخلف الحضاري الأوروبي بهذه الأمثلة:

١- في عام ١٨١٩م نددت صحيفة كولونيا في ألمانيا بإضاءة شوارع المدينة بالغاز؛ إذ أن الإنسان في هذه الحالة قد حطم إرادة ا التي قضت بأن يكون الليل مظلما: (زيجرد هونكه. شمس العرب تسطع على الغرب ص٣٠٥).

٢- أصدر البرلمان الإنجليزي قرارا في عصر هنري الثامن يحظر على المرأة قراءة العهد الجديد (الأناجيل

---

(1) "الحضارة الإسلامية والحضارة الغربية" لواء أحمد عبد الوهاب ص٢٤.

وملحقاتها) – أين هذا عند المسلمين في وضعهم المصحف الأم عند حفصة أم المؤمنين؟

٣- في عام ١٨٤٧م عارضت الكنيسة استخدام التخدير في حالات الوضع، لأن ا في الكتاب المقدس حسب زعمهم – قضى أن تلد حواء بآلام!!

هكذا لا يقدح في ثمرة محمد ﷺ أن أمته اليوم فقط تخلفت حضاريا.. تلك كما رأينا دورة الحضارات، وبسبب بعد المسلمين عن أصل دينهم.

لنستعرض الآن بعض ثمار محمد ﷺ بشيء من التفصيل.

* * *

الثمرة الأولى لمحمد ﷺ
"عقيدة منطقية"

* من أهم ثمار دعوة محمد ﷺ تلـك العقيـدة المنطقيـة البسيطة..

ا واحد في صفاته لا شبيه له.

واحد في ذاته لا قسيم له.

واحد في أفعاله لا شريك له.

لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا أحد.

* لنقارن ذلك بالعقيدة المسيحية... عقيدة تجسـد الإلـه، التثليث [١]، الخطيئة الأصلية من رجل واحد (آدم) يجـب أن يدفع ثمنها أبناؤه، وبذلك يجب أن ينزل الرب إلـى الأرض فيصلب في صورة إنسان ليكفر بذلك عن أخطاء البشر!!

---

(1) نعلم أن الثالوث عند المسيحي وحيد الإرادة، بعكس المشرك الذي يعبد آلهة متعددة متضادة الإرادة؛ يستعين على هذا بـذاك ["مـن إعجاز القرآن في أعجمي القرآن" أ/ رءوف أبو سـعدة ص٣٣٤ جزء ٢ بتصرف].

بغض النظر عن كل ذلك، فإن المسيحية ليست هي ذلـك الدين الذي دعا إليه المسيح نفسه – بشهادة الإنجيل فلم يقـل المسيح أبدا في أي إنجيل أنه الإله المتجسد، أو أنه ابـن ا وأنه يكون مع الأب والروح القدس الثالث المقدس [١].

ملحوظة: (١) كان هناك ثالوثًا قديما عند بعـض فـرق النصارى في أوائل القرن الثاني – مكـون مـن الأب والأم والابن.

انظـر: "The Nag hammady library" by james M. Robinsion

جدير بالذكر أن بعض فرق النصارى القديمـة (القـرن الأول) مثل أتباع باسيليدس Basilides كانت تعتقد أن سمعان القروي أخذ صورة المسيح عيسى وأعطاه صورته وصـاب

---

(1) من دلائل ذلك أن عالم اللاهوت يوحنا الدمشقي رد على المنتقدين للأيقونات القائلين إنها ليست في الكتب المقدسة باعترافه: "إنكم لن تجدوا أيضا التثليث أو وحدة مادة الأب والابن أو ثنائية الطبيعـة في المسيح في الكتب المقدسة، ولكننا نعلـم أن هـذه المعتقـدات صحيحة" (أسطورة تجسد الإله في السيد المسيح – جـون هيـك ص(٢١) – دار القلم – بتصرف.

بدلاً من المسيح الذي رفع إلى السماء ("تاريخ الأرطقات من دحضها": للقديس الفونسوس ماريادي ليكوري).

وقد رأت أيضـا فـرق الكـاريوكراتس Carpocarates والسيرنثيين شيئًا قريبا من ذاك.

وهذا هو رأي القرآن أيضا: ﴿ **وَقَولِهِم إِنا قَتَلْنَا الْمسِـيح عِيسى ابن مريم رسولَ ا ـ وما قَتَلُوه وما صـلَبوه ولَكِـن شُبه لَهم وإِن الَذِين اخْتَلَفُوا فِيهِ لَفِي شَك منْه ما لَهم بِهِ مِن عِلْمٍ إِلا اتباع الظن وما قَتَلُوه يقِينًا * بل رفَعه ا ُ إِلَيهِ وكَان ا ُ عزِيزا حكِيما** ﴾ [النساء: ١٥٧، ١٥٨].

وهكذا يذكر القرآن حيثيات حكمه علـى قضـية صـلب المسيح عيسى "إنها مسألة شك وظـن وعـدم يقـين" عنـد معتنقيها، وهذا ما يستشفه بالفعل قارئ الإنجيل، فقـد ذكـر إنجيل مرقص (١٤: ٥٠) أن كل تلاميـذ المسـيح خـذلوه وهربوا، وبالتالي لم يشاهدوا الحادثة. وقـد علـق "شـارل جينيير" رئيس قسم تاريخ الأديان بجامعة باريس في كتابـه "المسيحية نشأتها وتطورها" – دار المعارف – حيـث قـال "ومن المرجح كذلك أن الأحداث الخاصة بالصلب، كانت قـد فقدت الكثير من وضوحها في ذاكرة المؤمنين قبـل تحريـر

الأناجيل، وأنها تأثرت في مخيلـتهم بالأسـاطير المختلفـة الشائعة في الشرق، ثم إنها فسرت تفسيرات غيرت وجـددت في جوانب كثيرة أساسية منها ص٣٨.

* = (٢) كما أن على العكس من ذلك يقول المسيح: "وأنا لا يمكن أن أفعل شيئًا من تلقاء ذاتي، أحكم حسـبما أسـمع وحكمي عادل، لأني لا أسعى لتحقيق إرادتي بل إرادة الـذي أرسلني" (يوحنا: ٣٠).

(إني سأصعد لأبي وأبيكم وإلهي وإلهكم) (يوحنـا ٢٠ – ١٧).

العجيب أن القرآن تحدى العقيدة المسيحية بوجـود هـذه الفقرات في كتبهم فقال: ﴿ **وإِذْ قَالَ ا ُ يا عِيسى ابن مـريم أَأَنْتَ قُلْتَ لِلناس اتخِذُونِي وأُمي إِلَهين مِـن دون ا ِ قَـالَ سبحانَك ما يكُون لِي أَن أَقُولَ ما لَيس لِي بِحق إِن كُنتُ قُلْتُه فَقَد علِمتَه تَعلَم ما فِي نَفْسِي ولاَ أَعلَم ما فِي نَفْسِك إِنك أَنتَ علام الْغُيوبِ * ما قُلْتُ لَهم إِلا ما أَمرتَنِي بِهِ أَن اعبدوا ا َ ربي وربكُم وكُنتُ علَيهم شَهيدا ما دمتُ فِيهم فَلَما تَـوفيتَنِي كُنتَ أَنتَ الرقِيب علَيهم وأَنتَ علَـى كُـل شَـيءٍ شَـهيد** ﴾ [المائدة: ١١٦، ١١٧].

نجد معنى الجزء الأخير من هذه الآية في إنجيل يوحنـا (١٧: ١٢، ١٣): "حين كنت معهم كنت أحفظهم في اسمك... أما الآن فإني عائد إليك".

تحدى القرآن بوجود النص الذي يذكر بشرية المسيح في الإنجيل في مواضع أخرى: ﴿ **لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ ا َ هو الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ وَقَالَ الْمَسِيحُ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اعْبُـدُوا ا َ رَبِّي وَرَبَّكُمْ إِنَّهُ مَنْ يُشْرِكْ بِا ِ فَقَدْ حَرَّمَ ا ُ عَلَيْـهِ الْجَنَّـةَ وَمَأْوَاهُ النَّارُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنْصَارٍ** ﴾ [المائدة: ٧٢].

بعد اطلاعنا على النصوص التوحيدية والتي تنص علـى بشرية المسيح في الإنجيل كما أسلفنا؛ نسـتنتج أن العقيـدة المسيحية ليست هي التي جاء بها المسيح.

وقد آمنت الطائفة الأبيونية (القرن الأول الميلادي) والـ Paulicians والآريوسيين (كلها طوائـف مسـيحية) آمنـت بعيسى كنبي فقط. نرجع في ذلك لكتاب: "Jesus a prophet of islam".

* المسيحية الحالية هي مجرد استنتاج [1] من القديس بولس، نجد ذلك في قراءتنا لأول رسائله لروما (في الإنجيـل) "ومـن ناحية القداسة تبين بقوة أنه ابن ا بالقيامة من الأمـوات.. إنـه يسوع المسيح".. (الرسالة إلى روما) أي إن المسيح لو لم يكن قد قام من الأموات بزعمهم ما كان هناك دليل على أنه ابن ا ، فما بالنا بالأموات الذي أحياهم المسيح نفسه بل وغيره من الأنبيـاء كإيليا وإليشع؟ هل هم كذلك أبناء ا ؟!!.

لقد استنتج بولس أن عيسـى هـو ابـن ا ، والمبـادئ المسيحية ليست هي التي أعلنها المسيح، بل هـي مجموعـة اختبارات لكبار المؤسسين لهذه الديانة، على ذلك ليس مـن الغريب أن نقرأ في العلوم اللاهوتية المسيحية هذه العناوين: "العقائد المسيحية الأولى" "تطور العقيـدة المسـيحية". **لقـد تقررت العقيدة المسيحية الحالية في المجـامع المسـكونية الكبرى أهمها مجمع نيقية (٣٢٥م) الذي تغلب فيه أتبـاع**

(1) يقول مسيادييه: "لقد تم اختراع المسيحية بواسطة ورثتهـا وذلـك ابتداء من القرن الثاني، أي بعد قرن من وفاة يسـوع. ["الإنسـان الذي أصبح ا " الجزء الثاني ص١٤٦].

بولس القلائل على الموحـدين (الأكثريـة) بقـوة سـلطان القيصر قسطنطين. (راجع دائرة المعارف البريطانية) بـاب Ecumenical councils.

يقول عن ذلك القس د/ جون لوريمر في كتابـه "تـاريخ الكنيسة" ص٤١: "وحتى رأوه على جبل التجلي لـم يكونـوا يظنونه سوى واحد من الأنبياء، أما الهزيمة المروعة التـي ظنوها في تسليمه ومحاكمته وصلبه، فكانت شـديدة الأثـر عليهم فأخافتهم وأربكتهم، ولكنهم عنـدما اكتشـفوا قيامتـه وعرفوا معناها العميق... عندئذ اختبـروا، وعرفـوا تلـك الشركة الأساسية الخلاقة التي صـارت الصـفة الأساسـية للكنيسة...".

كذلك "شارل جينيبر" رئيس قسم تاريخ الأديـان بجامعـة باريس في كتابه "المسيحية نشأتها وتطورها" ص١٤١ "ولهذا فمن المبالغ فيه القول بأنه (أي بـولس) المؤسـس الحقيقـي للمسيحية.

أما المؤسسون الحقيقيون للمسيحية. فهم هـؤلاء الرجـال الذين أقاموا كنيسة أنطاكيا.. إلا أن بولس كان يمتاز عـنهم بنشاط أوسع أبعادا".

كما تذكر "فرنسيس يونج" (محاضرة في دراسة الأناجيل بجامعة برمنجهام) في كتاب "أسطورة تجسد الإله في السيد المسـيح" ص١٦٣ ".. إن المسـيحيين الجـدد النـاطقين باليونانية هم الذين ولوا يسوع المسيح – اليهـودي مـن فلسطين – إلى كائن إلهي متجسد".

"وهكذا لقبه أتباعه من اليهـود بالمسـيح، بهـذا اللقـب الغامض إلى حد تطور في معناه داخل الكنيسة المختلطـة – يهودا وأميين – حتى وصل في النهاية إلى نقطـة التأليـه": "جون هك" أستاذ اللاهوت في جامعة برمنجهام فـي كتابـه "أسطورة تجسد الإله في السيد المسـيح" The Myth of God Incarnate ص٢٦٧.

إذن: لقد استنتج بولس أن المسيح هو ا ، لأنـه حسـب زعمه قام من الأموات!!

هذا الاستنتاج استخدمه مؤسسو العقيدة المسيحية في مسألة أخرى وهي التثليث، فمن المعروف أن عقيدة التثليـث لـم تصبح عقيدة "أرثوذكسية" (أي مستقيمة مسلم بهـا) إلا فـي القرن الرابع الميلادي (انظر بـاب TRINITY فـي دائـرة المعارف البريطانية) وعقد مجمع مسكوني عام ٣٨١م فـي

مدينة القسطنطينية لوضع حد للخلاف بين المؤمنين بألوهية الروح القدس وغير المؤمنين به (الموحدين) وقد أقر المجمع ألوهية الروح القدس، لماذا؟ "لأن الروح القدس ليس إلا روح ا ، وإذا قلنا إن الروح القدس مخلوق فلابد أن ا مخلوق أيضا"، إذن إنها عملية استنتاج أيضا.

= العجب أن لرواد التنوير في أوربا في القرن الثامن عشر رأيا في المسيحية أحد من رأينا. يقول "فولتير": "قصص الأناجيل الخرافية، قانونية، أساطير الشهداء والمعجزات.. على هذه الأمور مجتمعة قامت الكنيسة المسيحية.. إنني أؤمن أما عن الابن والسيدة والدته فهذه مسألة أخرى".

كما يقول "ديديرو": "إن الديانة المسيحية في ذهني أسخف وأشنع ما تكون في عقائدها فهي أكثر الديانات غموضا... وأكثرها حقدا وإساءة للأمن العام.. أكثرها تفاهة، أكثرها كآبة، أكثرها تشاؤما في احتفالاتها. أكثرها صبيانية وانطوائية في مبادئها الأخلاقية وأكثر الكل تعصبا.

"ويقول إيمانويل كانت: لا يجب أن يكون لزاما على

المسيحي أن يؤكد إيمانه بـالمعجزات أو ألوهيـة المسـيح أو الفداء بصلب المسيح عن خطايا البشر.

(نقل عن كتاب "تاريخ الكنيسة" للقس جـون لـوريمر – الجزء الخامس – دار الثقافة).

* أما الأعجب فهو رأي كبار رجال اللاهوت في القـرن التاسع عشر، فقد أنكـر الألمـاني اسـتروس STRAUSS. معجزات الإنجيل، وقال إن متى ولوقا ويوحنـا لـم يكتبـوا الأناجيل؛ بل كتبها آخرون، وإن حياة يسوع هولت بأساطير اخترعها كاتبو الأناجيل. كما كتب "كيرك جارد": مؤسس ما يسمى الأورثوذكسية الجديدة في أوربا الكثير عـن سـخافة الإيمان المسيحي. المصدر السابق).

* استمرارا لهذا الاتجاه صدر كتاب عام ١٩٧٧م لسـبعة من علماء اللاهوت الإنجليز بعنوان "أسطورة تجسد الإله في السيد المسيح" – دار القلم – الكويت – ينكرون فيـه عقيـدة التجسد وغيرها من العقائد النصرانية؛ بل وذكروا أصول تلك العقائد عند البوذيين وغيرهم.

وقالوا في مقدمة هذا الكتاب ص٢٥ "ولا ندعي الفـرادة. هناك عدد متزايد من المسيحيين من علماء اللاهـوت ومـن

العامة ينحون في تفكيرهم نفس المنحى" بل إن الأمر وصـل إلى أنه قد تم استفتاء ٣١ من ٣٩ من أساقفة إنجلترا فـأنكر معظمهم – ضمن أشياء أخرى – ألوهية عيسى وقيامته مـن الأموات، وقال ١٩ من الـ ٣١ أسقف إنه من الكافي اعتبار عيسى المعتمـد السـامي الإلهـي god supreme agent – صحيفة (الديلي نيوز ٢٥/ ٦/ ٨٤) نقلاً عن كتاب "أسـاقفة كنيسة إنجلترا وألوهية المسيح" أحمد ديدات – ص٢٣ – ٢٤ المختار الإسلامي.

* * *

الثمرة الثانية لمحمد ﷺ
"كتاب منطقي" (القرآن)

من ثمار محمد ﷺ كتابه المقدس (القرآن) الموحى به إليه من ا .

أ- الكتاب الوحيد الذي لم يتغير عبر ١٤ قرنًا من الزمان، جاء به ومسئول عنه رجل واحد هو محمد ﷺ.

القرآن يختلف عن الإنجيل الذي يحتاج لعلم نقد النصوص، ليصل لنص أقرب ما يكون للنص الأصلي المفقود (يرجع في ذلك لدائرة المعارف البريطانية، باب Bible)[1].

---

(1) التوراة لها عدد كبير من المؤلفات الحائرة، تارة تضم لقانون الكتاب المقدس، وتارة تحذف منه كرسالة برنابا ورؤيا بطرس والراعي هرمس ورسالتا يعقوب، ولم تستقر إلا نسبيا في عام ٣٩٧ – نقلاً عن مقدمة العهد الجديد – دار المشرق ١٩٨٩م بتصرف).

ب- الكتاب (القرآن الكريم) الذي لا نقرأ فيه أبـدا أن ا يستريح (الإنجيل تثنية ٢: ٢) (١) أو ينـام (مزاميـر ٨٧: ٥٦) أو يصارع إنسانًا ويقدر ذلك الإنسان (تثنية ٣٢: ٢٢ – ٣٢) أو أن الشيطان انـدس فـي وسـط الملائكة، ليوقع بين ا وبين عبده أيوب (سفر أيـوب ١: ١، ٢ التوراة).

* لكننا نقرأ في القرآن: ﴿ **ا ُ لاَ إِلَه إِلا هو الْحي الْقَيوم لاَ تَأْخُذُه سِنَةٌ ولاَ نَوم له ما فِي السماواتِ وما فِـي الأَرض من ذَا الَّذِي يشْفَع عِنْده إِلا بِإِذْنِهِ يعلَم ما بين أَيـدِيهم ومـا خَلْفَهم ولاَ يحِيطُون بِشَيءٍ من عِلْمِهِ إِلا بِمـا شَـاء وسِـع كُرسِيه السماواتِ والأَرض ولاَ يئُوده حِفْظُهما وهو الْعلِـي الْعظِيم** ﴾ [البقرة: ٢٥٥].

جـ- الكتاب (القرآن الكريم) الذي لا نقرأ فيه نبيا "لـوط" عاشر ابنتيه (تكوين ١٩: ٣ – ٣٨) أو أن نبيا آخـر "رأوبين" عاشر زوجة أبيه (تكوين ٤٩: ٤) أو أن آخر

---

(1) رد القرآن على ذلك بقوله: ﴿ **ولَقَد خَلَقْنَا السماواتِ والأَرض وما بينَهمـا فِي سِتةِ أَيامٍ وما مسنَا مِن لُغُوبٍ** ﴾ [ق: ٣٨].

"يهوذا" عاشر زوجة ابنـه (تكـوين ٣٨: ٢٣ – ١٢) وأن آخر (نوح) كان سكيرا، وذات مرة تعرى بسبب سكره أمام أولاده (تكوين ٩: ٢١) أو أن نبيـا آخـر (داود) جامع زوجة صديقه الوفي ثـم بعثـه ليقتـل، فيتزوجها هو (صـمويل الثـاني التـوراة (١١: ١ – ١٥).

إننا لا نقرأ في القرآن كذلك أن نبيا "يعقوب" يسرق بركة أخيه (تكوين ٣٧: ١٨ – ٢٩) أو أن النبي هارون هو الـذي صنع العجل الذهب لقومه، ليعبدوه مـن دون ا (خـروج ٣٢).

* لكننا نقرأ في القرآن: ﴿ **ولقد قال لهم هارون من قبـل يا قوم إنما فتنتم به وإن ربكم الرحمن فـاتبعوني وأطيعـوا أمري** ﴾ [طه: ٩٠].

د- من ثمار محمد ﷺ (القرآن) الذي لا نقرأ فيه أن نبيـا (سليمان) كانت له سبعمائة زوجة وثلاثمائة محظيـة، وأن قلبه قد انحرف عن ا وعبد آلهة الأمم في آخر أيامه (ملوك أول التوراة ١١: ١ – ٩).

* لكننا نقرأ في القرآن: ﴿ **واتبعوا ما تَتْلُو الشياطِين علىٰ ملْكِ سليمان وما كَفَر سليمان ولكِـن الشـياطِين كَفَـروا** ﴾ [البقرة: ١٠٢].

هـ- من ثمار محمد ﷺ الكتاب (القرآن) الذي لا نقرأ فيه أن نبيا (يشوع) حينما فتح مدينة دمرها أتباعه، وقضوا بحد السيف على كل من فيها من رجال ونساء وأطفال وشيوخ حتى البقر والغنم والحمير (التوراة يشـوع ٦: ٢١) ثم لا تعلق التوراة على تلك الجـرائم المنسـوبة فيها لأتباع نبي، بل إنها تذكر في موضع آخر (عـدد ٣١: ١٣ – ١٨) أن موسى أمر بقتل الأطفال الذكور والنساء المحصنات من الأسرى.

أمر موسى هنا كـان بالنسـبة للشـعوب التـي يجـدها الإسرائيليون في طريقهم للأرض الموعودة، أمـا السـكان الأصليون للأرض الموعودة، فقد كان الأمر أشد قسوة؛ حيث تروي التوراة وصية لموسى – معاذ ا أن يكون أوصى بها – "أما مدن الشعوب التي يهبها الرب إلهكم لكم ميراثًا فـلا تستبقوا فيها نسمة حية، بل دمروها عـن بكـرة أبيهـا.."!! (التوراة: تثنية ٢٠: ١٦ – ١٧).

* لكننا نقرأ في القرآن ﴿ **الذين إن مكناهم في الأرض أقاموا الصلاة وآتوا الزكاة وأمروا بالمعروف ونهوا عن المنكر ولله عاقبة الأمور** ﴾ [الحج: ٤١].

ونقرأ كذلك في الحديث الشريف وصيته ﷺ للمجاهدين: "لا تغدروا، ولا تغلوا، ولا تمثلوا ولا تقتلوا والولدان، ولا أصحاب الصوامع" (رواه أحمد عن ابن عباس).

كما نقرأ في الحديث الشريف وصيته ﷺ: "لا تقتلوا شيخًا فانيا، ولا طفلاً صغيرا ولا امرأة ولا تغلوا وضموا غنائمكم وأصلحوا وأحسنوا إن الله يحب المحسنين" (رواه أبو داود عن أنس).

لابد أن نسأل أنفسنا:

لماذا لا نجد في القرآن هذه التفاصيل غير المنطقية المذكورة؟ بل نجد ردا عليها؟

﴿ **أفلا يتدبرون القرآن ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافًا كثيرا** ﴾ [النساء: ٨٢].

اختلاف = تناقض وعدم منطقية.

* * *

الثمرة الثالثة لمحمد ﷺ
"كتاب معجز علميا" (القرآن)

تعرض القرآن [ثمرة محمد ﷺ] لتفاصيل علمية جيولوجية وبيولوجية وفلكية ولم يتناقض قط مع أي مسلمة علمية.

يجدر بنا الآن أن نخوض بشيء من التفصيل في هـذا الإعجاز القرآني العلمي.

أ- في الفلك:

١- يذكر القرآن أن الكون نشأ كله من أصل واحد، وهذا الذي يسمونه "السديم" اليوم، وهو أقرب ما يكون فـي التصوير إلى دخان مركز كثيف ساخن – وقد سـماه القرآن بالدخان فعلاً.

* ﴿ **أَو لم يرِ الذِين كفَروا أَن السماواتِ والأرض كانَتَـا رتْقًا فَفَتَقْنَاهما...** ﴾ [الأنبياء: ٣٠].

* ﴿ **ثُم استَوى إِلى السماءِ وهِـي دخَـان فَقَـالَ لَهـا ولِلأَرضِ ائْتِيا طَوعا أَو كَرها قَالَتَا أَتَينَا طَائِعِين** ﴾ [فصلت: ١١].

لنرجع في ذلك لأية دائرة معارف باب Nebula.

٢- يؤكد لنا العلم الحديث أن السماء بناء محكـم تملـؤه المادة والطاقة، ولا يمكن اختراقـه إلا عـن طريـق أبواب ولا يمكن لأي جسم مادي مهما بلغت كتلتـه أو تضاءلت لا يمكنه التحرك في الكون إلا في خطـوط منحنية (حتى الأشعة الكونية على تناهي دقائقها، وهذه الحركة غير المستقيمة يحكمها قانون "العـروج" The law of conservation. وأن حزام النهار في نصـف الكرة الأرضية المواجه للشمس لا يتعدى سمكه مائتي كيلو متر فوق سطح البحر، وإذا ارتفع الإنسان فـوق ذلك، فإنه يرى الشمس قرصا أصـفر فـي صـفحة سوداء، وهذا ما نجده في القرآن الكريم (١).

﴿ **ولو فَتَحنَا عليهم بابا من السماءِ فَظَلوا فِيهِ يعرجون * لقَالُوا إنما سكرتْ أَبصارنَا بلْ نَحـن قَـوم مسـحورون** ﴾ [الحجر: ١٤، ١٥].

﴿ **وآيةٌ لهم الليلُ نَسلَخُ مِنْه النهار فَإِذَا هم مظْلِمـون** ﴾ [يس: ٣٧].

---

(1) د/ زغلول النجار – الإعجاز العلمي – عدد ٦.

(التعبير "نسلخ" يدل على رقة غلالة النهار الشديدة، كما أسلفنا، فشبهه هنا برقة جلد الذبيحة).

وقد اكتشف حديثًا أن للشمس توءما مظلما تدور حول المجموعة الشمسية، وتحدد طريقها ودخولها للمجموعة الشمسية.

[الأهرام: ٢٧/ ٣/ ٢٠٠٠] نقلاً عن Sunday Times "صانداي تايمز" البريطانية] ألا يذكرنا ذلك بأبواب السماء التي تكلمنا عنها آنفًا، كما تذكرنا سحابة الشهب المحيطة بالمجموعة الشمسية بقوله تعالى: ﴿ **وَأَنَّا لَمَسْنَا السَّمَاءَ فَوَجَدْنَاهَا مُلِئَتْ حَرَسًا شَدِيدًا وَشُهُبًا** ﴾ [الجن: ٨].

٣- كروية الأرض شيء مسلم به، وقد ذكرها القرآن في قوله تعالى: ﴿ يكور الليلَ على النهار ويكور النهار على الليل ﴾ [الزمر: ٥].

يقال في العربية: "كور العمامة" أي لفها حول رأسه على هيئة حلزونية، وهذا الذي نعلمه في الحديث أن الأرض كروية، وأنه يكون نصفها ليل ونصفها نهار، وبدوران الأرض يلاف الليل على النهار والعكس الصحيح.

وقد قال بذلك ابن تيمية (٦٦١ – ٧٢٨هـ) – المجلد السادس من كتاب الفتاوى. كما قال بذلك البيروني وابن سينا والكندي والرازي (د. زغلول النجار، الأهرام ١٤/ ١/ ٢٠٠٢).

٤- اكتشف العلم أن مواقع النجوم قاصية جدا وليست كما تشاهد العين قريبة من رءوس الجبال، كما أننا في الواقع نتيجة هذا البعد لا نرى النجم، ولكننا نرى صورته أو موقعه منذ بضع ألوف أو ملايين السنين الضوئية، لأن رحلة الضوء حتى يصل من النجم إلينا طويلة جدا على سرعته.

* قال تعالى: ﴿ **فَلاَ أُقْسِمُ بِمَوَاقِعِ النُّجُومِ * وَإِنَّهُ لَقَسَمٌ لَّوْ تَعْلَمُونَ عَظِيمٌ** ﴾ [الواقعة: ٧٥، ٧٦].

٥- ظهرت في عام ١٩٥٥م نظرية في نشأة الكون تسمى Big Bang أي "الانفجار العظيم"، وهي الآن سائدة تماما بين علماء الفلك؛ وقضت نهائيا على النظرية المقابلة لها "steady state theory"، نرجع في ذلك إلى:

"van Nostrand's scientific Encyclopeida" بـــاب Cosmology صفحة ٨٠٠ ذلك لأنه أمكن فـي عـام ١٩٦٥ رصد بقايا موجات الميكروويـف المصـاحب أو اللاحـق للانفجار الأعظم عمليا. نرجع في ذلك إلى دائرة المعـارف البريطانية باب "Big Bang Model" تقول هذه النظريـة إن الكون بدأ بِكُرة نارية شديدة الكثافة والحرارة، ثـم انفجـرت هذه الكرة وتمددت وتكونت المجرات. ولا زال هذا التمـدد قائم (وتلك حقيقة علمية لا نظرية) ولا زالت الأجرام تتباعد، ومن الممكن أن يستمر ذلك التمدد إلى حـد أقصـى (حـين ينتهي أثر الانفجار الأعظم وتبقى قوة الجاذبية) ويقع تصادم عظيم بين المجرات، ويعود الكون كما بدأ كرة نارية.

"Dictionary of geological terms", 3rd ed. Big Bang hypothesis

وقد أمكن لاحقًا عـن طريـق دراسـات أخـرى غيـر الميكروويف الذي ذكرناه، أولاً: إثبات تباعد المجرات مثـل الأشعة تحت الحمراء وموجات الراديـو، وقـد قـام بهـذه الدراسات علماء جامعات هارفارد، واشنطون وأريزونا.

P. 801 van Nostrand's scientific Encyclopedia. 6th ed.

إذن ثبت علميا أن الكون أصله كرة نارية [1]. كما ثبت عمليا أن الكون يتسع والمجرات تتباعد، ثم بقى اعتقاد نظري أن لهذا التباعد نهاية تبقى عنده قوة الجاذبية وحدها. عندئذ تلتحم المجرات كلها، ليعود الكون كما بدأ كرة غازية أو نارية.

* ويبدو أن هذه النهاية لم تعد الآن اعتقادا نظريا، لأنه باستخدام تلسكوب "بالمار"؛ تبين أن هناك حيودا في الخط المستقيم الموافق لقانون "هابل" مما يعني أن هناك تباطئًا في تباعد المجرات عن ذي قبل. (المرجع السابق ص٨٠١).

= * وهذا الذي ذكرناه يقره القرآن؛ حيث يذكر أن الكون ينتهي بقبضة (حيث تطوي الأجرام السماوية وتلتحم التحاما اندماجيا) ويذكر القرآن كذلك أن الكون ينتهي كما بدأ. أي أنه بدأ بقبضة أيضا. وقبل هذه النهاية يكون الكون في حالة اتساع.

(1) العجيب أننا نجد هذا أيضا من بقايا الحق في بعض كتب طائفة الصائبة "سليم بورنجي"، الصائبة المندائيون" ص٦٠. دار الكنوز الأدبية.

* ﴿ **وما قدروا ا َ حق قدرِهِ والأرض جمِيعا قبضتُه يوم الْقِيامةِ والسماواتُ مطْويات ٌبِيمِينِهِ** ﴾ [الزمر: ٦٧].

* ﴿ **والسماء بنَينَاها بِأَيدٍ وإنا لموسِعون** ﴾ [الذاريات: ٤٧].

٦- كان سطح القمر ملتهبا يوما ما في وقت كانـت فيـه الأرض في حالة صلبة هذا ما يقوله العلم، ذلـك لأن كل المجموعة الشمسية كانت عبارة عن كرات ناريـة ثم تصلبت منذ حوالي ٤,٦ بليون سـنة، لكـن هـذه الأجرام لم تتصلب في آن واحد، بل كان هناك تتـابع في هذه العملية، ومن تلك الأجرام ما بقى كمـا هـو ملتهبا (الشمس)، والأجرام التـي تتصـلب أولاً هـي الأعلى كثافة وقد تبين أن كوكب الأرض هو الأعلـى كثافة ٥,٥٢ يتبعه عطارد ٥,٤، أما القمـر فكثافتـه ٣,٣٥ جم/ س٢. إذًا فقد تكثفت الأرض قبـل القمـر (وكانت الشمس ولا زالت ملتهبـة)، كمـا أن هنـاك ظاهرتان ساهمتا في تأخير تصلب القمر.

الأولى: أن القمر لم يتكثف مثل الأرض ذرة بذرة وطبقة طبقة، بل إنه عبارة عن تجميع لأجزاء متكثفة من السـديم. أما الظاهرة الثانية وهي الأهم: فهي نمو جاذبية القمـر مـع

تصلبه نتيجة زيادة حجمه، مما جعل سرعة اصطدام النيازك المتصلة به عالية جدا، فولد ذلك درجة حرارة عالية جـدا، مما أوجد ظاهرة فريدة؛ إذ صارت الطبقة الخارجيـة (١٥٠ – ٢٠٠ كم) ملتهبة بينما داخل القمر متصلب.

[مستخلص من كتاب:

"Physical geology" 2nd edition – Flint & Skinner – editor: John Wiley & Son.s Library of congress cataloging in publication data: Flint, Richard Foster, 1902 – 1976. Physical Geology p. 460 – 463 – 467 – 472.

* يقول تعالى: ﴿ **وجعلْنَا الليلَ والنهار آيتَين فَمحونَا آيةَ الليل وجعلْنَا آيةَ النهارِ مبصِرةً** ﴾ [الإسراء: ١٢]. آية الليل: القمر، وآية النهار: الشمس، ذلك كما روى ابن كثيـر فـي تفسيره عن ابن عباس وكذلك قال الشوكاني.

* **إذ يقول القرآن إن القمر كان يومـا كالشـمس الآن (ملتهبة ترسل ضوءها وحرارتها إلى الأرض المتصلبة)، ثم تصلب وهذا ما استعرضناه توا.**

* العجيب أن بعـض كتـب اليهـود السـابقة للقـرآن "Apocalypse of Baruch" تذكر هذه المعجـزة العلميـة – لكنها مخلوطة بخرافة؛ إذ تـذكر أن السـماوات والشـمس

والنجوم حزنوا لخروج آدم من الجنة إلا القمر الذي ضـحك عليه، فعاقبه ا بطمس ضوئه!!! نقلاً عـن كتـاب: "The Legends of the Jews" Adam 92.

ب- في علم الجيولوجيا:

١- ظاهرة الزلازل وظاهرة البراكين متلازمتان كمـا أن الطبقة الداخلية للأرض (أثقل من المـادة الخارجيـة) (الصخور)، هذا ما نجده في القرآن الكريم.

﴿ إِذَا زُلْزِلَتِ الأرض زِلْزَالَها * وَأَخْرَجَتِ الأرض أَثْقَالَها﴾ [الزلزلة: ١، ٢]. فالمادة التي تخرج مـن بـراكين الأرض تخرج من الطبقة الوسطى Mantle وهي مادة نارية مائعـة كثافتها أعلى من كثافة القشرة الصخرية، يتلوها فـي داخـل الأرض طبقة النواة الخارجية، وهي مائعة أيضا، لكنها أثقل من الطبقة الوسطى. (من مقال للدكتور أحمد حسنين حشـاد أستاذ بهيئة الطاقة النووية بمصر. عن العدد الثـاني لمجلـة الإعجاز).

٢- "نحن متأكدون أنه منذ زمن يعود إلى ٣,٨ بليون سنة (حين تصلبت الأرض) كان للأرض مسطحات شاسعة من المياه، وفي الغالب تكونت هذه المياه مـن بـاطن

الأرض (الطبقة اللزجة والقشرة) أثناء تكوين المعادن. ووصلت هذه المياه للسطح كـأبخرة سـاخنة أثنـاء الاضطرابات البركانية القديمة". (ترجم بتصرف عـن كتاب:

"Physical geology" flint & Skinner p. 308 – 309. 2nd edition.

* وهذا ما نص عليه القرآن الكريم: ﴿ **وَالأَرْضَ بَعْدَ ذَلِكَ دَحَاهَا * أَخْرَجَ مِنْهَا مَاءَهَا وَمَرْعَاهَـا** ﴾ [النازعـات: ٣٠، ٣١].

٣- لم يفكر الدارسون مطلقًا لعدة مئات من السـنين فـي ربط أصل الجداول والأنهار مباشرة بسقوط المطـر، وتخيلوا بدلاً من ذلك وجود خزانات جوفية هائلة تقوم بتغذية جميع المياه السطحية، كذلك تخيلوا أن أصـل الماء الجوفي اندفاعه في البحار عبـر هـوة سـحيقة سموها "تاتار".

كان هذا الفكر السائد لدى المفكرين اليونانيين والرومان، واستمر هذا التصور في القرن السادس عشر الميلادي (نقلاً عن "الإعجاز القرآني في وصف الـدورة المائيـة" مجلـة "الإعجاز" العدد ٣ – ص٤٨).

لعل أول من أشار إليها حديثًا "برنارد باسيلي" عام ١٥٨٠م فقط ثم "ديكارت" في منتصف القرن الثامن عشر. (د. زغلول النجار، الأهرام ٨/ ٤/ ٢٠٠٢).

بعد ذلك عرفنا أن الأمطار هي مصدر مياه الأنهار وهي التي تملأ الخزانات الجوفية. هذا ما نقرأه في القرآن.

﴿ **وَأَنْزَلْنَا مِن السماءِ ماء بِقَدَرٍ فَأَسكناه فِي الأرضِ وإنا على ذَهابٍ بِهِ لَقَادِرون** ﴾ [المؤمنون: ١٨].

﴿ **أَلَم تَرَ أَن ا َ أَنْزلَ مِن السماءِ ماء فَسلَكه ينَابِيع فِي الأرض**... ﴾ [الزمر: ٢١].

٤- أي جبل لابد له من جذور يغوص في الطبقة اللزجة يعوض ارتفاعه، وعادة ما يكون عمق هذا الجذر بقدر ارتفاع الجبل حوالي عشر مرات. (نرجع في ذلك لأي كتاب في الجيولوجيا التاريخية أو التركيبية.

(Historical geology & structural geology.

خاصة باب Plate Tectonics. وهي النظرية التي تتكلم عن انزلاق القارات وحركاتها الأفقية؛ حيث اصطدمت القارات المغطاة بالمياه قديما، فينزلق جزء من قارة (الأكثر كثافة) تحت الأخرى، فتنشأ جبال بركانية "Island arc" ثم

تتجمع هذه الجبال البركانية، فتكـون القـارات ولا تتوقـف حركة القارات إلا حين تصطدم قارة بأخرى محدثة الجبـال الاصطدامية Collisional type Mowntain. وقد كانت هـذه الحركات الأرضية الأفقية في الماضي الجيولـوجي أسـرع كثيرا منها الآن؛ نتيجة الحرارة الناتجة عن تصلب ونمو لب الأرض، ومن دوران الأرض الأسرع، وكذلك من "التحلـل الإشعاعي" Radio active decay.

*** إذن الجبال لها شكل الأوتاد (الجذور) وهي تعمل على استقرار القشرة الأرضية.**

وذلك نتيجة هذه الجذور العميقة، ولأن اصطدام القارات هو آخر مراحل حركة القشرة الأرضـية، كمـا أن الجبـال حادثة، واستقرار القشرة عن الماضي حادث.

["Sources of Scientific knowledge": Z. R. El. Naggar P. 49 The geological concept of mountains in the Quran]

The International Institute of Islamic thought.

* هذا ما نقرأه في القرآن:

﴿ **أَلَمْ نَجْعَلِ الْأَرْضَ مِهَادًا * وَالْجِبَالَ أَوْتَادًا** ﴾ [النبأ: ٦، ٧].

﴿ **وَأَلْقَى فِي الْأَرْضِ رَوَاسِيَ أَنْ تَمِيدَ بِكُمْ** ﴾ [النحل: ١٥].

٥- بعد تكوين الجبال يحدث كثيرا إعادة تدفق للحمم في الجبال عن طريق شقوق فيها، ثم تبرد هذه الحمم فتبدو في الجبال كصحيفة ممتدة من الصخور النارية تظهر على سطح الجبل كخط أو طريق. قد يحدث هذا للجبال بعد تمام تكوينها وغالبا ما يحدث في باطن الأرض، ثم يرتفع الجبل بعد ذلك ويبدو هذا التدفق على سطحه، كما ذكرنا كخط ممتد أو طريق، ويصطلح عليه جيولوجيا بكلمة Dyke والطريق في اللغة يسمى جدة هذه الجدد Dykes تكون نوعان: إما قلوية Alkakine تكون سوداء أو حمضية Acidic مثل الجرانيت الذي يتكون من معدنين أساسيين هما الكوارتز" وهو أبيض اللون و"الفلسبار" وهو أحمر اللون.

أليس هذا مصدقًا قوله عز وجل: ﴿ **ومِن الْجِبالِ جدد بِيض وحمر مخْتَلِف أَلْوانُها وغَرابِيب سود * ومِن الناس والدواب والأنْعامِ مخْتَلِف أَلْوانُه كَذَلِك إِنما يخْشَى ا ـَ مِن عِبادِهِ الْعلَماء إِن ا ـَ عزِيز غَفُور** ﴾ [فاطر: ٢٧، ٢٨].

(نقلاً عن زغلول النجار مستخلصا من مقالاته في جريدة الأهرام في الربع الأول من عام ٢٠٠٢).

٦- تتكون الكرة الأرضية من عدة طبقات مختلفة. هنـاك تقسيم عام يقسم الأرض إلى ثلاث طبقات (القشـرة – الطبقة اللازجة – اللب).

ثم هناك تقسيمات أدق تقسمها إلى خمس طبقات وأكثـر، هذه الطبقات مع اختلافها في التكوين يوجد تفاعل دائم بينها، فالقشرة الأرضية مثلاً ينزلق أجزاء منها في داخـل الطبقـة اللازجة، فتنصهر هذه الأجزاء. كما أن الطبقة اللازجة وهـي الوسطى تمد القشرة بالصخور المكونة حـديثًا فـي أعمـاق القشرة الأرضية، أو تخرج الحمم من الطبقة اللازجـة عبـر البراكين فوق سطح الأرض. وهكذا هناك دائما تفاعل بـين طبقات الأرض.

إذن العلم يقول إن الأرض مكونة من طبقات بعضها فوق بعض، وهذه الطبقات تتفاعل فيما بينها، وهذا ما نجده فـي القرآن الكريم.

* ﴿ **اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ وَمِنَ الْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَتَنَزَّلُ الْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ لِتَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ اللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمًا** ﴾ [الطلاق: ١٢].

يقول القرآن إن السماوات السبع والأرض كذلك مثلهـا. وقد ذكر القرآن في مواضع أخرى عديدة أن السماوات السبع طباق؛ أي بعضها فوق بعض، وكما أن الأرض مثل السماء فتكون الأرضين السبع طباق أيضا، أما قوله تعالى: ﴿ **يَتَنَزَّلُ الْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ** ﴾ فهو قمة الإعجاز؛ إذ إن هذه الطبقات ليسـت جامدة، بل هناك دائما تفاعل وأمر يتنزل.

٧- هناك طائفة كبيرة من المعادن تتكون عن طريق عمل المياه والترسيب من الأنهار Placer deposits؛ حيـث تنهمر الأمطار على هضبة عالية مكونة من صـخور تحتوي على نسبة ضئيلة من معدن نفـيس أو أكثـر تسمى Mother Rock "الصخرة الأم"، وعادة ما يكون سطح هذه الهضبة مغطى بصـخور مفتتـة Regolith حين تنزل المياه على هذه المفتتات؛ تُحدث زبدا نتيجة ذوبان أملاح المعادن المكونة لهذه المفتتات، فإن كـان السيل أقوى نحر في الصخرة الصلبة وكـون وديانًـا

حسب حجم المياه وقوة اندفاعها، ثم تنتقـل الأجـزاء التي انفصلت عن الصخرة الأم واستمرت مع الميـاه في رحلتها إلى المصب عبر الأرض الأقل ارتفاعـا، فأما المعادن غير النفيسة الموجودة في هذه الأجـزاء المحمولة من الصخور فلا تتحمل الرحلة وتذوب فـي المياه محدثة زبدا آخر كالذي كونته المفتتات الأولـى التي كانت تغطي منحدر الجبل قبل سقوط المياه، وأما المعادن النفيسة فتتحمل رحلة المياه، بل إنها تزداد مع طول الرحلة وتتجمع أجزاؤها فُترى بالعين المجـردة بعد أن كانت نسبتها في "الصـخرة الأم" ثلاثـة فـي المليون في بعض الأحيان.

ومن أمثلة المعادن التي تتكون بهذه الطريقة ما نستخدمه في الزينة كالذهب والفضة، ومنها ما هو متاع كـاليورانيوم والرصاص.

* أليس هذا ما نقرأه في قوله تعالى: ﴿ **أَنْزَلَ مِن السماءِ ماء فَسالَتْ أَودِيةٌ بِقَدرِها فَاحتَملَ السيلُ زبدا رابِيـا ومِمـا يوقِدون عليهِ فِي النارِ ابتِغَاء حِلْيةٍ أَو متاعٍ زبد مِثْلُه كَـذَلِك يضرِب ا ُ الْحق والْباطِلَ فَأَما الزبد فَيذْهب جفَاء وأَما مـا**

ينفَع الناس فَيمكُثُ ِفي الأَرضِ كَذَٰلِك يضرِب ا ُ الأمثَـالَ ﴾ [الرعد: ١٧].

وقد كانت التفاسير القديمة تقول إن هـذه الآيـة تصـف صورتان الأولى لتكون مياه الأمطار، والأخرى للحداد ينقي المعادن بالنار، لكن الآية تقول في نهايتها ﴿ **وأَما مـا ينفَـع الناس فَيمكُثُ ِفي الأَرضِ** ﴾ والحداد منذ المبدأ هـو وآلتـه ومعدنه ونفايته فوق الأرض. والتـذييل هنـا واحـد للمـاء والمعادن، فالصورة كما شرحنا واحدة لا ثنتان.

يؤيد ما ذهبنا إليه حديث شريف رواه البخاري ومسلم عن أبي هريرة يتكلم فيه النبي ﷺ عن ذهب يوجد داخـل نهـر "يوشك أن يحسر الفرات عن كنز من ذهب، فمن حضره فلا يأخذ منه شيئًا" – ومن علامات السـاعة أن تخـرج الأرض أثقالها.

٨- تتكون التربة الطينية من معادن تتكون من سـليكات الألومنيوم على هيئة صفائح. عندما يسقط عليها الماء يتأين الأخير، فيتحـول إلـى أيونـات الهيـدروجين والأوكسجين المكهربة، ويتعلق كـل مـنهم بسـطح مختلف فتنتفخ التربة الطينية.

يسبق هذا الانتفاخ أو العلو في السـمك اهتـزاز سـجلته كاميرات التصوير العلمية، نتيجة تأين الماء ثم نتيجة خروج النبات.

لذلك ينصح دائما مهندسو الإنشاءات بعدم البنـاء فـوق التربة الطينية kaoline، وإلا فسوف تنتفخ هذه التربة؛ حيـث تمتص أي مياه قريبة. وبذلك تميل تلك البناية مثل برج بيزا المائل في إيطاليا، أليس هذا مصداق قوله عز وجل: ﴿ **ومِن آياتِهِ أنك تَرى الأرض خَاشِعةً فَإِذَا أَنْزلْنَا عليها الْماء اهتَزتْ وربتْ إِن الذِي أحياها لمحيِي الْموتَى إنه على كُـل شَـيءٍ قَدِير** ﴾ [فصلت: ٣٩] (مستخلص من مقـالات د. زغلـول النجار في جريدة الأهرام: فبراير، مارس ٢٠٠٢ بتصرف).

٩- من المعروف أن السحب أنواع: منها ما يمتد رأسيا أو أفقيا بأشكال مختلفة، ويصاحبها ظواهر مختلفة. منهـا "السحب الركامية" Cumulus (التي يتراكم بعضها فوق بعض)، هذا النوع يكون له قاعدة مفلطحة وقمة. وتقع على ارتفاعات منخفضة (القاعدة عند ارتفاع ٥٠٠ أو ١٠٠٠ قدم) إلا أن القمة قد توجد عند ارتفاع ٢٠٠٠٠

قدم (٦٠٩٦ متر). وتتكون هذه السحب مـن المـاء والثلج.

* هناك فصيلة من هذا النوع وهي "السـحب الركاميـة الممطرة".

Cumulunimbus

- هذه السحب هي السبب في العواصف التي يصـاحبها رعد وبرق.

Thunderstorm clouds

وهي تتكون من الماء والثلج. بالطبع ممطرة (كما يتضح من اسمها). تنمو رأسيا وتبدو كالجبال (القمة قد تصل إلـى ٥٠٠٠٠ قدم) أو الأبراج العظيمة، ومنها يتكون كل أنـواع السحب الأخرى.

[تـرجم بتصـرف عـن "Van Nostrand's scientific Encyclopedia" P. 679

كما أن هناك نوعا هو Cumulunimbus capillatus (وهو نوع من الفصيلة التي ذكرناها آنفًا) مسئول عن نزول البـرد (دائرة المعارف البريطانية باب Clouds).

إذ هناك نوع معين من السحب، ركامي وممطر؛ دائمـا يبدو كالجبال، هو الوحيد الذي يصاحبه برق ونزول برد..

وهذا ما نجده في القرآن الكريم:

﴿ **ألم تر أن الله يزجي سحابا ثم يؤلف بينه ثـم يجعلـه ركاما فترى الودق [1] يخرج من خلاله وينزل من السـماء من جبال [2] فيها من برد فيصيب به من يشاء ويصرفه عن من يشاء يكاد سنا برقه يذهب بالأبصار** ﴾ [النور: ٤٣].

١٠- الرياح العلوية التي يتبعها مباشرة حدوث الأعاصير Jet steram يكون شكلها على هيئة "منجل" أو "عـرف الفرس"؛ بحيث تتكون الجبهة من الهواء البارد وباطنه في الهواء الساخن.

أليس هذا تحقيق قوله تعـالى: ﴿ **والمرسـلات عرفـا * فالعاصفات عصفا** ﴾ [المرسلات ١، ٢]. الفاء تفيد السرعة!

* ويمكن أن ترفع الرياح – عندما تهب – مـواد مثـل التراب، بخار الماء في الهـواء، وهـذا هـو تـأثير القـوة

---

(1) الودق هو المطر عند المفسرين.

(2) في التفسير التقليدي أيضا الجبال، هي السحب التي تبدو كالجبـال (تفسير "التحرير والتنوير" للطاهر بن عاشور).

الصاعدة".. ويصف القرآن هذه الأحداث؛ إذ يقـول تعـالى: ﴿**والذارياتِ ذَروا * فَالْحامِلاَتِ وِقْرا** ﴾ [الذاريات: ١، ٢].

(مستخلص بتصرف من "الإعجـاز العلمـي" – عـدد ٥ ص١٤، ١٥ [يجب التنويه أن علم الأرصاد الجوية لا يزيـد عمره عن قرنين من الزمان].

في ذلك أيضا ذكر القرآن الكريم في هذا البـاب أيضـا: ﴿**وأَرسلْنَا الرياح لَواقِح فَأَنْزلْنَا مِن السماءِ ماء فَأَسقَينَاكُموه وما أَنْتُم لَه بِخَازِنين** ﴾ [الحجر: ٢٢] فهذه الجسيمات (دقائق التراب، الملح، فتات النبات، وحتـى بعـض البكتريـا) إذا انتشرت في جسم السحابة؛ تشكل نوى للتكثف يعـين بخـار الماء في السحابة على مزيد من التكثف فوق قطيرات الماء، أو بللورات الثلج الموجود في السحابة، فتزيد كتلته لدرجـة لا يقدر الهواء على حملها، فيسقط المطر بـإذن ا تعـالى (الأهرام ٦/ ٥/ ٢٠٠٢ د. زغلـول النجـار "مـن أسـرار القرآن".

بقى أن نضيف أن علم الأرصاد الجوية لـم يـدخل فـي مجال العلوم التطبيقية إلا في بدايات القرن التاسع عشر، قبل ذلك كانت سائدة أفكار "أرسطو" خاصة فـي كتابـه "علـم

الأرصاد" الذي قال فيه إن الرعد مـا هـو إلا ريـح!! وأن السحب لا يمكن أن تتكون في علو يزيد عن قمة أكثر الجبال ارتفاعا، لأن الهواء بعد قمة الجبل يحتوي على النار!!

- استمر هذا حتى أوائل القرن السابع عشر حين ظهـر فجر علم الأرصاد.

(مستخلص من: الإعجاز القرآني في وصـف السـحاب الركامي" – إعداد فريق من علماء كلية الأرصاد والبيئـة – جامعة الملك عبد العزيز – السعودية. العدد الأول من مجلة "الإعجاز" ص٦٨ إلى ص٧٥.

جـ - في علوم البحار:

١- علم الإنسان منذ البدء ورأى أمواج البحار السـطحية، لكنه لم يعلم أن للبحار أمواجا داخلية Density current نتيجة هبوط الماء الكثيف الذي ينـتج عـن البـرودة وزيادة الملوحة. نرجع في ذلك لكتاب:

"Physical geology" Flint & skinner 2nd edition. P. 312.

كذلك لم يعلم الإنسان أن في أعماق البحار ظلمة نتيجـة امتصاص ألوان الطيف إلا متأخرا، فبعد ثلاثين مترا يمتص

اللون الأحمر وهكذا حتى بعد ٢٠٠ مترا نجد ظلمة حالكة نجد فيها أسماكًا لا ترى إلا عن طريق الأسماء الأخرى المضيئة ذاتيا.

نرجع في ذلك لأي كتاب في علوم البحار Oceanography أو علم Marine Biology.

** **هاتان الظاهرتان (أمواج البحر الداخلية وظلمة البحار العميقة) نجدها في القرآن الكريم؛ حيث يصور القرآن إنسانًا داخل البحر:**

﴿ أَو كَظُلُماتٍ فِي بحرٍ لجي يغْشَاه موج من فَوقِهِ موج من فَوقِهِ سحاب ظُلُماتٌ بعضها فَوقَ بعضٍ إِذَا أَخْرج يده لم يكَد يراها ومن لم يجعلِ اللَّه له نُورا فَما لَه مِن نُورٍ ﴾ [النور: ٤٠].

ملحوظة: لو كان المقصود بظلمة البحر ظلمته ليلاً ما ذكر تعالى السحاب.

٢- البحار المفتوحة ليست واحدة كما يظن عامة الناس. هناك اختلاف في العناصر الموجودة فيها، وفي درجة الحرارة والكثافة وقابلية ذوبان الأكسجين، وأنواع الكائنات الحية ودرجة الملوحة (البحر الأحمر مثلاً من

أشد البحار ملوحة) هذا ما نقرأه في علم Marine Biology وعلوم البحار Oceanography بل إن المسطحات المائية الكبيرة تنقسم إلى عدة كتل بحرية مختلفة، وعند موضع التقاء بحرين يحدث اختلاط جزئي دون أن يغير هذا طبيعة ذلك أو العكس.

هذا الاختلاط تحكمه العوامل التي تتسبب في الأمواج البحرية الداخلية، وقد ذكرنا من قبل أن كتل الماء الأكثر برودة أو ملوحة تتحرك لأسفل والعكس بالعكس. بالرغم من هذا المزج الجزئي تحتفظ الكتل المائية – في عمومها – بخصائصها الطبيعية.

يتضح هذا أكثر في الصور الملتقطة للبحار بالأشعة تحت الحمراء Thermal mapping. في صورة حرارية التقطت في يونيو ١٩٨٢م بالقمر الصناعي Meteosat f2 يظهر البحر الأحمر كله تقريبا أخضر (حرارة ٢٥م) كما يظهر بحر العرب الملاصق له أخضر مع بعض الصفرة (٢٥,٥م) بينما نجد بقية المحيط الهندي (عدا بحر العرب) كله أزرق (٢٣,١م) كذلك البحر الأبيض المتوسط لونه أصفر مع بعض الخضرة، ثم المحيط الأطلنطي أزرق.

["The Cambridge encyclopedia of space" ed.: Michael Bycroft].

هذه الصورة تبين تميز كل كتلة بحرية بخصائص طبيعية معينة، ولكنها لا تبين الحاجز الصغير الذي يحـدث عنـده المزج المحدود، ذلك لعموم الصورة، وربمـا ظهـر هـذا الحاجز في صورة أكثر تفصيلاً. لكن هـذا الاخـتلاط كمـا ذكرنا بدهي لأن التيارات البحرية تتحـرك تبعـا للحـرارة والملوحة، وهي الخصائص التي ميزت الكتل البحرية.

هذا ما نقرأه في القرآن الكريم: ﴿ **مرج الْبحرين يلْتَقِيـان * بينَهما برزخٌ لا يبغِيان * فَبِـأَي آلاءِ ربكُمـا تُكَـذبان * يخْرج مِنْهما اللؤْلُؤُ والْمرجان** ﴾ [الرحمن: ١٩ – ٢٢].

المرج: هو الخليط. والبـرزخ: الحـاجز، وقولـه: ﴿ لا يبغِيان ﴾ يعني أن هذا الخلط محدود. وقوله: ﴿ يخْرج مِنْهما اللؤْلُؤُ والْمرجان ﴾ أكد أن البحرين مالحـان لأن المرجـان لا يكون إلا في البحر المالح.

د- في الطب الوقائي:

ظل الناس إلى ما قبل اكتشـاف "باسـتير" للميكروبـات يعتقدون أن الأمراض تسببها الأرواح الشريرة، ولـم تكـن

هناك تعاليم للوقاية منها إلى أن جاء الإسلام، فاهتم بـأمور النظافة وجعل الطهر شطر الدين، وشرع الوضوء والغسـل والسواك والمضمضة والاستنشاق والختان وتقلـيم الأظـافر وحلق العانة وغسل الأصابع، ونظافة السبيلين بما لا نجد له مثيلاً في أي معتقد، بل وأمر بعدم البول في المـاء الراكـد [نجد ذلك في البخاري ومسلم] (ثبت بعد ذلك أن إهمال هـذا الأمر يسبب البلهارسيا).

وجعل التخلي في طريق الناس والظل من الملاعن (ثبت أن الأماكن الرطبة ذات الظل تعتبر جوا ملائما لنمو أغلـب البكتريا) وأمر بعدم التنفس في الإناء، وأن يغطى الوجه عند العطس.

ثم إن الإسلام ابتدع **الحجر الصحي**: "لا يوردن ممـرض على مصح" رواه الشيخان. و"إذا سمعتم بالطاعون في أرض فلا تدخلوها. وإذا وقع بأرض وأنتم بها فلا تخرجوا منهـا. رواه الشيخان أيضا. هذا الذي جعل انتشار الأمراض المعدية في العصور الوسطى في بلاد الإسلام أقل بكثير منهـا فـي أوربا؛ حيث قضت موجات الطاعون علـى ربـع السـكان

(مستخلص من د/ عبد الجواد الصاوي – عدد ٤ من مجلة الإعجاز).

كذلك حرم الإسلام اقتناء الكلاب على العموم، وقد ثبت أنه يحمل خمسين مرضا طفيليا كثير منها في لعابه.

أما عن **الطعام المحرم**: فقد حرم القرآن لحم الخنزير الذي نكتشف فيه يوما بعد يوم أمراضا عديدة، منها ما ينتج عن الدودة الشريطية وغيرها. وحرم شرب الدم وثبت أنه مستودع للجراثيم. وحرمة الميتة والمنخنقة وغيرها مما يموت موتًا بطيئًا من البهائم، لأن الدماء بذلك تنقل الجراثيم إلى سائر أنحاء الجسم إذ لم يمت الحيوان بعد.

لا يفوتنا أن نشير هنا إلى مرض جنون البقر الشهير؛ الذي ينتج عن إضافة الدماء وعظام ولحوم البهائم النافقة بعد طحنها إلى علف الحيوان.

هذا نقرأه في القرآن:

﴿ **حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةُ وَالدَّمُ وَلَحْمُ الْخِنْزِيرِ وَمَا أُهِلَّ لِغَيْرِ اللَّهِ بِهِ وَالْمُنْخَنِقَةُ وَالْمَوْقُوذَةُ وَالْمُتَرَدِّيَةُ وَالنَّطِيحَةُ وَمَا أَكَلَ السَّبُعُ إِلَّا مَا ذَكَّيْتُمْ...** ﴾ [المائدة: ٣].

يضاف إلى ذلك أن الذبح الإسلامي للبهائم هـو أفضـل الطرق أولاً رحمة بالحيوان خاصة إذا حدت الشفرة – حسب ما تأمر الشريعة – كما أنه الأفضل صحيا لأن الـذبح عنـد الحلقوم يجعل المخ ينادي على سائر الجسد لضخ الدم إليـه، وبطبيعة الحال لا يصل لكنه يكون قد خرج من الجسم، وتـم بذلك التخاص من أكبر بيئة خصبة لنمو الجراثيم [مستخاص من حوارين مع د/ جون فونـوفر لارسـن كبيـر أطبـاء المستشفى الرسمي في كوبنهاجن فـي العـدد ٣، ٤ مجلـة الإعجاز].

كذلك ذكرت د. بيترا سيدهم (العالمـة الألمانيـة قبطيـة الأصل) مستشارة الجمعية الدولية للرفق بالحيوان، أن تعاليم الشريعة الإسلامية في الذبح ضرورية وهامة جدا للحصـول على لحم جيد وصالح للإنسان؛ إذ إن هذا اللحم يتغير نتيجـة توتر الذبيحة قبل الذبح، ثم أشادت العالمة بـدعوة الشـريعة لإحسان الذبح ومعاملة الحيوان دون قسوة (جريدة الأخبـار ٢١/ ٢/ ٢٠٠٢).

كذلك من الطب الوقائي التحذير من شيوع الزنـا.. ففـي الحديث الشريف الشهير: "... لم تظهر الفاحشة في قوم قـط

حتى يعلنوا بها إلا فشا فيهم الطاعون والأوجاع التي لم تكن مضت في أسلافهم الذين مضوا" (رواه ابن ماجه عـن ابـن عمر).

فهل سمع أسلافنا عن مرض الإيدز والهيربز؟

= من الإعجاز الطبي كذلك في القرآن أمره أن **يرضـع الأطفال سنتين.**

﴿ **والْوالِداتُ يرضِعن أَولادهن حولين كامِلَين لِمن أَراد أَن يتِم الرضاعةَ** ﴾ [البقرة: ٢٣٣]. فقد ثبت في دراسة بفنلنـدا عـام ١٩٩٤م منشـورة فـي مجلـة "المناعـة الذاتيـة" Autoimmunity 1994 23: 165 – 74 أنه كلما اقتربت مـدة الرضاعة الطبيعية من سنتين كلما قل تركيز الأجسام المناعة الضارة بخلايا بيتا البنكرياسية التي تفوز الأنسولين؛ لذا ثبت أن إعطاء الأطفال لبن الأبقار المصنع قبل السنتين للأطفـال يعرضهم جدا للإصابة بمرض السكري، لأنه يمر عبر جدار أمعاء الأطفال الرضع. [مستخلص من أ. د/ مجاهد محمد أبو المجد – مجلة الإعجاز. العدد الرابع ص٧، ٩].

ومن الإعجاز الطبي تحديد عدة المـرأة المتـوفى عنهـا زوجها؛ أي لا تتزوج ثانية إلا بعد هذا التاريخ بأربعة أشهر وعشرا.

﴿ **والذِين يتَوفون مِـنْكُم ويـذَرون أَزواجـا يتَربصـن بِأَنْفُسِهن أَربعةَ أَشْهرٍ وعشْرا** ﴾ [البقرة: ٢٢٤].

فيأتي العلم ويقول إن الحامل يبدأ شعورها فـي الغالـب بالجنين بعد أربعة أشهر، منذ يوم الإخصاب، ويضاف لتباين الخبرات مدة عشرة أيام.

وكذلك عدة المطلقة "ثلاثة قروء" أي مدة ثلاث حيضات.

﴿ **والْمطَلَقَاتُ يتَربصن بِأَنْفُسِهن ثَلاثَةَ قُروءٍ ولاَ يحِلُ لَهن أَن يكْتُمن ما خَلَقَ ا ُ فِي أَرحامِهِن إِن كُـن يـؤْمِن بِـا ِ والْيومِ الآخِرِ**﴾ [البقرة: ٢٢٨].

فيأتي العلـم ويقـول إن مـدة ١٢ أسـبوع = ٨٤ = ٣ حيضات، هي المدة التي يظهر فيها الحمل بشـعور المـرأة بالثقل، ونمو البطن؛ ليؤيد انقطاع الحيض والعلامات الثانوية في نهاية ٣ حيضات منتظمة. [د/ محمد دودح عدد ٤ مـن مجلة الإعجاز ص٥٠ عن د/ كيث مور "تطور الجنين"].

وكأن القرآن أراد في حالة المطلقـة بالدرجـة الأولـى، استبراء الرحم من الحمل لعدم خلط الأنساب، فتتأكد المـرأة من نفسها أن هناك حملاً أم لا. لذلك قال القرآن: ﴿ **ولاَ يحِل لَهن أَن يكْتُمن ما خَلَقَ ا ُ فِي أَرحـامِهن** ﴾ لأنهـا هـي – المرأة – في ذلك التاريخ (٣ قروء) هي التي تشعر بالثقـل، كما أن نمو البطن عندئذ قد لا يكون ملحوظًا.

وقد زادت عدة المرأة المتوفى عنها زوجها عن المطلقـة وفاء للزوج المتوفى؛ إذ في ذلك التاريخ (٤ أشهر وعشـرا) لا تشعر المرأة فقط بأنها حامل، بل تشعر بحركة الجنـين. بقى أن نضيف "إن تشريع العدة في القرآن ليس له نظير في كل حضارات العالم القديم ومدونات الأديان وأحكـام العـدة عالمية باقية لأنها توافق طبيعة التكوين الواحدة لتؤيد أن نبوة محمد ﷺ خاتمة، ويكفي التطابق بين مواعيد ظهور الحمـل القاطعة كما قررها العلم الحديث ومواعيـد الاعتـداد التـي جاءت بها النصوص كبينة علـى التنزيـل، لأن الـدلالات العلمية وخاصة الرقمية حاسمة لا تحتاج لقريحـة ذات ذوق مخصوص لتدركها" (المصدر السابق ص٥٣).

هـ- في علم الأجنة:

"فطيلة القرون الوسطى كانت الخرافات والأفكار النظرية التي لا تتمتع بأي أساس، هي قاعدة مختلف المعتقدات في هذا الموضوع، بل لقد سادت أيضا لقرون عديدة حتى بعد العصور الوسطى. إن المرحلة الحاسمة في تاريخ علم الأجنة بدأت بدعوى "هارفي" الذي قال، في عام ١٦٥١، بأن كل شيء حي يأتي أولاً من بويضة، وأن الجنين يتخلق تدريجيا جزءا بعد جزء.." هذا هو كلام الأكاديمي الفرنسي د/ "موريس بوكاي" في كتابه "القرآن الكريم والتوراة والإنجيل والعلم" الفتح للإعلام العربي ص٢٣٣.

كما يذكر بروفيسور/ ج. س. جورنجر – أستاذ علم الأجنة بجامعة جورج تاون في محاضرة ألقاها عام ١٩٨٧م في إسلام آباد في المؤتمر العالمي الأول عن الإعجاز العلمي في القرآن والسنة النبوية (نقلاً عن العدد الأول لمجلة الإعجاز التابعة لرابطة العالم الإسلامي بمكة). ذكر هذا العالم أنه قبل القرآن لم يكن هناك أي تدوين صحيح لمراحل التخلق البشري... وبينما كان فريق من العلماء يرى أن الإنسان يخلق خلقًا تاما في بويضة المرأة!! كان فريق آخر

يقول إن الإنسان يخلق خلقًا تاما في الحيوان المنوي!! ولـم ينته هذا الجدل إلا حوالي عام ١٧٧٥م حـين علـم أهميـة البويضة والحيوان المنوي معا لعملية خلق الجنين.

هكذا كان يعتقد قبل اختراع الميكروسكوب أن الحيـوان المنوي به قزم يكبر فيصير جنينًا!!!

** = أما ما يقوله القرآن عن التناسل الإنسـاني وخلـق الأجنة منذ أكثر من ١٤ قرنًا..

١) ﴿ فَلْينْظُرِ الإنسان مِم خُلِقَ * خُلِقَ مِن مـاءٍ دافِـقٍ ﴾ [الطارق: ٥، ٦].

٢) ﴿ إنا خَلَقْنَا الإِنْسان مِن نطْفَةٍ أَمشَاجٍ نبتَلِيـهِ فَجعلْنَـاه سمِيعا بصِيرا ﴾ [الإنسان: ٢].

٣) ﴿ ثُم جعلَ نَسلَه مِن سلاَلَةٍ من ماءٍ مهينٍ... ﴾ [السجدة: ٨].

٤) ﴿ يا أَيها الناس إِن كُنْتُم فِي ريبٍ مـن الْبعـثِ فَإِنـا خَلَقْنَاكُم من تُرابٍ ثُم مِن نطْفَةٍ ثُم مِن علَقَةٍ ثُـم مِـن مضغَةٍ مخَلقَةٍ وغَيرِ مخَلقَةٍ لنُبين لَكُم...﴾ [الحج: ٥].

٥) ﴿ ا ُ يعلَم ما تَحمِلُ كُل أُنْثَى وما تَغِيض الأرحام ومـا تَزداد وكُل شَيءٍ عِنْده بِمِقْدارٍ ﴾ [الرعد:٨]

٦) ﴿ ولَقَد خَلَقْنَا الإِنْسان مِن سلاَلَةٍ من طِينٍ * ثُم جعلْنَـاه نُطْفَةً فِي قَرارٍ مكِينٍ * ثُم خَلَقْنَا النطْفَةَ علَقَـةً فَخَلَقْنَـا الْعلَقَةَ مضغَةً فَخَلَقْنَا الْمضغَةَ عِظَاما فَكَسـونَا الْعِظَـام لَحما ثُم أَنشأْنَاه خَلْقًا آخَر فَتَبارك ا ُ أَحسن الْخَالِقِين ﴾ [المؤمنين: ١٢ – ١٤].

** بالنسبة للفقرة الأولى: ثبـت علميـا أن الحيوانـات المنوية لابد وأن تكون متدفقة متحركة، وكذلك مـاء المـرأة الذي يحمل البويضة يخرج متدفقًا إلى قناة "فالوب". [هذا مـا قاله بروفيسور "مارشال جونسون" رئيس قسم التشريح بكلية جيفرسون الطبية].

(نقلاً عن المحاضرة السـابقة) – فلادلفيـا – الولايـات المتحدة. في محاضرته في مؤتمر الإعجاز العلمـي سـالف الذكر.

** وصف النطفة (ماء الرجل) بأنها أمشاج (في الفقـرة الثانية) (سورة الإنسان ٢) يعبر متفردا عما نعرفه الآن مـن أن المني له عناصر مختلفة. لأنه يأتي من مجموع إفرازات الخصيتين والحويصلات المنوية والبروستاتا والغدد الملحقـة

بالمسالك البولية (د/ مـوريس بوكـاي. المرجـع السـابق ص٢٢٩).

** قول الفقرة الثالثة (السجدة ٨) إن التناسل يـأتي مـن سلالة من المني، يذكرنا بما نعرفه من أن حيوانًا منويا واحدا من بين عشرات الملايين هو الذي يخصب البويضة أما بقية الحيوانات المنوية، فتفشل في قطع المسافة من المهبل إلـى البويضة عبر تجويف الرحم و"بوق فالوب". (المصدر السابق ص٢٣٠).

** قول الفقرة الرابعة (الحـج: ٥) أن بعـض أجـزاء المضغة (وهي طور الجنين يشبه اللحم الممضـوغ) يتخلـق منه فيما بعد الجسم (مخلقة) وبعض أجزائها يبقى كمـا هـو (غير مخلقة) يتفق تماما مع آخر معطيات علم الأجنة؛ إذ أن هذه الأجزاء غير المخلّقـة تبقـى كاحتيـاطي اسـتراتيجي لتعويض الجسم عما يفقده من الخلايا والأنسجة المختلفة على مدى عمر الإنسان. (نقلاً بتصرف عن جريدة أخبار اليـوم ٢٦/ ٢/ ٩٤ ص١٤ تحت عنوان "عالم كندي يعيـد كتابـة مرجعه العلمي في علم الأجنة، مسترشـدا بآيـات القـرآن الكريم"، وهذا العالم هو "د/ كيث مور" Keith 1. moore الذي

أشهر إسلامه لاحقًا واسم الكتاب... (الذي ترجم إلى ثمـان لغات).

"The developing human – with Islamic additions" 3rd edition.

أي "أطوار خلق الإنسان مع الإضافات الإسلامية". وهـذا العالم هو أستاذ ورئيس قسم التشريح في كلية طـب جامعـة "تورنتو" بكندا).

** قول الفقرة الخامسة (الرعـد ٨) أن الـرحم يـزداد فمعروف إذ هو نمو الجنين. أما قوله: ﴿ **مَا تَغِـيضُ** ﴾ فـلا يمكن أن يقصد منه مطلق السقط؛ لأن كلمة غـيض تعنـي النضوب، وهذا ما عرفه العلم حـديثًا: "الإسـقاط التلقـائي المبكر" Spontaneous Aboration وهو تحلل واختفاء الجنين (الصغير، أقل من ٥٠٠ جم) تماما من داخل الرحم!! [مـن مقال للدكتور عبد الجواد الصاوي في العدد الخـامس مـن مجلة الإعجاز العلمي].

** أما الفقرة السادسة – وهي من أقوى آيات الإعجـاز العلمي في القرآن؛ حيث ترتيب المراحل الرئيسية في تكوين الجنين.. الترتيب يبدأ بالطبع بالنطفة، ثم بعد عشرة أيام تأخذ البويضة الملقحة طريقها إلى داخل جدار "الحالب"، وهي في

هذا الطور تشبه تماما دودة "العلقة" (المصدر السابق)، وقـد سماها القرآن بالفعل بهذا الاسم.

الفترة الزمنية في التحول من "النطفة" إلى "العلقة" طويلـة (٢٥ يوما) لذلك قال القرآن: ﴿ **ثُم خَلَقْنَـا النطْفَـةَ علَقَـةً** ﴾ وليس "ف". (من مقالة للبروفيسور "كيث مور" فـي العـدد الثاني لمجلة "الإعجاز".

بعد ذلك يتحرك الجنين إلى الرحم وفي هذه المرحلة يشبه تماما اللحم الممضوغ تظهر فيه آثار الأسنان، وهذا ما سماه القرآن بالفعل "مضغة".

يكون التحول من مرحلة العلقـة إلـى مضـغة سـريعا (يومان)، لذلك ذكر القرآن "الفاء" للسرعة ولـيس "ثـم" (د/ مور).

ثم في الأسبوع الثالث يبدأ ظهور سلسلة العمود الفقـري وبدايات عظام الوجه، مغطاة بشيء رقيق من الجلد يظهـر تفاصيل العظام. (مستخلص من

("Van Nostrand's scientific Encyclopedia" P. 1088

وهذه المرحلة "العظام" كما وصفها القرآن، ثـم تتكـون العضلات والأنسجة على جانبي السلسلة الظهرية (المصـدر السابق)، وهذه هي مرحلة "فكسونا العظام لحما".

بعد الأسبوع الثامن يبدو الجنين بالفعل كإنسان، قبل ذلـك لا يمكن أن نفرق بين جنين الإنسان أو الخنزير أو المـاعز أو الكلب أو القرد. (المصدر السابق ص١٠٨٩).

* أليس هذا تفسير قوله تعالى في آخـر مراحـل خلـق الجنين ﴿ **ثُمَّ أَنشَأْنَاهُ خَلْقًا آخَرَ** ﴾؟

* = وبعد فليس ما ذكرناه في هذا الباب هو كل الإعجاز العلمي في القرآن، بل هذا على سبيل المثـال لا الحصـر، فهناك الكثير وما سيكتشف في الغد القريب أكثر.

وقد كان عجيبا أن يغوص القرآن في تفاصل كـل هـذه العلوم دون أن يتناقض مرة مع مسلمة علمية.

* لنقارن ذلك مثلاً بما ورد في التوراة في سفر التكـوين (الإصحاح الأول) من أن الظلام سبق النـور [(١)] ثـم خُلـق

---

(1) رد القرآن على ذلك فقال "ولا الليـل سـابق النهـار" ذلـك، لأن الأرض كانت كرة مشتعلة، ثم بردت وكان الليل والنهار توأمان.

النبات [1] ثم الشمس ثم الطيـور والأسـماك ثـم الحيـوان والإنسان. إن الترتيب العلمي في أية موسوعة جيولوجية هو: الشمس ثم الأسماك ثم النبات ثم الحيوان ثم الإنسان، كما أن الترتيب ليس حادا، فبعض أنواع الحيوان سبقت بعض أنواع الأسماك وهكذا، أما أبعد شيء عن الفهم فهو كيفيـة خلـق النور قبل الشمس بنص التوراة؟

لقد كان ذلك سببا في أنه [في نهاية القرن السابع عشـر، كان العلماء (الغربيون) يعتقدون أن الشمس ليسـت مصـدر الضوء، بل هي تمرره عبرها وحسب فهو موجـود بذاتـه. وحتى (رينيه ديكارت) نفسه كان من أنصار هذا الضـلال] ("ليوتاكسل". التوراة كتاب مقدس أم جمع مـن الأسـاطير. ترجمة د/ حسان ميخائيل إسحاق ص٨).

وقد ذكر القرآن ترتيب ظهور الخلائق بلطف في الآيـة (١٨) من سورة الحج: ﴿ **أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَسْجُدُ لَهُ مَـنْ فِـي**

---

(1) كيف يخلق قبل الشمس؟ كيف إذن يمارس التمثيل الضـوئي؟ ثـم كيف ليلاً ونهارا قبل خلق الشمس؟!.

السماواتِ ومن فِي الأرضِ والشـمس والْقَمـر والنجـوم والْجِبالُ والشجر والدواب وكَثِير من الناس ﴾.

القرآن يعبر عن الكـون دائمـا بالسـماوات والأرض؛ الترتيب إذن هو:

١- الشمس والقمر والنجوم (وكانت الأرض عندئذ غيـر تامة التكوين).

٢- الجبال.

٣- الشجر.

٤- الدواب.

٥- الإنسان.

وهذا هو الترتيب العلمي (نقلاً عن مقال للـدكتور أحمـد شوقي إبراهيم بجريدة أخبار اليـوم ٢٦/ ٢/ ٩٤، بعنـوان "الكون كله ساجد " ص١٤ بتصرف).

* * *

الثمرة الرابعة لمحمد ﷺ
"كتاب معجز في نبوءاته" (القرآن)

تنبأ القرآن فتح مكة وعدم إسلام أبي لهب. أما أهم نبوءة، فهي انتصار الروم على الفرس بعد هزيمتهم، بـل وتحديـد موعد ذلك (بضع سنين).

بسم ا الرحمن الرحيم:

﴿ **الم *غُلِبتِ الروم * فِي أَدنَى الأَرضِ وهم مـن بعـدِ غَلَبِهِم سيغْلِبون * فِي بِضعِ سِنِين ـ الأَمر مِن قَبـلُ ومِـن بعد ويومئِذٍ يفْرح الْمؤْمِنُون * بِنَصرِ ا ـ ينصر من يشَـاء وهو الْعزِيز الرحِيم * وعد ا ـ لاَ يخْلِفُ ا ُ وعـده ولَكِـن أَكْثَر الناسِ لاَ يعلَمون * يعلَمون ظَاهِرا من الْحيـاةِ الـدنْيا وهم عن الآخِرةِ هم غَافِلُون** ﴾ [الروم: ١ – ٧].

وقد كان أعجب رد على تلك المعجزة قـول المستشـرق Wherry فـي كتابـه "Commentary on the Quran" فـي تفسيره لسورة الروم أن مثل تلك التنبؤات التي تصدق تعـج

بها الصحف كل يوم كنوع من التنبؤ السياسـي [1]!! كيـف يخاطر رجل يقول إنه نبي هذه المخاطرة؟. بل ويحدد الموعد في وقت كانت تلك النبوءة أبعد ما تكون عن التحقيـق، لأن الفرس كانوا قد هزموا الروم هزيمة نكراء قبلها، فكيف يلـم الروم شتتهم وقوتهم في بضع سنين (من ٣ – ٩ سـنوات). ولو لم تحقق هذه النبوءة لانتهت الرسالة تمامـا، لـم تكـن هزيمة الروم المذكورة أولاً هي نهاية الهزائم، بـل كانـت فاتحتها، وتراجع الروم إلى أسوار القسطنطينية حتـى سـنة ٦٢٢م حين خرج هرقل بجيوشه لملاقاة الفرس، وهذا بالطبع يزيد من بعد احتمال انتصار الروم، لأنه لم يكن قد بقى مـن المدة المضروبة في هذه النبوءة سوى سنة وبضع سنة.

والذي يجهله المستشرق سالف الذكر وإخوانـه، أن هـذه النبوءة القرآنية لم تقف عند حد التنبؤ بانتصار الروم في أجل محدد، بل صحب ذلك التنبؤ بمكان الموقعـة، وهـو "أدنـى

(1) "The Christians need not to be troubled by quaranic prophecy of this sort. Owr daily news papers canstantly forecast political events of this kind" p. 85.

الأرض" أيضا التي شهدت الموقعة الأولى. (فحـين تقـول: "جئتك في دارك بالأمس، وسأجيئك غدا" فتفهم مني مباشـرة أني سأجيئك غدا فـي دارك أيضـا لا فـي غيرهـا، وإلا لنصصت لك على المكان الآخر) [1].

كما صحب التنبؤ بانتصار الروم بانتصار المسلمين فـي غزوة بدر. دليلنا في ذلك قوله تعـالى: ﴿ **ويومئـذٍ يفْـرح الْمؤْمِنُون بِنَصرِ ا ـ** ﴾ وقد كانت كرة الروم على الفرس يوم بدر. قال بذلك ابن عباس والثوري والسدي وغيـرهم، كمـا نجد ذلك في حديث الترمذي وابن جرير وابـن أبـي حـاتم والبزار (تفسير ابن كثير) (وا لا ينتصر للروم على الفرس لأن الروم أهل كتاب، فكلاهما يعده القـرآن كـافرا. كمـا لا يصح تفسير فرح المؤمنين بنصر ا بأنه الفرح بتحقـق النبوءة فقد كان المسلمون في المدينة (وقد هاجروا، وكانـت النبوءة بمكة) وظل مشركو قريش على شركهم بعـد تحقـق النبوءة. يؤكد ذلك قوله تعالى بعد ذلك: ﴿ **وعد ا ـ** ﴾ ووعـد

---

(1) "من إعجاز القرآن في أعجمي القرآن" لرءوف أبو سعدة جـزء ٢ ص٣٨٣ بتصرف.

ا لا يكـون للفـرس أو الـروم إنمـا يكـون للمسـلمين المؤمنين)[1].

والذي يجهله كذلك المستشرق Wherry وأمثاله أن كلمـة "أدنى الأرض" المكان الذي حدده القرآن للموقعـة – وهـو فلسطين – [هي ترجمة معجزة لكلمة "كنعان" – وهـو اسـم فلسطين بلغة أصحاب الأرض "الكنعانيين" قبل أن يكون لبني إسرائيل في فلسطين وجود. إنها "كنعان" أو "أرض كنعـان" (أرض كنعان)، يعني "الأرض الوطيئة"] [2].

فمن علم محمدا ﷺ معنى كلمة "كنعان"؟!

* بل إنه قد ثبت في معظم الطوبغرافيا أن أخفض منطقة في الأرض، هي منطقة البحر الميت في فلسـطين، تعقبهـا بحيرة طبريا في فلسطين أيضا. لنرجع في ذلك لأية أطلـس على سبيل المثال، أطلس العالم – مكتبة لبنان ص٩٥؛ حيث نرى في رسم بياني الفارق الرهيب في الانخفاض بين منطقة

(1) مستخلص من المصدر السابق ص٣٧٧ بتصرف.
(2) المصدر السابق ص٣٨٥ بتصرف.

البحر الميت وغيرها من المنخفضات – هـذه الأرض هـي ذات الأرض التي دارت عليها الموقعة المذكورة.

إذن هذه الفقرة القرآنية القصيرة (أوائل سورة الروم) بها إخبار بالغيب في خمسة أمور:

١- كرة الروم على الفرس.

٢- تحديد مكان الموقعة "أدنى الأرض".

٣- تحديد الزمان وهو بضع سنين (رغـم قصـر هـذا الزمان، وبعده عن التحقق في علم الناس).

٤- التنبؤ بانتصار المسلمين في نفس التوقيت (غزوة بدر) – رغم بعد هذا الاحتمال أيضا.

٥- الإخبار بترجمة كلمة "أدنى الأرض" بلسان أصـحاب الأرض، وإقرار هذا الاسم لثبوته علميا.

* * *

الثمرة الخامسة لمحمد ﷺ
"كتاب معجز تاريخيا" (القرآن)

* = هذا الفصل من أهم فصـول هـذا الكتـاب علـى الإطلاق.. نقول:

من أهم ثمار الدعوة المحمدية، الإعجاز التاريخي للقرآن.

أعني بالإعجاز التاريخي هنا مواضع الاتفاق بين القـرآن وكتب السابقين؛ كجزء من قصة أو مصطلح أو مثل، وإنـه لمن النادر جدا أن نجد كتابـا واحـدا مـن كتـب اليهـود أو النصارى السابقة للقرآن من غير شـيء مشـترك مـع القرآن، سواء كان هذا الكتاب قانونيا أو غير قـانوني، فـي العهد القديم أو العهد أو الجديد، في كتب التلمود أو المشـنا، الترجوم، الميدراش، الأبوكريفا (الكتب السرية أو المخفيـة)، وكتب التاريخ (يوسابيوس القيصري – فيلو الإسـكندرية – يوسيفوس)، أو كتب آباء الكنيسة الأولين.

وإلى حد أقل من ذلك نجد شواهد قرآنية في كتب الصائبة (كنزاربا) والهندوس (الفيدا) والبابليين والمصريين القـدماء (كتاب الموتى).

تشابه النصرانية مع العقائد الوثنية:

[مع أن الكتاب المقدس له أيضا شواهد في كتب الشعوب القديمة إلا أن هذه الشواهد غير منطقيـة، كعقيـدة التثليـث وعقيدة الإله ابن الإله ابن العذراء المصلوب فـداءا لخطايـا البشر المذكور في الهندوسية والبوذية. والمذكور بعضها في الديانة المصرية القديمة [1]. نجد كذلك تشابها عجيبـا بـين عقائد وعبادات وديانات آسيا الوسطى القديمة ذات الأسـرار والديانة المسيحية، فآلهة هذه الديانات يموتون في موسم معين ثم يبعثون بعد ذلك. وهي آلهة تشبه البشـر، مثـل أتـيس

---

(1) Bible Myths and Their Parallels in Other Religions
نقلاً عن "العقائد الوثنية في الديانة النصرانية" محمد بـن طـاهر التنير البيروتي – دار الصحوة.

وقد حذر القرآن أهل الكتاب من اتباع عقائد الوثنيين فقال: ﴿ **قُـلْ يا أَهلَ الْكِتَابِ لاَ تَغْلُوا فِي دِينِكُم غَير الْحق ولاَ تَتبِعوا أَهواء قَومٍ قَد ضلوا مِن قَبلُ وأَضلوا كَثِيرا وضلوا عـن سـواءِ السـبِيل** ﴾ [المائدة: ٧٧]، وقال تعالى كذلك: ﴿ **وقَالَتِ الْيهود عزير ابـن ا ـ وقَالَتْ النصارى الْمسِيح ابن ا ـ ذَلِك قَولُهم بِأَفْواهِهم يضـاهِئُون قَولَ الَّذِين كَفَروا مِن قَبلُ قَاتَلَهم ا ـ أَنى يؤْفَكُون** ﴾ [التوبة: ٣٠].

الراعي وأدونيس الذي يروي أنـه ثمـرة علاقـات غيـر مشروعة بين أخ وأخت. أي أنهم لم يكونوا سـوى رجـال ألهتهم إرادة الآلهة الآخرين. ويمر رمزيا اتباع هذه الأديـان بمختلف مراحل التجارب التي مر بها الإله. وبهذه الوحـدة إلى مصير الإله نفسه. يذكرنا هذا بما يسمونه في المسـيحية "عبادة المسيحي" (تاريخ الكنيسة: "جون لوريمر").

والوحدة كانت الهدف في سائر تلك العبـادات، كالتعميـد بالدم ومأدبة القربان، وكان النـاس يتوقعـون مـن مأدبـة يطعمون فيها لحم دابة يعتبرونها إلهية، ثم يظنون أنهم بذلك توحدوا مع الإله نفسه.. أليس هذا ما يعتقده المسيحيون فـي العشاء الرباني؟ (نقلاً عن "المسيحية نشأتها وتطورها" لشارل جينبير ص٩٢ – ٩٩ بتصرف).

- أما العقائد الأكثر تشابها مع المسـيحية فهـي العقائـد والفلسفات اليونانية القديمة.

حسبنا في ذلك قول اللاهوتي القديم "كليمنت السـكندري" (القرن الثاني الميلادي):

"إذا أرادت المسيحية أن تنشر في العالم اليوناني فيجب عليها أن تخلع لباسها السامي وتلبس لباسا يونانيا. ("تاريخ الكنيسة": الجزء الثاني ص٥٠: جون لوريمر)].

= سنجد دائما هذه القرائن في هذه الكتب مع أن عدد هذه الكتب كبير جدا. كما أن الكتاب الواحد له أكثر من نص، التوراة نفسها لها ستة نصوص أساسية (البشيتا – الفولجاتا – السبعينية – السامرية – الترجوم – القياسية): النسخة القياسية لها ثلاثة نصوص فرعية (الإلوهي – اليهوي – الكهنوتي) هذه هي النصوص الأساسية عدا العديد من النصوص الفرعية، وأي ناشر للكتاب المقدس يجب أن يستخدم أكثر من نص من هذه النصوص مستعينًا بعلم يسمونه "علم نقد النصوص"، ليصلوا لنص أقرب ما يكون للنص الأصلي المفقود (مقدمة العهد القديم طبعة دار المشرق ١٩٨٩م).

- سنجد دائما هذه الشواهد القرآنية مع أن هذه الكتب المذكورة كتبت بلغات مختلفة؛ العبرية، السامرية، اللاتينية، اليونانية، الآرامية، السريانية، القبطية، الحبشية، المندائية وغيرها عدا العربية.

- مع أن هذه الكتب لم نجدها مرة واحدة، بل لقد جمعت على مر قرون طويلة منذ القرن الرابع الميلادي حتى الآن. أغلب هذه الكتب وجدناه بعد وفاة محمد ﷺ آخر ما وجـدناه مخطوطات البحر الميت (١٩٤٧م إلى ١٩٥٦م).

- سنجد دائما الشواهد القرآنية في كتب السابقين مـع أن هذه الكتب لم نجدها في مكان واحد، بل في أمـاكن متعـددة كسيناء ونجع حمادي والقاهرة (جنيزة)، كهوف البحر الميت، الحبشة، الفاتيكان، مكتبات نبلاء أوربا.

- مع أن هذه الكتب كانت نادرة في عهـد النبـي ﷺ لأن النسخ كان يدويا، ولم تكن هناك طباعة، وكذلك لحرق كتـب أتباع الأديان المضطهدة، النصارى خاصة [(١)].

(1) يقول د/ جون لوريمر في كتابه "تاريخ الكنيسة" جزء ٢ – هامش ص١٢٢ كان الاستيلاء على الكتب المقدسة، هو إحدى الوسـائل التي استخدمها الأباطرة في اضطهاد الكنيسة (وكانت الكتب تنسخ باليد ولذلك كانت نادرة ..).

- سنجد دائما هذه الشواهد مع أن حجم الكتب أيامـه ﷺ كان كبيرا، وكانت على هيئة قراطيس من العسـير تـداولها سرا.

- سنجد هذه الشواهد دائما منطقية مع أن هذه الكتب مليئة بالتفاصيل غير المنطقية.

* سوف أعطي مثالاً لهذه الخاصية "الشواهد القرآنية في أسفار السابقين":

من المعروف أن قصة يوسف هي الوحيدة التي نجدها في القرآن متتالية في موضع واحد، هذه القصة لا نجدها كما هي في أي كتاب من كتب اليهود أو النصارى.

- سنجد قسما منها في التوراة التي بين يدينا الآن (قياسية – سبعينية) مع وجود تفاصيل في الرواية التوراتية لا نجدها في القرآن كقطع التوراة لسرد قصة يوسف دون أية مناسبة، لتروي لنا قصة أخرى وهي مضـاجعة يهـودا وهـو مـن الأسباط أبناء يعقوب – لزوجة ابنه!

- أما القسم الثاني من رواية يوسف في القرآن، فسـنجده في عدد كبير من كتب أهل الكتاب غير التوراة، سنجد هـذا القسم مشتتًا تماما، فجزئية قص يوسف رؤياه على أبيـه أولاً

نجدها في كتاب "العاديات اليهودية" (للمـؤرخ يوسـيفوس) وجزئية ﴿ **أَرسِلْه معنَا غَدا يرتَـع ويلْعـب** ﴾ فـي كتـاب (بسكيتارباتي وسيفر عدد). هذان الكتابان اتفقا مع القرآن في ذلك واختلفا فيها مع التوراة نفسها. وجزئية ﴿ **وأَوحينَا إِلَيـهِ لَتُنَبِئَنهم بِأَمرِهِم هذَا** ﴾ في كتاب. وجزئية ﴿ **وشَروه بِـثَمنٍ بخْسٍ** ﴾ في كتاب. وجزئية ﴿ **وجاءوا أَباهم عِشَاء يبكُون** ﴾ في كتاب (عهود الأسباط وهو من كتب الأسرار). وجزئيـة ﴿ **فَأَكَلَه الذِّئْب** ﴾ في كتاب "Yashar wa Yesheb".

وهكذا في أكثر من ستة وعشرين جزئيـة كتلـك التـي ذكرناها آنفًا في أكثر من ثلاثين كتابا.

- كل هذه الكتب سالفة الذكر وجدنا لها تفاصيل عديـدة غير منطقية لا تذكر في القرآن الكريم، كذكر كتاب "تنهوما" أن "يهودا" حين أخذ منه بنيامين، دخل في صراع مع يوسف ونزلت الملائكة لتشاهد الموقعة بين يوسف "الثور" ويهـودا "الأسد"!! ويضيف كتاب BR والتلمود هنا أيضـا أن رجـال يوسف الأقوياء فقدوا أسنانهم بسبب صرخة يهودا!!! ويذكر هذان الكتابان في موضع آخر أن ملاك العاطفة هـو الـذي

حث يهودا على مضاجعة زوجة ابنه المذكورة في التوراة!! (تكوين: ٣٨).

- هذا عن القسم الثاني في الرواية القرآنية أمـا القسـم الأخير فلا نجده في التوراة أو غيرها، فلابد إذن أن محمـدا ﷺ كانت لديه مخطوطات أخرى إضافية لكل ما ذكـر مـن مصادر لم نجدها نحن حتى الآن!! (هذا مستحيل).

* = أحيل هنا القارئ الكريم إلى جدول في كتاب سـابق لصاحب هذا العمل "يوسف عليه السلام بين القرآن الكـريم وكتب السابقين"، يقارن بين ما ورد في سورة يوسـف فـي القرآن الكريم ومقابلها في التوراة من ناحية، ومقابلها كـذلك في الكتب القديمة الأخرى من ناحية.

هذه الخاصية في القرآن (الشواهد القرآنيـة فـي كتـب السابقين) هامة جدا لأننا نستنتج منها أنه من المستحيل على رجل أمي يعيش في الصحراء (محمـد ﷺ) أن يقـرأ كـل صحيفة في كل كتاب من كتب لم نعرف نحن الآن أكثرهـا إلا متأخرا جدا، ثم يستبعد التفاصيل غير المنطقية ثم يأخـذ من هذا ما يستقيم مع ذلك، ثم يقدم هذا النتاج فـي صـورة بيانية معجزة، ولابد أنه فعل كل ذلك في السر أيضا!!!

إن هذا هو المستحيل بعينه، خاصة كيف اطلع على كتب الأسرار "Apocrypha" الخاصة بكل طائفة.

﴿ **يا أَهلَ الْكِتَابِ قَد جاءكُم رسولُنَا يبين لَكُم كَثِيـرا ممـا كُنْتُم تُخْفُون مِن الْكِتَابِ ويعفُو عن كَثِيرٍ قَد جاءكُم مـن ا ِ نُور وكِتَاب مبِين** ﴾ [المائدة: ١٥].

* * *

الثمرة السادسة لمحمد ﷺ
"كتاب معجز بيانيا" (القرآن)

وبعد، فكما أسلفنا ليس هذا هو كل إعجـاز القـرآن، لأن التزامنا بعدم الاستفاضة في عرض التفاصيل حتـى يكـون عملنا أقرب إلى الإيجاز حال دون ذلك.

* فلم نستعرض مثلاً الإعجاز البياني في القرآن، الذي لم يأتنا إلا عن طريق محمد ﷺ.

فهو إذن من ثمار محمد ﷺ بل هو أعظمها على الإطلاق للمتدبر، وإنا إذا قلنا: الإعجاز القرآني، فحسـب فلابـد أن يكون هو الإعجاز البياني والبلاغي.

لكنا لم نشأ الخوض فيه لأنه مجال كبير وعظيم، نظلمـه إذا تكلمنا فيه بإيجاز، كما أنه مـا يجـب أن يخـوض فيـه إلا المتخصص، لكني وجدت أن العمل يخسر كثيرا إن لـم يتزين بذكر هذا الباب، ولو على هيئة الإشارة العابرة.

= تختلف سور "القرآن" عن كتب "التوراة" في أنهـا لـم ترتب مثلها ترتيبا تاريخيا، تبدأ بقصة خلق الكون، ثم خلـق

الإنسان ثم قصص أبناء آدم ثم الأنبياء وهكذا.. على العكس من ذلك ترتب سور القرآن ترتيبا موضوعيا – فالقرآن ليس كتاب تاريخ – فكل سورة إذًا لها موضوعها..

فسورة الفاتحة هي دعاء المسلم الأعظم، وسورة البقـرة موضوعها "الإيمان والتقوى وأركانها" سـورة آل عمـران تكمل موضوع الأخيرة من تضمن قواعد الدين، كذلك تاليتها النساء (فيما يختص بالنساء) تعقبها مكملة لها أيضـا سـورة المائدة (فيما يختص بالأطعمة والذبائح)، سورة الأنعام سورة الجدل مع المشركين، الأعراف فيها قصة الإنسان منذ خلقـه فنزوله الأرض فتعرضه للأنبياء، ثـم موتـه ثـم تعرضـه لأحداث يوم القيامة، وهكذا... "النحل" سورة النعمة وحـين تقصر سور القرآن يظل لها موضوع وإن كـان صـغيرا، فيكون أقرب إلى السمة، فمريم سورة الرحمة والأحزاب هي سورة النبي ﷺ وسورة الصافات هي سورة الملائكة وسـورة "ص" هي سورة الإنابة، وسورة الزمر هي سورة إخـلاص العبادة، وسورة غافر هي سورة الدعاء، وفصلت هي سورة القرآن، والشورى سورة الوحي والعنكبوت سـورة الصـبر على البلاء وهكذا... ومن جميل مـا يـذكر هنـا أن تجـد

موضوع السورة (خاصة الطويلة) ملخصا في آية أو بضـع آيات من آياتها – خاصة في بداياتها أو أواخرها – فسـورة الأنعام تجدها ملخصة في قوله تعـالى: ﴿ **قُـلْ إِن صـلاتِي ونُسكِي ومحياي ومماتِي ـ رب الْعالَمِين * لاَ شَـرِيك لَـه وبِذَلِك أُمِرتُ وأَنَـا أَولُ الْمسـلِمِين** ﴾ [١٦٢، ١٦٣]؛ إذ إن موضوعها الأصلي هو جدال المشركين، وهي أكثر سـورة ذكرت فيها كلمة "قل" وقد اهتمت بأحكام الـذبائح (النسـك).

كما نجد سورة يوسف ملخص في قوله تعالى: ﴿ **وا ُ غَالِب علَى أَمرِهِ ولَكِن أَكْثَر النـاسِ لاَ يعلَمـون** ﴾ [الآيـة: ٢١]؛ إذ خطط إخوة يوسف له خطة للخلاص منه، فيجعل ا منها سبب خير له. أو في أواخرها في قوله تعـالى: ﴿ **حتـى إِذَا استَيأَس الرسلُ وظَنوا أَنهم قَد كُذِبوا جاءهم نَصرنَا فَنُجـي من نَشَاء ولاَ يرد بأْسنَا عن الْقَـومِ الْمجـرِمِين** ﴾ [الآيـة: ١١٠]. كذلك نجد سورة الصفات ملخصة في آخر ما ذكـر منها: ﴿ **سبحان ربك رب الْعِزةِ عما يصِفُون * وسلاَم علَى الْمرسلِين * والْحمـد ـ رب الْعـالَمِين** ﴾ [١٨٠ – ١٨٢]، سورة النحل: ﴿ **وإِن تَعدوا نِعمةَ ا ـ لاَ تُحصوها** ﴾ [١٨].

= في هذا المجال أيضا لا يفوتنا ذكـر مسـألة الاتجـاه المعنوي للسورة القرآنية، فسورة الطلاق مثلاً تشعر وكـأن السورة قد دخلت في قلب مشاعر المطلق. وسورة النور تجد لها اتجاها معنويا هادئًا سلسا (خاصة آيات النـور) تخـالف مشاعر النبي ﷺ الحزينة على حادث الإفك.

أما عرض مشاهد القيامة والدار الآخرة فكأنك تـراه رأي العين، حسبنا هنا سورة الأعراف.

من شيم سورة القرآن في موضوعها (خاصة بعد مقدمـة إيمانية إن كانت السـورة طويلـة) أن يبـدأ فـي عـرض الموضوع، ثم تبتعد قليلاً بالخوض في المواضيع الإيمانيـة الأخرى، وقبل نهاية السورة تعود لموضوعها مرة أخرى.

كما أن ترتيب السور خلف بعضها البعض ترتيب معجز.

بالرغم من أن السور لم ترتب حسب تاريخ نـزول كـل منها، بل هذا ترتيب توقيفي من النبي ﷺ، وقد نزلت كل فقرة في مناسبة فيما عرف بأسباب النزول، ويعجب المتدبر حين يجد كل سورة ترتبط بسابقتها خاصة في أوائلهـا. وتـرتبط كذلك بلاحقتها خاصة في أواخرها كحِلَق السلسلة، قـد نجـد هذه الرابطة مباشرة وواضحة، خاصة في السور القصـيرة

نسبيا وقصار السور. كقوله تعالى في آخر سـورة الطـور: ﴿**ومن الليل فسبحه وأدبار السجود** ﴾ [الآية: ٤٩]، ثم قولـه في أول سورة النجم، التي تأتي في الترتيب بعدها مباشـرة: ﴿**والنجم إذا هوى** ﴾ [الآية: ١]، وكذكره تعـالى مـا فعـل بأصحاب الفيل في سورة الفيل ثم أول لاحقتها سورة قريش: ﴿ **لإيلاف قريش** ﴾ أي أنه تعالى ما فعـل بأصـحاب الفيـل إلا لإيلاف قريش. فاللام هنا لام العلة.

وقد نجد الرابطة بين السور رابطة موضوعية، خاصة في السور الطويلة مثل أواخر "الزمر" وأوائل لاحقتها "غافر" في ذكر حملة العرش وأحوال الآخرة، وقد نجد هذه الرابطة في سمات المعاني، مثل أواخر هود: ﴿ **وكلا نقص عليـك مـن أنباء الرسل ما نثبت به فؤادك** ﴾ [الآيـة: ١٢٠]، وأوائـل لاحقتها "يوسف": ﴿ **نحن نقص عليك أحسن القصـص...**﴾ [الآية: ٣]، وكابتداء بعض السور بالحمد بعد نهاية سـابقتها بذكر فصل القضاء مثل "الأنعام" بعد "المائدة" ومثل "فـاطر" بعد "سبأ".

كما نجد هذه الرابطة في سمات الألفاظ، مثل قوله تعـالى في أول "النحل": ﴿ **أتى أمر ا ـ** ﴾ [الآية: ١]، بعد قوله فـي

آخر سابقتها "الحجر": ﴿ **واعبد ربك حتى يأْتِيـك الْيقِـين** ﴾ [الآية: ٩٩]، ومثل قوله تعالى في آخـر "طـه": ﴿ **اقْتَـرب لِلناس حِسابهم**...﴾ [الآية: ١] وكذكر ألفـاظ الإنـذار فـي أواخر "فاطر" ثم أوائل "يس".

كذلك نجد السور المتشابهة في الافتتاحيات ترتب خلـف بعضها البعض مثل الحواميم "السور التي تبدأ بقولـه حـم" وهكذا...

ليرجع في هذا الباب للكاتب القيم: "أسرار ترتيب القرآن" للسيوطي [١].

* = وإنه لعجيب بعد كل هذا الإعجاز البياني في القرآن في الترتيب أن يقول قائل ("كينيث وود وارد") فـي مجلـة "نيوزويك العدد ٨٧ – ١٢ فبرايـر ٢٠٠٢": أن يقـول: إن قراءة القرآن كالدخول في جدول ماء. ففي كل آيـة تقريبـا يمكن للمرء أن يطالعه أمر إلهي، فورة تعبد وصلاة، أو بيان إلهي، أو وصف ليوم القيامة.

---

(1) دار الاعتصام.

"أي إن القرآن الكريم ليس هناك أي تناسق بـين بعضـه البعض"، والحق أن مبعث اللبس عند هذا الصحفي أن كتابه المقدس قد رتب ترتيبا تاريخيا منذ بـدء خلـق الأرض ثـم النبات ثم الشمس!! [كما يقول سفر التكوين في التوراة] ثـم آدم ثم أبنائه على الترتيب..

فهو إذن كتاب تاريخ [والحق أن هذا أيضا لم يكن دقيقًـا ولا علميا؛ فإن أول إنسان على الأرض قطعا أبعد بكثير من خمسة آلاف عام كما تقول التوراة].

فالقرآن بالدرجة الأولى كتاب هداية.. وقد رتـب ترتيبـا موضوعيا كما أسلفنا مثل لآلئ العقد الواحد... سـورة بعـد سورة، وآية بعد آية، بل ولفظ بعد لفظ.. وهذا علم قديم منـذ أبو بكر النيسابوري وابن العربي الـذي قـال: ارتبـاط آي القرآن بعضها ببعض حتى يكون كالكلمة الواحـدة، وكـذلك الفخر الرازي والسيوطي والبقاعي الذي أفرد لذلك تفسـيرا كاملاً وممن خاضوا في هذا العلـم حـديثًا: أبـو الأعلـى المودودي، وسعيد حوي (في تفسيره الأساس)؛ حيث نـرى مثلاً أن السور السبع اللاحقة بسورة البقرة مفصـلة للآيـات الأولى فيها، ومنهم كذلك سيد قطب الذي تكلم عن التناسـق

الفني في القرآن، ومنه التسلسل المعنوي بين الأغراض فـي سياق الآيات، والتناسب في الانتقال بين غرض إلى غرض. (التصوير الفني في القرآن، ص٧٥).

والسورة القرآنية مع أنها ذات موضوع محـدد غالـب، لكنها لا توجد كالمقالة في جريدة في ذات الموضـوع مـن أولها إلى آخرها. لكنها باستخدام التسلسل المعنوي.. إذ ينتقل الذهن من الشيء إلى ما يشبهه وإلى ما يقابله.. وبهذا يتمكن القول ومعناه من النفس (عبد المجيد صبح "الـرد الجميـل" ص١٧٨) فحتى لا يمل المستمع تبـدأ السـورة القرآنيـة – الطويلة خاصة – بمقدمة عن القرآن نفسه أو عظمة المـولى عز وجل، ثم تمهد لموضوع السورة الذي تخوض فيه بعـد ذلك، ثم بلطف شديد في مواضيع مشابهة أو مقابلة، ثم يعود رويدا إلى موضوع السورة الذي يختم به أو يختم كما بـدأ، ويمهد خلال تلك الخاتمة للسورة اللاحقة.

= ومن العجيب أن نجد هذه العظمة في ترتيـب الآيـات والسور، مع أن القرآن لم يرتب حسب تاريخ نزول كل آيـة أو سورة، وعلى مدى نيف وعشرين سنة نزل فيها؛ إذ كـان

النبي ﷺ عند نزول كل آية يأمر الصحابة أن يضعوا كل فقرة في موضع يحدده بنفسه ﷺ كما أسلفنا.

= كذلك نجد من خصائص الإعجاز اللغوي، عدم التكرار والاختصار (أعظم ما يرد فـي سـورة يوسـف) والتقـديم والتأخير والحذف والمجاز واختيار لفظ بعينه، وغير ذلك مما يحتاج لمجلدات تشرحها. "فترى كل لفظة وقعـت موقعهـا بحسب القياس، وبحسب ما يناسب كل حالـة مـن حـالات المخاطبين، فما من موضع مما ذكرنا [١] نلمس فيه مداهنـة أو ليونة أو تقصيرا في أي جانب من جوانب القـول، قـوة وفخامة في الألفاظ ورهبة وعنفًا في المعـاني، لـذلك كـان الكافرون يرهبون سماعه ويصدون عنه صدودا" [٢] فتـرى تناسبا للفظ مع المعنى عجيبا، في التهديـد والوعيـد [٣] أو الترغيب [٤] أو العتاب أو غير ذلك؛ بحيث لا يمكن أن تحل

(1) في كتابه (د/ عبد العظيم المطعني) القـيم. "خصـائص التعبيـر القرآني".

(2) المصدر السابق ص٢٧٠ – مجلد ١.

(3) مثل سورة المدثر (١١ – ٣٠)، والمزمل (١١ – ١٩) وغير ذلك.

(4) مثل النور (٢٢) والصف (١٠ – ١٣).

لفظًا مكان آخر مهما صغر الاختلاف، "فالنعمة" ليست "نعيما" والعكس بالعكس، و"الوالد" لا تنزعه وتضع "أبا" أو العكس، وكذلك لفظ "امرأة" فلان لا يكون "زوجة"،... لفظة "استخرج" لا يكون أخرج مثل سورة يوسف: ﴿ **ثُمَّ استَخْرَجها مِن وعاءِ أَخِيهِ** ﴾ [يوسف: ٧٦]؛ إذ إن يوسف أراد أن يحكِ الخدعة، فلم تكن السقاية إلا في قاع وعاء بنيامين ليوحي بقصد الإخفاء، وكلمة "استخرج" تدل على صعوبة الإخراج. كذلك "استطاعوا" و"اسطاعوا" [(١)]، فالطول في مبنى الكلمة يزيد في المعنى...

= كذلك هناك اختلاف للنظم في العبارات ذات المعنى الواحد، مثل قوله تعالى: ﴿ **ولاَ تَقْتُلُوا أَولاَدكُم مِن إِملاَقٍ نحن نَرزقُكُم وإِياهم** ﴾ [الأنعام: ١٥١]، وقوله تعالى: ﴿ **ولاَ تَقْتُلُوا أَولاَدكُم خَشْيةَ إِملاقٍ نحن نَرزقُهم وإِياكُم** ﴾ [الإسراء: ٣١]، في الحالة الأولى كان الفقر واقعا، فكان مناسبا أن يبدأ بالآباء، أما في الحالة الثانية فكان الفقر لم يقع بعد ويخشى

(1) الكهف (٩٧).

أن يقع مع وجود الولد، فكان مناسبا أن يبـدأ بـالأولاد ثـم الآباء.

ومثل قوله تعالى: ﴿... **وإن تعدوا نعمت الله لا تحصوها إن الإنسان لظلوم كفار** ﴾ [إبـراهيم: ٣٤]، وقولـه تعـالى: ﴿**وإن تعدوا نعمة الله لا تحصوها إن الله لغفـور رحيـم** ﴾ [النحل: ١٨]. فالسورة الأولى موضوعها "كفر الإنسان بنعمة الله" فكان مناسبا أن يكون التعقيـب (الفاصـلة) عـن كفـر الإنسان.

أما الثانية فموضوعها هو "تعديد نعمة الله على الإنسان"، فكان مناسبا أن يعقب بقوله: ﴿ **إن الله لغفور رحيم** ﴾ أي أنه تعالى سيغفر لكم عدم إحصائكم لها لكثرتها.

وعلى ذلك فقس كل القرآن، أما الأشد عجبا فتحدى النظم القرآن بالحرف لا الكلمة فحسب...

فنقرأ في سورة الزمر: ﴿ **وسيق الذين كفروا إلى جهـنم زمرا حتى إذا جاءوهـا فتحـت أبوابهـا** ﴾ [الآيـة: ٧١]، ﴿ **وسيق الذين اتقوا ربهم إلى الجنة زمرا حتى إذا جاءوها وفتحت أبوابها**...﴾ [الآية: ٧٣].

"الواو" لا يمكن أن تضاف إلى الحالة الأولى، كمـا أنهـا لا يمكن أن تحذف من الثانية.

لأنك في الحالة الأولى تشعر أن المولى عز وجـل قـد أضاف للكافرين – علاوة على جهنم – عـذاب الفجـأة (إذا الفجائية) أما في الحالة الثانية فالواو تشعر بالإعـداد وعـدم الفجأة (وهو ما يتوافق مع فقرات أخرى من القرآن تدل على هذا المعنى).

= ومن إعجاز البيان في القرآن الكـريم كـذلك توافـق المواضيع، أو أجزاء القصص في أي موضع مـن القـرآن، فقول فرعون لقومه قبل هلاكه: ﴿ **ومـا أهـدِيكُم إلا سـبِيلَ الرشَادِ** ﴾ [غافر: ٢٩] يتوافق مع ما ذكره القرآن في موضع آخر: ﴿**وأَضل فِرعون قَومه وما هدى** ﴾ [طه: ٧٩].

** = ومن ذلك أيضا أن يستخدم القرآن ثلث ألفاظ اللغة العربية (١٦٢٠ جذرا) منهم ٣٧١ جذرا يرد كل واحد منهم في القرآن مرة واحدة فقط، أي أن ٢٣% من جـذور ألفـاظ القرآن ترد مرة واحدة.. (وهي نسبة تمثل قيمة بلاغية كبرى لأن استخدام اللفظ مرة واحدة من بين أكثر من خمسين ألف من الألفاظ هو قمة البلاغة، وإذا تم هذا فيما يقر مـن ربـع

اللغة المستخدمة كان الإعجاز البلاغـي عظيمـا.. الـروس يخفرون بأديبهم "ليو تولستوي" لأنه فـي روايتـه "الحـرب والسلام" وردت كلمة واحدة فقط لمـرة واحـدة..) ["ألفـاظ القرآن الكريم" دراسة علمية تكنولوجية.. للدكتور علي حلمي موسى ص٨٢] كما أن هناك ١٩٦ جذرا يرد فـي القـرآن مرتان فقط، كذلك ١١٨ جذرا يرد كل واحـد مـنهم ثـلاث مرات فقط.. ما كل هذا الثراء في استخدام الألفاظ؟! هذا باب جديد من الإعجاز يسمى الإعجاز (لأنه يستخدم الحاسـوب) أو "الإعجاز الإحصائي".

* * *

الثمرة السابعة لمحمد ﷺ
"تكريم المرأة"

من ثمار محمد ﷺ تكريم دينه للمرأة بعد طـول عنـاء؛ إذ يكفي أن نعلم أن المرأة العربية قبل الإسلام كانـت تـوأد حية وهي طفلة، وكانت تورث كالمتاع، وليس للطلاق عـدد محدود ولا لتعدد الزوجات عدد محدود، أما في الهند فلعلـه لا زال في بعض ربوعها العمل بالتشريع الذي يدعو المـرأة للانتحار بعد وفاة زوجها، أو على الأقل عدم الزواج بعده.

وأما عن البابليين فكانت شريعة حامورابي "تعد المرأة في عداد الماشية المملوكة، وكان تشريع بابل يعطي رب الأسرة حق بيع أفراد أسرته أو هبتهم إلى غيره مدة من الزمن، وإذا طلق الزوج زوجته تلقى في النهر، فإن أراد عدم قتلها نـزع ثوبها من جسمها وطردها من منزله عارية، إعلانًا منه بأنها أصبحت شيئًا مباحا لكل إنسان. وقضت المـادة ١٤٣ مـن

قانون حامورابي، أنها إذا أهملت زوجهـا أو تسـببت فـي خراب بيتها تلقى في الماء" [1].

وعند اليهود المرأة هي المتسببة في خطيئة آدم – سـيأتي تفصيل ذلك فيما بعد – كما أنها اعتبرت نجسة في الحيض – على العكس من الإسلام – "وإذا كانت المرأة يسيل دمها أياما كثيرة غير وقت طمثها، أو إذا سال بعد طمثها، فتكون كـل أيام نجاساتها كما في أيام طمثها، أنها نجسـة، كـل فـراش تضطجع عليه، كل أيام سيلها يكون لها كفراش طمثها، وكل الأمتعة التي تجلس عليها تكون نجسة كنجاسة طمثها، وكـل من مسهن يكون نجسا، فيغسل ثيابه ويستحم بماء، ويكـون إلى المساء". (التوراة – لاويين ١٥: ١٩ – ٢٢) وإذا اتهمت بالزنا تتحقق براءتها بطريقة غريبـة وصـعبة للغايـة: "إذا خانت المرأة زوجها فاعتراه روح الغيرة، فإنه يأخذ امرأتـه إلى الكاهن ويقدم له جعلاً من طحين الشعير، ويأخذ الكـاهن

---

(1) أ. د. محمد عبد السلام أبو النيل – حقوق المرأة فـي الإسـلام – طبعة ٢ ص١٧ نقلاً عن سالم البهنساوي – مكانة المـرأة ص١٩ عن – مركز المرأة في قانون حامورابي – لجان أمل دبك ترجمة سليم العقاد.

ماء مقدما في إناء خزف، ويأخذ الغبـار الـذي فـي أرض المسكن ويجعل في الماء، ويوقف الكاهن المرأة أمام الـرب ويكشف رأسها ويجعل في يدها ممـا قدمتـه فـي طحـين الشعير...، ويسقيها ماء اللعنة المر الممزوج بالغبـار، فـإن كانت مذنبة دخل ماء اللعنة فيها إلى المرارة، فيورم بطنهـا ويسقط فخذها! أو يورم البطن ويسقط الورك، كما يحـذرها الكاهن!!

في العدد ٢٢ (عـدد ٥: ١٤ – ٢٨) – [النقـارن ذلـك (بالملاعنة) المذكورة في القرآن في سورة النور -: إذ تحلف المرأة وكذلك الرجل خمس مرات على صدقهما فـي تهمـة خيانة المرأة لزوجها، وإن أصرت المرأة على براءتهـا لـم يمسسها سوء. فقط يفرق بينهما. (آية ٦ – ٩)]. هذا قريـب مما في قانون "حـامورابي" مـادة ١٢٩؛ إذ كانـت تُختبـر الزوجة المشكوك في سلوكها بأن تلقى في النهر، فإن عامت على وجه الماء تكون بريئة! وإن غطست تكون آثمة [(١)]!!

---

(1) المصدر رقم (١) ص٢١٤.

[وأما في روما القديمة [فلم يكن من حقها التملك أو الإرث أو الشهادة أو كتابة عقد أو وصية، ولما جاءت المسيحية لـم يكن حالها أفضل، فقد اعتبرت المرأة مسئولة عن خطيئة آدم (النقيض من القرآن) [1] وقد تعرضت المرأة في العصـور الوسطى في الدول المسيحية، لخطر الاتهام بممارسة السحر، ويكفي أن عدد النساء اللاتي رحن ضحية هذا الإفـك مائـة ألف امرأة!! وقد تحسنت نسبيا أوضاع المرأة فـي عصـر التنوير، إلا أن هذا لم يستمر طويلاً، فبعد القـرن السـادس عشر وتحت تأثير التطهيريين والكالفيين تدهورت أوضـاع المرأة حتى وصلت إلى أدنى مستوى لها في القرن الثـامن عشر] (مستخلص من دائـرة المعـارف البريطانيـة بـاب Woman, status of) ومن عجيب أن القانون الإنجليزي حتى ١٨٠٥م كان يبيح للرجل بيع زوجته، وحتى عام ١٨٨٧م لم يعط هذا القانون للزوجة حق التملك، وقد ذكرنا من قبـل أن سبب اضطهاد المرأة في العصور المسيحية السـابقة أنهـا

(1) يقول القرآن: ﴿ **وعصى آدم ربه فغوى * ثم اجتبـاه ربـه فتـاب عليـه وهدى**﴾ [طه: ١٢١]، وقال ﴿**فأكلا منها**﴾ [طه: ١٣١] أي من الشجرة هكذا سويا ولم يناول أحدهما الآخر، كما في التوراة.

اعتبرت مسئولة عن خطيئة آدم؛ إذ نقرأ في التوراة [ثم سمع الزوجان صوت الرب الإله ماشيا في الجنة عند هبوب ريح النهار!! فاختبأ من حضرة الرب الإله بين شجر الجنة، فنادى الرب الإله آدم: أين أنت؟ فأجاب: سمعت صوتك في الجنة، فاختبأت خشية منك لأني عريان" فسأله: "من قال لـك إنـك عريان؟ هل أكلت من ثمرة الشجرة التي نهيتك عنها؟ "فأجاب آدم: إنها المرأة التي جعلتها رفيقة لي. هي التي أطعمتني من ثمر الشجرة فأكلت"، فسأل الرب الإله المرأة: مـاذا فعلـت؟ فأجابت: أغوتني الحية فأكلت"، فقال الرب الإله للحية: "لأنك فعلت هذا، ملعونة أنت من بين جميع البهائم ومـن جميـع وحوش البرية، على بطنك تسعين، وفي التراب تـأكلين[1]!! طول حياتك، وأثير عداوة دائمة بينك وبين المرأة، وكـذلك بين نسليكما هو يسحق رأسك وأنت تلدغين عقبه، ثـم قـال للمرأة: "أكثر تكثيرا" أوجاع مخاضك فتنجبين بـالآلام أولادا وإلى زوجك يكون اشتياقك وهو يتسلط عليك] (التكوين ٣: ٨ – ١٦) وقد ذكرت قبل ذلك مباشرة كيف أغوت الحية المرأة

---

(1) متى أكلت أية حية تربا؟!

"موتًا لا تموتان، فا   عالم أنكما في يوم تأكلان منه تنفتح أعينكما وتصيران كآلهة!! تعرفان الخير والشر" (تكوين ٣: ٤ – ٥) والحق إن كلام الحية هنا جاء أصدق مما ذكرته التوراة من قبل: "وأوصى الرب الإله آدم قائلاً: من جميع شجر الجنة تأكل أكلاً، وأما شجرة معرفة الخير والشر، فلا تأكل منها، لأنك يوم تأكل منها، موتًا تموت" (تكوين ٢: ١٦ – ١٧).

كتب فولتير يعلق على الفقرة التوراتية السابقة: "إننا نعتقد أنه كان ينبغي على السيد الرب أن يأمر الإنسان، مخلوقه، بأن يأكل من شجرة معرفة الخير والشر، قدر ما يستطيع؛ لأنه بما أن ا   منحه رأسا تفكر، فقد كان من الضروري تعليمه، وكان أكثر ضرورة إرغامه على إدراك الخير والشر، كي يستطيع القيام بالتزاماته على أكمل وجه، لذلك كان ذاك التحريم غبيا وقاسيا، لقد كان أسوأ بألف مرة من منح الإنسان معدة لا تهضم الطعام" [١].

(1) نقلاً عن "ليوتاكسل" التوراة كتاب مقدس أم جمع من الأساطير. ص٢١.

* لم يقف الأمر عند هذا الحد، بل إن البرلمان الإنجليزي قد أصدر قرارا في عصر الملك هنري الثامن يحظر على المرأة أن تقرأ العهد الجديد[1]. بل إنه لما استخدم التخدير في حالات الوضع عام ١٨٤٧م عارضته الكنيسة؛ لأن ا في الكتاب المقدس – حسب زعمهم – قال لحواء بعد سقوطها مع آدم: "تكثيرا" أكثر أتعاب حبلك. بالوجع تلدين أولادا" (تكوين: ٣ – ١٦) [2].

كان هذا استعراضا سريعا لحال المرأة قبل الإسلام، بل وبعده عند غير أتباعه حتى الزمن القريب.

---

(1) محمد رشيد رضا – نداء إلى الجنس اللطيف ص٤٩ نقلاً عن د/ محمد عبد السلام أبو النيل – حقوق المرأة في الإسلام ص٢٢.

أين هذا من وضع المصحف الأم الذي كتب في عهد الخليفة أبي بكر عند أم المؤمنين حفصة، ومن حفظ المسلمات على مر العصور القرآن الكريم، بل لقد حفظه منهن في عهد النبي ﷺ ثلاثة من أمهات المؤمنين (المصدر السابق ص٢٢).

(2) أ. د. محمد عبد السلام أبو النيل – حقوق المرأة في الإسلام – ص٢٢ نقلاً عن البهنساوي – مكانة المرأة – عن مقال بالأهرام ٦/ ٣/ ١٩٧٠ للويس عوض.

* أما في الإسلام فقد صار – للمرة الأولى – مـن حـق المرأة أن ترث، وتمتلك الأمور والشهادة والتعلـيم، وكتابـة العقود والوصايا. وصينت المرأة طفلة واحترمت أما وزوجة ومطلقة. كما صار من حقها ولأول مرة رفض الزوج، بـل إن قبولها شرط أساسي لصحة العقد فعن ابن عباس رضـي ا عنهما أن جارية بكرا أتت رسول ا ﷺ فذكرت أن أباها زوجها وهي كارهة، فخيرها النبي ﷺ (رواه أحمد وأبو داود وابن ماجه).

كما يحضرنا هنا حادثة السيد "بريرة" التي أمرها النبي ﷺ - أمرا إرشاديا لا واجبـا – أن ترجـع لزوجهـا فقالـت: يا رسول ا تأمرني؟ قال: لا إنما أنا شفيع. فقالت: لا حاجة لي فيه... وعن خنساء بنت خدام الأنصارية: أن أباها زوجها وهي ثيب، فكرهت ذلك، فأتت رسول ا ﷺ فـرد نكاحهـا" (رواه الجماعة إلا مسلم).

وعن حق التعليم يكفي أن نذكر أن رسـول ا ﷺ قـال: "طلب العلم فريضة على كل مسلم ومسلمة".

بل إن الإسلام قد حض على تعليم البنت ولو كانت أمـة. ففي صحيح البخاري عن أبي بردة عن أبيه قال: قال رسول

ا ﷺ: "أيما رجل كانت عنده وليدة، فعلمها فأحسن تعليمها، وأدبها فأحسن تأديبها، ثم أعتقها وتزوجها فله أجران"

وقد روى أنه ﷺ قد أتى بمعلم للسيدة عائشة وهـي فـي بيته..

بل لم تكتف المرأة في الإسلام أن تتعلم فكانت كذلك تُعلم. وقد روي أن الشيخ الذهبي (من علماء السلف) قد تعلّم على ثلاثمائة امرأة!! وكذلك عالم القرن الثامن الهجري الأشـهر (ابن تيمية) قد تلقى العلم من جدته تيمية وتسمى باسمها.

وقد ذكر السيوطي في الإتقان: ١/ ٧٢، نقلاً عن طبقـات ابن سعد ٤٥٧/٨ أن الصحابية أم ورقة بنت عبـد ا بـن الحارث قد جمعت القرآن (حفظتـه)، وأن الرسـول ﷺ قـد أمرها أن تؤم أهل دارها، وكان لها مؤذن.

وقد روى عن الإمام علي بن طالب في تفسيره تعالى: ﴿**يا أَيها الذِين آمنُوا قُوا أَنْفُسكُم وأَهلِيكُم نَارا وقُودهـا النـاس**

وَالْحِجَارَةُ... ﴾ [التحريم: ٦] يقي الرجل أهله (زوجه) النار بأن يعلمها [1].

* قبل كل ذلك صار من حق البيت في الإسلام "الابتهاج لمقدمها" فقد عاب القرآن على العرب في الجاهلية ذلك فقال: ﴿ **وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُمْ بِالأُنْثَى ظَلَّ وَجْهُهُ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ * يَتَوَارَى مِنَ الْقَوْمِ مِنْ سُوءِ مَا بُشِّرَ بِهِ أَيُمْسِكُهُ عَلَى هُونٍ أَمْ يَدُسُّهُ فِي التُّرَابِ أَلا سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ** ﴾ [النحل: ٥٨، ٥٩]. كما قال ﷺ: "لا يكون لأحد ثلاث بنات أو ثلاث أخوات، أو بنتان أو أختان، فيتقي الله فيهن ويحسن إليهن إلا دخل الجنة" (مسند الإمام أحمد بن أبي سعيد الخدري عن النبي ﷺ.

أما ما تكلم عنه مخالفو الإسلام من شبهات في مجال المرأة – رغم ما ذكرناه فإنه لا يعدو أربعة أمور:

(١) لم يرث الذكر مثل حظ الأنثيين؟

الإسلام يكلف الرجل تكليفًا لا يأمر بها المرأة، وحين يتساووا في التبعات، يتساووا في الإرث.

---

(1) نقلاً عن "سعيد حوي" – "الأساس في التفسير" المجلد العاشر – الطبعة الرابعة ص٦٠٠٣.

غني عن البيان أن الرجل مطالب بمهـر وتأثيـث بيـت وإنفاق، كما أن الذكر والأنثى لو تساويا في التبعات يتساويان في الميراث مثل الأب الذي يرث مثل الأم عند وجود فـرع وارث للميت ﴿ **ولأبويهِ لِكُل واحِدٍ منْهما السدس مِما تَـرك إِن كَان له ولَد** ﴾ [النساء: ١١].

﴿ **وإِن كَان رجلٌ يورثُ كَلالَةً أَو امرأَةٌ وله أَخٌ أَو أُخْـتٌ فَلِكُل واحِدٍ منْهما السدس** ﴾ [النساء: ١٢].

(٢) مسألة ضرب المرأة:

﴿ **واللاتِي تَخَافُون نُشُوزهن فَعِظُوهن واهجـروهن فِـي الْمضاجِعِ واضربوهن فَإِن أَطَعنَكُم فَلاَ تَبغُوا عليهن سبِيلاً** ﴾ [النساء: ٣٤].

أولاً: لقد جاء الضرب في المرتبة الأخيرة سـبقه وعـظ (ليس مرة واحدة فقط)، ثم هجر ثم ضـرب حددتـه السـنة النبوية، وذلك للمرأة الناشز المتكبرة سيئة الخلق – أن يكون غير مبرح (صحيح مسلم عن جـابر) وألا يكسـر عظمـا ولا جرح لحما، وألا يمس الوجه، وألا يقول قبـيح الكـلام وقتذاك.

عن حكيم بن معاوية [بن حيدرة القشيري]: عن أبيه قال: "قلت يا رسول ا ، ما حق زوجةِ أحـدنا عليـه؟ قـال: أن تُطعمها إذا طَعِمتَ، وتكسـوها إذا اكتَسـيتَ، ولا تضـرب الوجه، ولا تُقبح، ولا تَهجر إلا في البيت". أخرجه أبو داود، وقال: "لا تُقبح"، أن تقولَ: قَبحكِ ا .

بل لقد روى عن إياس بن عبد ا بن أبي ذباب - ﵁ - قال: قال رسول ا ﷺ: "لا تَضرِبوا إماء ا ، فجاء عمر إلى رسول ا ﷺ، فقال: ذَئرن النساء على أزواجهن، فـرخص في ضربهن، فأطاف بآل رسول ا نسـاء كثيـر يشْـكُون أزواجهن، فقال رسولُ ا ﷺ: لقد طاف بآل محمد نساء كثير يشكون أزواجهن ليس أولئك بخياركم". أخرجه أبو داود.

وقال ﷺ: "أما يستحي أحدكم أن يضـرب امرأتـه كمـا يضرب العبد، يضربها أول النهار ثم يجامعها آخـره" رواه أحمد عن عائشة.

(٣) مسألة كون شهادة المرأة نصف شهادة الرجل:

﴿ **واستَشْهدوا شَهيدين مِن رجالِكُم فَإن لم يكُونَا رجلَـين فَرجلٌ وامرأَتَان مِمن تَرضون مِن الشهداءِ أَن تَضِل إِحداهما فَتُذَكر إِحداهما الأُخْرى** ﴾ [البقرة: ٢٨٢].

[فقد تنسى واحدة تقديم الحقيقة، أو تدفعها العاطفـة إلـى تغييرها، إشفاقًا على الجاني فتذكرها أختها بالحقيقة أو بعقاب من يغير في الشهادة، وإنما نسب النسـيان إليهـا مـن دون الرجل، لأن حدوثه منها أكثر، وذلك لأن الإنسان يتقد ذهنـه في مجال عمله، فهي مشغولة عن مثل هذه الأمـور بالقيـام على أمر بيتها (القرآن يأمر المرأة أن تقر في بيتهـا). وقـد قَبِل ﷺ شهادة امرأة واحدة من الرضاع؛ فعـن عقبـة ابـن الحارث أنه تزوج أم يحيى بنت أبي إهـاب، فجـاءت أمـة سوداء فقالت: قد أرضعتكما، قال: فذكرت ذلـك للنبـي ﷺ فأعرض عني، قال: فتنحيت فذكرت ذلك له، فقالت: وكيف؟ وقد زعمت أنهـا أرضـعتكما، فنهـاه عنهـا" (البخـاري وأحمد)][(١)].

ولا يفوتنا هنا أن نقول كم تكون نفسية المرأة مضـطربة وقت الحيض أو النفاس أو بعض فترات الحمل. يؤيد ذلـك

(1) د/ محمد عبد السلام أبو النيل – حقوق المـرأة فـي الإسـلام – ص١٣٨ – ص١٩٩.

علم النفس الحديث؛ حيث يذكر ج. ب جيلفورد [1] في أبحاث ذكرها أن الذكور يتفوقون علـى الإنـاث فـي الاسـتدلال الحسابي، بينما حصلت الإناث على أعلى المتوسـطات فـي الميل الاجتماعي والجمالي والديني، كما تبين أن الذكور أقل تعرضا من الإناث للتقلبات التـي تعتـري تـوازن البيئـة العضوية الداخلية، وأنهم يتميزون بالثبات النسبي في درجـة الحرارة واتزان عمليتي الهدم والبنـاء، وأن هـذه الفـروق البدنية تؤثر تماما على الناحية النفسية.

** (٤) أما عن سماح الإسلام للرجل بالزواج من أربع كحد أقصى.

فنعجب أن يصدر هذا اللوم من أهل الكتاب نقرأ عنـدهم في التوراة عن نبي ا سليمان، أنه كانت له سبعمائة زوجة

---

(1) كتاب "ميادين علم النفس" الجزء٢، ترجمة وإشراف: يوسف مراد، مؤسس فرانكلين للطبع والنشـر، القـاهرة ١٩٧٧ (ص٦٠٢١ – ص٦١٠) (نقلاً عن أ/ أبـو شـقة "تحريـر المـرأة ص٢٨٢ – ص٢٩٠.

وثلاثمائة حظية [1].

وإذا كان البعض يرى أن تعدد الزوجـات شـيء غيـر حضاري، أليس هو أفضل من تعدد العشـيقات القـائم فـي الغرب المسيحي؟ فإذا وجد رجل مرضت زوجتـه مرضـا يمنعها من أداء واجبها الجنسي تجاه زوجها، أمن العـدل أن يطلقها ويتزوج بغيرها؟ أم من العفة أن يقيها ويعاشر غيرها؟ بغير زواج؟.

ولا يفوتنا أن نذكر هنا أن المرأة تفقد شهوتها الجنسية قبل الرجل – فلو تزوج رجل بامرأة من سنه، وبلغا سن السـتين مثلاً، فلن يفقد الرجل شهوته، بينما تصبح المرأة زاهدة فـي هذا الأمر (من مبررات التعدد كذلك ارتفاع نسبة الوفيات في الذكور أثناء الولادة والطفولة الأولى أكثر من الإناث وفقًـا للأبحاث الديموجرافية، بالإضافة إلى أن قسما كبيـرا مـن الرجال يصل إلى نصف مجموعهم يظل عاجزا عن الزواج إلى أن يبلغ مرحلة متقدمة من العمر، لأن الرجل لا يكـون قادرا على الزواج بحسب الأوضاع الاجتماعية، إلا إذا كـان

(1) التوراة – ملوك أول (١١: ٣).

قادرا على نفقات المعيشة لزوجه وأسرته وبيته في المستوى اللائق بالطبقة التي ينتمي إليها. على حين أن البنـت تكـون صالحة للزواج بمجرد وصولها لسن البلوغ).

(مستخلص من كتاب "المرأة في الإسلام" د/ علـي عبـد الواحد وافي ص١٣٧ – ص١٣٠ بتصرف).

أما أهم مبررات التعدد فهو تعرض الرجل للأخطار فـي الحروب، بل وشئون الحياة اليومية في العمـل أكثـر مـن النساء. العجيب أن دفاعنا الأخير هذا اسـتخدمه مـن قبـل "مارتن لوثر" مؤسس البروتوستانتية في دفاعه عن التعدد في العهد القديم.

"LUTHER WORKS" TABLE TALK VOL 54 PI 09.

بل إنه في أكثر من مناسبة أوصى بالأسوة التوراتية فـي مبدأ تعدد الزوجات خاصة حين يكون حلاً سياسيا. على ذلك أحله للملك هنري الثامن حين قطع الأمل في أن يكـون لـه وريث – من زوجـه الأولـى – (LUTHER A BIOGRAPHY H. G HALLE P 26) (كما أقر لوثر زواج "ديارميت" ملك أيرلندا في القرن السادس من امرأتين وتسريه بسريتين – والذي يجب ألا نغفل عنه هو أن نظام الزيجة الواحدة لـم

يدخل أوربا عن طريـق المسـيحية؛ لأن معظـم الشـعوب الأوربية التي انتشرت فيها المسيحية أول الأمـر (اليونـان والرومان) كانوا يحرمون التعدد. كما أن كثيرا مـن الأمـم الأوربية، كانت تقر التعدد خاصة للحكام قبل الـدخول فـي النصرانية، ثم استمرت على ذلك بعد دخولهـا فـي الـدين الجديد، مثل "ديارميت" ملك أيرلندا الذي ذكرناه آنفًا والملـك "شارلمان (٤٧٤ – ٨١٤) الذي كان لـه زوجتـان وعـدة سريات – ثم بعد ذلك (القرن السادس عشر) الملك "فردريك وليم" ملك بروسـيا و PHILIP OF HESSE وقـد أقـرهم القساوسة اللوثريون على ذلك، بل إن البرلمان فـي الجـزء الغربي من ألمانيا أجاز قرارا في عام ١٦٥٠ بالسماح لكـل رجل بالزواج من امرأتين، لأن تعداد السكان انخفض تمامـا نتيجـة حـرب الثلاثـين عامـا، مسـتخلص مـن كتـاب "MARRIAGE" 61, 62 & "a SHORT STORY OF MARRIAGE" 236 BY EDWARD WESTERMARCK.

نفس التصرف تكرر من الألمان عام ١٩٤٩م بعد الحرب العالمية الثانية؛ حيث تقدم أهالي بون إلى السلطان يطلبون أن ينص الدستور الألماني على إباحة تعدد الزوجات (د/ عبـد الودود شلبي "في محكمة التاريخ" ص١٣٠ نقلاً عن د/ محمد

يوسف موسى – "في الأحكـام الشخصـية ص١٣١ طبعـة ثانية".

- والثابت أن "لوثر" لم يكن مبتدعا في دينه فـي مسـألة تعدد الزوجات، فقـد أقـره آبـاء أولـون مثـل **كيـرلس الأورشليمي" (٣١٤م – ٣٧٨م) وقال: "لا يحتقر المتزوجون مرة واحدة أولئك الذين يعقدون زواجا ثانيا.** إن ضبط النفس لأمر نبيل يدعو إلى الإعجاب! ولكن الزواج الثاني مسـموح به للضعيف كي لا يسقط في الزنى" (نقـلاً عـن "كيـرلس الأورشليمي، العظات. تعريب جورج نصور ص٦٨ نشـر. A.T.I.M.E ١٩٨٢.

(ولماذا نذهب بعيدا في الدفاع عن تعدد الزوجـات أمـام المسيحيين. إن المسيحية المعاصرة تعترف بالتعدد في أفريقيا السوداء بعد أن رأت أن الإصرار على منع التعـدد يحـول دون دخول الأفارقة في المسيحية، واحتج مقننو هذا التشريع بأن التعدد موجود في العهد القديم، وقد أقر المسيح كل ما في العهد القديم بقوله "لا تظنوا أني جئت لأهدم بل لأتمـم (فـي محكمة التاريخ ص١٢١ بتصرف).

كما يجب أن نذكر هنا أن طائفة المورمـون المسـيحية المعاصرة في أمريكا تسمح بتعدد الزوجات بأكثر من أربـع بكثير... وقد ذكر "بول فندلي" السناتور الأمريكي الشهير في كتاب "لا سكوت بعد اليوم" ص١٦٩ أن مـن ٢٠٠٠٠ إلـى ٣٥٠٠٠ مسيحي من المورمون يعـددون زوجـات، ولهـم روابط بكنيسة يسوع المسيحي لقديس اليوم الآخر، لا رابـط بينهم وبين طائفة المورمون، يمارسون تعدد الزوجات علنًا، على حد قول "بول فندلي".

* = يجدر بنا أن نذكر بعض المواضع القرآنيـة التـي تكلمت عن المرأة... وهنا نذكر ما روي عـن عمـر بـن الخطاب "**كلنا في الجاهلية لا نعد النساء شيئًا، فلمـا جـاء الإسلام وذكرهن ا ، رأينا لهن بـذاك علينـا حقًـا**" رواه البخاري.

﴿ إن الْمسلِمين والْمسـلِماتِ والْمـؤْمِنين والْمؤْمِنَـاتِ والْقَانِتِين والْقَانِتَاتِ والصـادِقِين والصـادِقَاتِ والصـابِرِين والصــابِراتِ والْخَاشِــعِين والْخَاشِــعاتِ والْمتَصــدقِين والْمتَصدقَاتِ والصائِمِين والصائِماتِ والْحـافِظِين فُـروجهم

والْحافِظَاتِ والذاكِرِين ا َ كَثِيرا والـ ذاكِراتِ أَعـ د ا ُ لهـ م مغْفِرةً وأَجرا عظِيما ﴾ [الأحزاب: ٣٥].

هكذا لا يفرق الإسلام بين رجل تقي وامرأة تقية.

﴿ **يا أَيها الذِين آمنُوا لاَ يحِل لَكُم أَن تَرِثُوا النساء كَرهـ ا ولاَ تَعضلُوهن لِتَذْهبوا بِبعضِ ما آتَيتُمـ وهن إِلا أَن يـ أْتِين بِفَاحِشَةٍ مبينَةٍ وعاشِروهن بِالْمعروفِ فَإِن كَرِهتُموهن فَعسى أَن تَكْرهوا شَيئًا ويجعلَ ا ُ فِيهِ خَيرا كَثِيرا** ﴾ [النساء: ١٩].

﴿ **والْمؤْمِنُون والْمؤْمِنَاتُ بعضهم أَولِياء بعضٍ يـ أْمرون بِالْمعروفِ وينْهون عن الْمنْكَرِ** ﴾ [التوبة: ٧١].

﴿ **والْمطَلَّقَاتُ يتَربصن بِأَنْفُسِهِن ثَلاثَةَ قُروءٍ ولاَ يحِل لَهن أَن يكْتُمن ما خَلَقَ ا ُ فِي أَرحامِهِن إِن كُـ ن يـ ؤْمِن بِـ ا ِ والْيومِ الآخِرِ وبعولَتُهن أَحق بِـ ردهِن فِـ ي ذَلِـ ك إِن أَرادوا إِصلاحا ولَهن مِثْلُ الذِي علَيهِن بِالْمعروفِ ولِلرجالِ علَـ يهِن درجةٌ** [1] **وا ُ عزِيز حكِـ يم * الطـ لاَقُ مرتَـ ان فَإِمسـ اك**

---

(1) هذه الدرجة هي القوامة التي هي تكليف قبل أن تكون تشـ ريفًا... وهذا التكليف كما روي في صحيح مسلم عن جابر عن النبـ ي ﷺ: "اتقوا ا في النساء. فـ إنكم أخـ ذتموهن بأمانـ ة ا ، واسـ تحللتم =

بِمعروفٍ أَو تَسرِيح بِإِحسانٍ ولاَ يحِلُ لَكُم أَن تأْخُـذُوا مِمـا آتَيتُموهن شيئًا إِلا أَن يخَافَا أَلا يقِيما حدود ا ِ فَإِن خِفْتُم أَلا يقِيما حدود ا ِ فَلاَ جنَاح علَيهِما فِيما افْتَـدتْ بِـهِ [1] تِلْـك حدود ا ِ فَلاَ تَعتَدوها ومن يتَعـد حـدود ا ِ فَأُولَئِـك هـم الظَّالِمون * فَإِن طَلَّقَها فَلاَ تَحِلُ لَه مِن بعد حتى تَنْكِح زوجا غَيره فَإِن طَلَّقَها فَلاَ جنَاح علَيهِما أَن يتَراجعـا إِن ظَنـا أَن يقِيما حدود ا ِ وتِلْك حدود ا ِ يبينُها لِقَومٍ يعلَمـون * وإِذَا طَلَّقْتُم النسـاء فَـبلَغْن أَجلَهـن فَأَمسِـكُوهن بِمعـروفٍ أَو

=

فروجهن بكلمة ا ، ولكم علـيهن أن لا يـوطئن فرشـكم أحـدا تكرهونه، فإن فعلن ذلك فاضربوهن ضربا غير مبـرح. ولهـن رزقهن وكسوتهن بالمعروف".

(1) هذا هو الخلع الذي تفرد به الإسلام، فعن ابن عبـاس رضـي ا عنهما أن امرأة ثابت بن قيس أتت النبي ﷺ فقالت: يا رسـول ا ، ثابت بن قيس ما أعيب عليه في خلق ولا دين، ولكني أكره الكفـر في الإسلام. فقال رسول ا ﷺ: "أتردين عليه حديقتـه؟" فقالـت: نعم، فقال رسول ا ﷺ: "اقبل الحديقـة وطلقهـا تطليقـة". رواه البخاري.

سرحوهن بِمعروفٍ ولاَ تُمسِكُوهن ضِرارا لتَعتَدوا ومن يفْعلْ
ذَلِك فَقَد ظَلَم نَفْسه ولاَ تَتخِذُوا آياتِ ا ِ هزوا واذْكُروا نِعمتَ
ا ِ علَيكُم وما أَنْزلَ علَيكُم من الْكِتَابِ والْحِكْمةِ يعِظُكُـم بِـهِ
واتقُوا ا َ واعلَموا أَن ا َ بِكُل شَيءٍ علِـيم * وإِذَا طَلَّقْـتُم
النساء فَبلَغْن أَجلَهن فَلاَ تَعضلُوهن أَن ينكِحن أَزواجهـن إِذَا
تَراضَوا بينَهم بِالْمعروفِ ذَلِك يوعظُ بِهِ من كَان مِنْكُم يؤْمِن
بِا ِ والْيومِ الآخِرِ ذَلِكُم أَزكَى لَكُم وأَطْهر وا ُ يعلَم وأَنْتُم لاَ
تَعلَمون * والْوالِداتُ يرضِعن أَولاَدهن حولَين كَامِلَين لِمـن
أَراد أَن يتِم الرضاعةَ وعلَى الْمولُودِ لَه رِزقُهن وكِسـوتُهن
بِالْمعروفِ لاَ تُكَلَّفُ نَفْس إِلا وسعها لاَ تُضار والِدةٌ بِولَـدِها
ولاَ مولُود لَه بِولَدِهِ وعلَى الْوارِثِ مِثْلُ ذَلِك فَإِن أَرادا فِصالاً
عن تَراضٍ منْهما وتَشَاورٍ (١) فَلاَ جنَاح علَيهِما وإِن أَردتـم
أَن تَستَرضِعوا أَولاَدكُم فَلاَ جنَاح علَيكُم إِذَا سلَّمتُم ما آتَيـتُم
بِالْمعروفِ واتقُوا ا َ واعلَموا أَن ا َ بِما تَعملُـون بصِـير
والَّذِين يتَوفَّون مِنْكُم ويذَرون أَزواجا يتَربصـن بِأَنْفُسِـهن

(1) تستشار المرأة حتى في أمر فصال (فطام) الطفل.

أربعةَ أشْهرٍ وعشْرا [1] فَإِذَا بلَغْن أَجلَهن فَلاَ جنَـاح علَـيكُم فِيما فَعلْن فِي أَنْفُسِهِن بِالْمعروفِ وا ُ بِما تَعملُون خَبِيـر * ولاَ جنَاح علَيكُم فِيما عرضتُم بِهِ مِن خِطْبةِ النساءِ أَو أَكْنَنْتُم فِي أَنْفُسِكُم علِم ا ُ أَنكُم ستَذْكُرونَهن ولَكِـن لا تُواعِـدوهن سِرا إِلا أَن تَقُولُوا قَولا معروفًا ولاَ تَعزِموا عقْدةَ النكَاحِ حتى يبلُغَ الْكِتَاب أَجلَه واعلَموا أَن ا َ يعلَـم مـا فِـي أَنْفُسِـكُم فَاحذَروه واعلَموا أَن ا َ غَفُور حلِيم * لاَ جنَاح علَـيكُم إِن طَلَّقْتُم النساء ما لَم تَمسوهن أَو تَفْرِضـوا لَهـن فَرِيضـةً ومتعوهن علَى الْموسِعِ قَدره وعلَى الْمقْتِـرِ قَـدره متَاعـا بِالْمعروفِ حقا علَى الْمحسِنِين * وإِن طَلَّقْتُموهن مِن قَبلِ أَن تَمسوهن وقَد فَرضتُم لَهن فَرِيضةً فَنِصفُ ما فَرضـتُم إِلا أَن يعفُون أَو يعفُو الَّذِي بِيدِهِ عقْدةُ النكَاحِ وأَن تَعفُـوا أَقْـرب لِلتقْوى ولاَ تَنسوا الْفَضلَ بينَكُم إِن ا َ بِما تَعملُون بصِير * حافِظُوا علَى الصلَواتِ [2] والصلاَةِ الْوسـطَى وقُومـوا ِ قَانِتِين * فَإِن خِفْتُم فَرِجالاً أَو ركْبانًا فَإِذَا أَمِنْتُم فَـاذْكُروا ا َ

(1) العدة هذه لا لإظهار الحزن لكن لاستبراء الرحم.

(2) هكذا الكلام عن الصلاة في خضم الحديث عن المرأة والبيت، لأنها هي التي تعينه على هذه الأمور المتشعبة وعدم ظلم المرأة.

كما علمكم ما لم تكونوا تعلمون * والذين يتوفون منكم ويذرون أزواجا وصية لأزواجهم متاعا إلى الحول غير إخراج (١) **فإن خرجن** (٢) **فلا جناح عليكم في ما فعلن في أنفسهن من معروف وا عزيز حكيم * وللمطلقات متاع بالمعروف حقا على المتقين * كذلك يبين ا لكم آياته لعلكم تعقلون** ﴾ [البقرة: ٢٣٨ – ٢٤٢].

هذه الوثيقة الموصية بالمرأة لا نجد لها نظيرا في أي دين أو فكر أو نظرية حتى يومنا هذا.

﴿ **أسكنوهن من حيث سكنتم من وجدكم ولا تضاروهن لتضيقوا عليهن وإن كن أولات حمل فأنفقوا عليهن حتى يضعن حملهن فإن أرضعن لكم فآتوهن أجورهن وأتمروا بينكم بمعروف وإن تعاسرتم فسترضع له أخرى * لينفق ذو**

---

(1) لا يحق لأحد أن يخرج الأرملة من بيتها قبل انقضاء عام كامل مضمونة لها فيه معيشتها وإقامتها من إرث زوجها المتوفى، بالإضافة إلى ميراثها الشرعي (عصام راشد: البشارة بمحمد ﷺ في التوراة" (ص٧٣).

(2) الأرملة حرة من قبل ومن بعد بمجرد انقضاء عدتها أن تفعل بنفسها ما تشاء في حدود شرع ا (المصدر السابق).

سعةٍ من سعتِهِ ومن قُدِر عليهِ رِزقُه فَلْينْفِقْ مِما آتَاه ا ُ لاَ يكَلِّفُ ا ُ نَفْسا إِلا ما آتَاها سيجعلُ ا ُ بعد عسـرٍ يسـرا﴾ [الطلاق: ٦، ٧].

﴿ **والَّذِين يرمون الْمحصنَاتِ ثُم لَم يأْتُوا بِأَربعةِ شُـهداء فَاجلِدوهم ثَمانِين جلْدةً ولاَ تَقْبلُوا لَهم شَهادةً أَبدا وأُولَئِك هم الْفَاسِقُون * إِلا الَّذِين تَابوا مِن بعدِ ذَلِك وأَصلَحوا فَـإِن ا َ غَفُور رحِيم ﴾** [النور: ٤، ٥].

هكذا تُصان كرامة المرأة وسمعتها في الإسلام.

﴿ **وإِذَا الْموءودةُ سئِلَتْ * بِأَي ذَنبٍ قُتِلَتْ ﴾** [التكوير: ٨، ٩].

إذا كان العرب في الجاهلية كثيرا ما يدفنون بناتهم أحياء خشية العار ﴿ **وإِذَا بشر أَحدهم بِالأُنْثَى ظَلَّ وجهـه مسـودا وهو كَظِيم * يتَوارى مِن الْقَومِ مِن سوءِ ما بشر بِهِ أَيمسِكُه علَى هونٍ أَم يدسه فِي التـرابِ أَلاَ سـاء مـا يحكُمـون ﴾** [النحل: ٥٨، ٥٩].

﴿ **لِلرجالِ نَصِيب مما تَرك الْوالِدانِ والأَقْربون ولِلنسـاءِ نَصِيب مما تَرك الْوالِدانِ والأَقْربون مِما قَـلَّ مِنْـه أَو كَثُـر نَصِيبا مفْروضا ﴾** [النساء: ٧].

** = مما ذكرناه آنفًا من آيات ومن غيره يتبين لنا معالم شخصية المرأة في الإسلام [1].

أولاً: في القرآن الكريم:

* المرأة والرجل من أصل واحد.. يتمثل ذلك في قوله تعالى: ﴿ يا أيها الناس اتقُوا ربكُم الذِي خَلَقَكُم من نفْسٍ واحِدةٍ وخَلَقَ مِنْها زوجها... ﴾ [النساء: ١].

* مسئوليتها الإنسانية.. أي تتساوى مع الرجل في التكاليف.

* تحريرها من مظالم الجاهلية:

- من الضيق بها والاكتئاب عند ولادتها.

- ومن إمساكها ذليلة مهانة.

- ومن وأدها خشية العار أو خشية الفقر.

*** تأكيد شخصيتها واستقلالها.**

---

(1) مستخلص بتصرف من: أ/ عبد الحليم محمد أبو شقة.. "تحرير المرأة في عصر الرسالة" الجزء الأول والثاني.

* مشاركتها في النشاط الاجتماعي والسياسـي.. كقولـه تعالى: ﴿ والْمؤْمِنُون والْمؤْمِنَاتُ بعضهم أَولِياء بعـضٍ يأْمرون بِالْمعروفِ وينْهون عن الْمنْكَـرِ ﴾ [التوبـة: ٧١].

ثانيا: في السنة النبوية:

* **استقلال شخصيتها**: كأن تسبق قومها وزوجهـا إلـى الإيمان بالدين الجديد. مثل أم المؤمنين أم حبيبة بنـت أبـي سفيان وأم كلثوم بنت عقبة بن أبي معيط، وكان من ألد أعداء النبي ﷺ وهاجرت وكذلك امرأة العباس وأم سليم.

* **مشاركتها في العبادات الجماعية.**

* **مشاركتها في الاحتفالات العامة**.. عن أنس رضي ا عنه قال: "رأى النبي ﷺ النساء والصـبيان مقبلـين... مـن عرس فقام النبي ﷺ ممثلاً فقال: اللهم أنتم من أحـب النـاس إلي. قالها ثلاث مرات" (بخاري ومسلم).

* **حقها في التربية والتعليم لتقوم بمسـئوليتها بكفايـة.** مثل مطالبة الصحابيات النبي ﷺ بتخصيص درس لهن.

* **مشاركتها في رواية السنة**.. حتى لقـد قـال الحـافظ الذهبي: (لم يؤثر عن امرأة أنها كذبت فـي حـديث) وقـال الشوكاني مثل ذلك.

* **مشاركتها في النشاط الاجتماعي:** مثل تيسير المسـكن والمأكل للوافدين (كالصحابية أم شريك) والرعاية الصـحية والتعاون في مجال الحفلات.

* **مشاركتها في النشاط السياسي:** مثل الهجرة والعمـل على اختيار الحاكم والإنكار على الحـاكم الظـالم. والأمـر بالمعروف والنهي عن المنكر.

* **مشاركتها في قوات الجيش:** بأعمال تناسب طبيعتهـا كالتموين والإسعاف والنقل والعمل خلف خطوط القتال.. بل وفي بعض الأحيان المشاركة في القتـال (مثـل الصـحابية أم عمارة).

* **مشاركتها في العمل المهني**: بمـا لا يتعـارض مـع مسئوليتها الأسرية – كالعمل في الزراعة والرعي وغيرهما بغرض التصدق خاصة. روي عن جابر بن عبد ا أنه قال: "طُلقت خالتي فأرادت أن تَجد نخلها (أي تقطعـه) فزجرهـا رجل أن تخرج فأتت النبي ﷺ فقال: "بلى فجدي نخلك فإنـك

عسى أن تصدقي أو تعطي معروفًا" (رواه مسلم) كمـا روي عن أم المؤمنين زينب بنت جحش أنها كانت أشـد ابتـذالاً لنفسها في العمل الذي تصدق به.

* **لها مكانتها في الأسرة:** مثل التعـاون فـي القوامـة (بالمراجعة والمشورة) والتعاون في الإنفاق (مثل زينب امرأة عبد ا بن مسعود) بل والتعاون في تدبير شـئون المنـزل (تمثل ذلك في النبي ﷺ نفسه) إذ كان في خدمة أهلـه.. يقـم البيت [جمع القمامة ويخصف نعله ويرقع ثوبه، كما أن مـن عظيم مكانة المرأة في الأسرة في الإسلام حق مفارقة الزوج (الخلع)، وإن لم يكن في الزوج عيب في خلق أو دين.

* **مكرمة عند رسول ا ﷺ:** عدا تكريم القرآن للمرأة كما أسلفنا: تروي لنا كتب السنة أن النبي ﷺ كـان حـين يلقـى الصبيان والنساء يقول: اللهم أنتم من أحب النـاس إلـي ﷺ (البخاري ومسلم عن أنس). كمـا روي أن النبـي ﷺ كـان يصلي وهو حامل حفيدته (بنت زينب)، وذلك دفعا لما كانت العرب تألفه من كراهة البنات وحملهن (كما ذكر في القرآن الكريم) (البخاري ومسلم عن أبي قتادة).

*** يحض على جميل رعايتها:**

كأم.. حيث يذكر الحديث أنها أحق الناس بحسن صحابة الرجل ثلاثًا، ثم أبيه في الحديث المشهور.

كأخت.. عن عائشة عن النبي ﷺ: "ليس أحد من أمتي يعول ثلاث بنات أو ثلاث أخوات، فيحسن إليهن إلا كن له سترا من النار" (رواه البيهقي).

كزوجة.. قال ﷺ: "خيركم خيركم لأهله (أي زوجه) وأنا خيركم لأهلي" (رواه ابن ماجه). وقوله ﷺ: "استوصوا بالنساء خيرا.." (رواه البخاري ومسلم).

كبنت... قوله ﷺ: "من يلي من هذه البنات شيئًا فأحسن إليهن، كن له سترا من النار" (البخاري).

كأمة.. (أي مؤنث عبد مملوك)..

قال ﷺ: "أيما رجل كانت عنده وليدة (أمة) فعلمها فأحسن تعليمها، وأدبها فأحسن تأديبها، ثم أعتقها وتزوجها، فله أجران" (رواه البخاري عن أبي بردة).

*** عدم انغلاقها على نفسها أو كبتها:**

مثل استقبالها للضيوف وخـدمتها للضـيوف الرجـال، وجلوسها مع زوجها لمشاركة الضيف طعام العشاء، وتدخل على رسول الله ﷺ، (هالة أخت خديجة) كذلك مشروعية ذكر اسم المرأة وأوصافها وأخبارها (في حدود الآداب الشرعية) كما أن للمرأة أن تعرض نفسها للزواج (حديث الواهبة نفسها للنبي ﷺ) إما لفضل ديني في المخطوب أو لهوى يخشى من السكوت عن الوقوع في محذور (هـذا رأي الحـافظ ابـن حجر).

* **لها شخصية قوية**.. نماذج دالة على ذلك:

- تقديم أم سلمة المشورة لرسـول الله ﷺ يـوم الحديبيـة وأخذه بها.
- جدال خولة بنت ثعلبة مع رسول الله ﷺ حول الظهـار (سورة المجادلة).
- مواجهة أسماء بنت عميس لعمر بن الخطاب يوم قلـل من شأن هجرة أصحاب السفينة.
- مواجهة أم سلمة لعمر بن الخطاب يوم إنكاره على نساء النبي ﷺ مراجعتهن له.
- تجلد أم سليم وتلطفها في إبلاغ زوجها نبأ وفاة ابنهما.

- اهتمام حفصة بنت عمر البالغ بأزمة الخلافة بعد موت أبيها.

- مواجهة أسماء بنت أبي بكر لجبروت الحاج بن يوسف.

- استدراكات عائشة أم المؤمنين على الصحابة.

*** بعد كل ما ذكرناه من إنصاف للمراة في الإسلام، بـل هو التحرير الحقيقي للمرأة، كما ذكر الأستاذ عبد الحليم أبو شقة في معنى كتابه القيم؛ "تحرير المرأة في عصر الرسالة" بعد هذا كله يجب أن نتساءل... كيف يتهم الإسلام باضطهاد المرأة؟** هل مجرد السؤال هنا مؤامرة مـن الغـرب علـى الإسلام؟ الحق أن المسلمين في القرنين الأخيرين تعرضـوا للتخلف الحضاري بعد أن كانوا على قمة العالم. مما اسـتتبع تخلفًا في معاملة المسلمين للمرأة. مع أنه يخالف نص الإسلام – هذا ما سماه "أبو شقة" جاهلية القرن ١٥ الهجري العكـس حدث للغرب في تلك الفترة (القرن ١٩ و٢٠م)؛ حيث حدث تقدما حضاريا وماديا تبعه تحسنًا ملحوظًا في معاملة المـرأة – مع أن ذلك يخالف أيضا نص دينهم – إلا أن هذا التحسن لم يكن كله خيرا للمرأة؛ إذ تبعه العري والإباحية وهـو مـا

يناقض كرامة المرأة. هذا ما سماه الأستاذ "أبو شقة" – في كتابه سالف الذكر – "جاهلية القرن العشرين الميلادي".

وحين يفك الاشتباك بين الإسلام الحقيقي وبين أخلاق المسلمين الحاليين ينصف الإسلام.

** = وهذا ما يحدث الآن في الغرب الذي أدركت الكثير من نسائه كم خدعوا من قبل في فكرتهم عن مكانة المرأة في الإسلام.

فقد ذكرت جريدة "التايمز" البريطانية في عددها الصادر ٩/ ١١/ ١٩٩٣ وتحت عنوان بعرض الصفحة وعلى رأسها "لماذا تتحول البريطانيات إلى الإسلام؟".

"Why British Women are turning to Islam?"

فذكرت أن من ١٠٠٠٠ إلى ٢٠٠٠٠ (عشرون ألفًا) من البريطانيين قد تحولوا في الحقبة الأخيرة للإسلام. معظمهم من نساء الطبقة المثقفة. أما في الولايات المتحدة، فإن نسبة المرأة في التحول إلى الإسلام أربعة أمثال الرجل!!

وذكرت الجريدة أن البريطانيات المسلمات يشفقن على حالة المرأة البريطانية مستنكرين النماذج الغربية، وأنهن يشعرن في الإسلام ولباسه (الحجاب) بالخصوصية والأمان.

وذكرت نماذج من هؤلاء النسوة لمحررة الجريدة كيف كرم الإسلام المرأة، فجعل الجنة تحت أقـدام الأمهـات. وكيـف كرمها بالاحتفاظ باسم أبيها فلا تنسب لزوجها كما هـو فـي الغرب، وذكرت إحداهن أنها شاهدت برنامجا تليفزيونيا فـي إنجلترا تطالب في البريطانيات بذلك الحق (حـق الانتسـاب للأب دوما لا لزوجها).

وفي نهاية ذلك التحقيق ذكـرت المحـررة أن التحقيـق، سيستكمل في اليوم التالي تحت عنوان "كيف يزدهر الإسلام في بريطانيا"...

"How Islam Thrives in Britain?"

- لم يكن هذا هو التحقيق الوحيد في الصحف الإنجليزية فقد ذكرت كذلك "صان داي تايمز" في عددها الصادر ٤/ ٩/ ١٩٩٤ بعنوان كبير "البريطانيات يفتشن عن أخلاق جديـدة في الإسلام".

"British Women seeks new morality in Islam."

*** = "... هكذا الإسلام قد أنشأ للمرأة ما أنشأ من القيمة والاعتبار والحقوق والضمانات.. وليدة لا توأد ولا تهـان. ومخطوبة لا تُنكح إلا بإذنها ثيبا أو بكرا. وزوجة لها حقوق**

الرعاية فوق ضمانات الشريعة، ومطلقة لها هذه الحقـوق المفضلة!".

نقلاً عن مقدمة تفسير سورة الطلاق من كتاب "في ظلال القرآن" للأستاذ سيد قطب.

* * *

الثمرة الثامنة لمحمد ﷺ
"التسامح ونبذ العنف"

- "وأما مدن تلك الشعوب التي يعطيك الرب إلهك إياهـا ميراثًا، فلا تستبق منها نسمة، بل دمروها عن بكـرة أبيهـا (التثنية ٢٠: ١٦ – ١٧).

- "فغضب موسى على ضباط الجيش، أي رؤساء الألوف ورؤساء المئات، القادمين من قتال الحرب، وقال لهم موسى: هل استبقيتم الإناث كلهن؟ إن هؤلاء هن اللواتي حملن بنـي إسرائيل، بمشورة بلعام، على أن يخونوا الـرب فـي أمـر فغور، فحلت الضربة في جماعة الرب، **والآن فـاقتلوا كـل ذكر من الأطفال [1]**، واقتلوا كل امـرأة عرفـت مضـاجعة

(1) لعل هذا يفسر لنا قتل الجنود الصهاينة، والمستوطنين اليهود فـي فلسطين للأطفال الفلسطينيين في الانتفاضة الأولى والثانية (سـنة ٢٠٠٠ و٢٠٠١م). ومن منّا ينسى مشهد الطفـل "محمـد الـدرة" المقتول في حضن أبيه؟

رجل، وأما إناث الأطفال اللواتي لم يعرفن مضاجعة الرجال، فاستبقوهم لكم". (عدد ٣١: ١٤ – ١٨).

- "فهتف الشعب ونفخ في الأبواق، فكان عند سماع الشعب صوت بوق أن الشعب هتف هتافًا شديدا، فسقط السور من مكانه!!! فصعد الشعب إلى المدينة، كل واحد على وجهه، واستولوا على المدينة، **وحرموا كل ما في المدينة من الرجال وحتى المرأة، ومن الشاب وحتى الشيخ، حتى البقر والغنم والحمير [١]،** فقتلوهم بحد السيف" (يشوع ٦: ٢٥ – ٢١).

- النصوص السابقة مذكورة في التوراة المقدسة عند اليهود والنصارى، اللذين يقولون إن الإسلام دين عنف وإرهاب، رأينا في النصين الأول والثاني كيف يوصي موسى – معاذ ا أن يكون قد فعل – بقتل الأطفال والنساء – بعد الرجال طبعا – وقد غضب لأن جنوده قد تركوهم أحياء، بل إنه أمر بعدم استبقاء نسمة! نسمة واحدة!

---

(1) مسألة قتل البهائم إلى جانب البشر، تذكر بما حدث في مذبحة صابرا وشاتيلا في لبنان على يد الصهاينة عام ١٩٨٢م، وكان بطلها شارون، وهذا أمر يتفرد به الصهاينة دون سائر البشر.

وفي النص الثالث نقرأ كيف كان أتباع النبي يشوع يقتلون الرجال والنساء والشيوخ والأطفال، بل والبهائم ولا ينهـرهم نبيهم ولا تعلق التوراة على تلك الجرائم بكلمة واحـدة، بـل صار ذلك وغيره من تجريف الأرض وقطع الأشجار نبراسا يهتدي به "شارون" السفاح الإسرائيلي وأمثاله وجنودهم؟! هو إذن رجل توراتي!!

* على النقيض من ذلك نجد في القرآن ثمرة محمد ﷺ:

﴿ **الذِين إِن مكناهم فِي الأَرضِ أَقَـاموا الصـلاَةَ وآتَـوا الزكَاةَ وأَمروا بِالْمعروفِ ونَهوا عـن الْمنْكَـرِ و ِ عاقِبـةُ الأُمورِ** ﴾ [الحج: ٤١].

ونقرأ كذلك في الحديث الشريف وصيته ﷺ للمجاهـدين: "لا تغدروا، ولا تغلـوا، ولا تمثلـوا ولا تقتلـوا الولـدان، ولا أصحاب الصوامع" (رواه أحمد ابن عباس).

كما نقرأ في الحديث الشريف وصيته ﷺ: "لا تقتلوا شيخًا فانيا، ولا طفلاً صغيرا ولا امرأة ولا تغلّوا وضموا غنائمكم وأصلحوا وأحسنوا إن ا يحب المحسنين" (رواه أبـو داود عن أنس).

كأنها وصية لمصـلين يتـأهبون للصـلاة، ولا وصـية لمحاربين يستعدون للقتال.

* = مثل تلك النصوص في الحديث الشريف ومن قبلـه في القرآن الكريم، كانت سببا لسمو أخلاق الفروسـية فـي التاريخ الإسلامي.

وقد صدر أخيرا كتاب بعنوان "من ذاكرة التاريخ العربي والإسلامي"، نشرته اللجنة الدولية للصليب الأحمر يبين مدى تأصيل تقاليد الفروسية والرحمة أثناء الحروب في التـراث الإسلامي، وقد ذكر الكتاب فيما ذكر وصية الخليفة أبي بكر الصديق لقائد جـيش فـتح الشـام "لا تخونـوا ولا تغلـوا ولا تغدروا، ولا تمثلوا، ولا تقتلوا طفلاً صغيرا ولا شـيخًا كبيرا، ولا امرأة، ولا تعقروا نخـلا، ولا تقطعـوا شـجرة مثمرة، ولا تذبحوا شاة ولا بقرة ولا بعيرا إلا لمأكله، وقـد قارن الكتاب بين هذه الوصية والبروتوكول الأول لسـنة ٧٧ الملحق بأحكام اتفاقيات جنيف الأربع، المادة ٥١، ٥٤. ثـم قارن الكتاب بين قرار الخليفـة العباسـي المعتصـم بـا . بألا يفرق بين أعضاء العائلات التي وقعت في الأسر وبـين المادة ٨٢ من اتفاقية جنيف بشأن حمايـة المـدنيين وقـت

الحرب، كما قارن الكتاب بين وصية الخليفة علي بن طالب "إذ هزمتموهم فلا تقتلوا مدبرا، ولا تجهزوا على جريح، ولا تدخلوا دارا إلا بإذن، ولا تأخذوا من أموالهم شيئًا، ولا تعذبوا النساء بأذى، وإن شتمنكم وشتمن أمراءكم، واذكروا الله لعلكم ترحمون" وبين المادة ٤١ و٧٦ من بروتوكول ٧٧ الملحق باتفاق جنيف [(١)].

تشعر في هذه الوصايا للجنود أنها موعظة لواعظ يقف على منبر لا قائد جيش.

ومن هذه الأخلاق في الإسلام أيضًا، الوفاء بالعهد: ﴿**وَأَوْفُوا بِعَهْدِ اللَّهِ إِذَا عَاهَدتُّمْ وَلَا تَنقُضُوا الْأَيْمَانَ بَعْدَ تَوْكِيدِهَا وَقَدْ جَعَلْتُمُ اللَّهَ عَلَيْكُمْ كَفِيلًا إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ * وَلَا تَكُونُوا كَالَّتِي نَقَضَتْ غَزْلَهَا مِن بَعْدِ قُوَّةٍ أَنكَاثًا تَتَّخِذُونَ أَيْمَانَكُمْ دَخَلًا بَيْنَكُمْ أَن تَكُونَ أُمَّةٌ هِيَ أَرْبَىٰ مِنْ أُمَّةٍ**﴾ [النحل: ٩١، ٩٢] (الآية الأخيرة تأمر المسلمين أن يلتزموا بعهودهم حتى ولو تعارض ذلك مع مصالح الدولة التي طالما يتخذها

---

(1) نقلاً عن مقال أ/ أحمد بهجت. الأهرام (٦/ ٥/ ١٩٩٤م) – بتصرف.

الغرب ذريعة لكثير من المظالم). حتى المسلمون خارج ديار الإسلام لا يحق لدولة الإسلام نصرتهم على أعدائهم إذا كان هناك معهم. ﴿ **وإن استنصروكم في الدين فعليكم النصر إلا على قوم بينكم وبينهم ميثاق والله بما تعملون بصير** ﴾ [الأنفال: ٧٢].

= **ولم تكن هذه مثلاً نظرية، إنما كانت سلوكًا اجتماعيا.**

قال حذيفة بن اليمان ما معنى أن أشهد بدرا إلا أنني خرجت أنا وأبو الحسيل، فأخذنا كفار قريش فقالوا إنكم تريدون محمدا. فقلنا: ما نريده وما نريد إلا المدينة، فأخذوا منا عهد الله وميثاقه، لننطلق إلى المدينة ولا نقاتل معه، فأتينا رسول الله ﷺ فأخبرناه الخبر فقال: "انصرفا. نفي بعهدهم ونستعين الله عليهم".

ومن ذلك أيضا موقف النبي ﷺ مع أبي جندل بن سهيل بن عمرو الذي جاءه يوسف في الأغلال، وقد فر من كفار مكة أثناء عقد صلح الحديبية الذي كان من بنوده أن يرد النبي ﷺ من يأتيه مسلما من قريش رغم استغاثة أبي جندل: يا معشر المسلمين أأرد إلى المشركين يفتنوني عن ديني؟

كما سمح المسلمون ليهود خيبر وبني النضير – بعد هزيمتهم – أن يستلموا صحفهم من التوراة. لنقارن ذلك بما فعله الأسبان مع المسلمين عقب النصر عليهم؛ إذ أحرقوا كتبهم على يد القسيس "خمنيس دي سيسنيروس". لم يحرق النبي ﷺ ولا المسلمون أبدا صحفًا مقدسة ولا غير مقدسة لأعدائهم، وقد جعل ذلك المستشرق "ولفنسون" يذكر إزاء هذا حرق الرومان لكتب اليهود المقدسة بعد فتح أورشليم عام ٧٠م ثم داسوها بأرجلهم، وهو نفس ما فعله النصارى مع يهود الأندلس (تاريخ اليهود ببلاد العرب) ص١٧٠ نقلاً عن د/ شوقي أبو خليل "التسامح في الإسلام" ص١٤.

ويمضي الإسلام في طريقه العلوي مع الشرف والكرامة، فلا يبيح الغدر حتى وهو يخشى خيانة الآخرين، فينبذ إليهم في وضح النهار ولا يبيتهم بالغدر ﴿ **وإما تَخافَن مِن قَومٍ خِيانَةً فَانْبِذْ إِلَيهم على سواءٍ إِن ا ¯ لاَ يحِب الْخَائِنِين** ﴾.

**** أما عن قصور هذه الأخلاق في التاريخ النصراني فحدث ولا حرج.**

فحين دبت فيهم بوادر القوة لأول مرة منذ علو الإسلام، شنوا الحروب الصليبية رغم تسامح الفاطميين مع أهل

الكتاب بشكل لم يعرفه أي مجتمـع آنـذاك. (نقـلاً عـن: "المسيحيون واليهود في التاريخ الإسلامي العربي والتركـي" فيليب فارج ويوسف كرباج الفرنسيان ص٦٦).

(وخاضت الجياد في المسجد الأقصى في الدم حتى الركب بل وحتى اللجام، فقتلوا في أعقـاب الاسـتيلاء الأول علـى القدس عشرة آلاف مسلم – حسب المصادر الأوروبية – أما المصادر الإسلامية فتقدر عدد من قتلوا بمائة ألف، ثم قتـل زعيم الحملة الصليبية الثانية ريتشارد ملك إنجلترا – ما بين ألفين إلى ثلاثة آلاف من الأسرى المسلمين، ثم بقر أجسامهم وحرق جثتهم.. وقد رد صلاح الدين سـلطان المسـلمين – على ذلك بأن أعتق فقراء النصارى بدون مقابل، بل إنه أمر بعد ذلك بتوزيع تركتـه بـين فقـراء المسـلمين واليهـود والمسيحيين على السواء) (نقلاً عن كتاب "الغرب والعالم" – كـافين رايلـي الجـزء الأول ص١٩٧ – ص٢٠١ عـالم المعرفة).

موقف صلاح الدين مع الأسرى له جذوره في القرآن:

﴿ **ويطْعِمون الطعام على حبهِ مِسكِينًا ويتِيما وأَسِـيرا** ﴾ [الإنسان: ٨] أي أن القرآن يأمرني أن أفضل الأسير علـى نفسي في الطعام، وهو الذي كان بالأمس حريصا على قتلي.

ومن دلائل هذه البربرية أيضا محو الوجود الإسلامي في الأندلس وصقلية، وتعرض المسـلمين لمصـادرة الأمـوال والقتل الجماعي، والإجبار على التنصير والتهجيـر وعـدم استخدام اللغة أو الأسماء أو الملابس العربية، وتحويل جميع المساجد إلى كنائس.

الغريب أنه في الوقت الذي تعرض فيه المسـلمون لهـذه الأهوال في أطراف البلاد الإسلامية، لم تتعـرض الأقليـات المسيحية في دار الإسلام لإجراءات انتقامية مماثلة، اللهم إلا بعض الحالات الفردية والتميز الضريبي والسلوكي..

* **والحق أن المسلمين لم يكونوا الضحية الوحيدة للغرب المسيحي.** فعندما استعمر الأسبان والبرتغاليون والفرنسـيون والإنجليز، شعوب البلدان المذكورة (أفريقيـا والأمـريكتين وغيرها) قضوا على القبائل المحلية التي كانت تعيش حالـة نقاء تامة، وقد بارك كهنة المسيحية تلك المجازر، ووجـدوا

المبرر النظري لوحشية المتحضرين] [1] كما يقول روجيه جارودي المفكر الفرنسي المهتدي للإسلام: "إن ما درجنا على تسميته بـ "التقاء الثقافات"، ويحتفل به البابا جون بول الثاني بزهو، كأنه تبشير بالإنجيل للعالم الجديد هو في عام ١٩٩٢: الاحتفال بمذابح الهنود، وبداية العهد الاستعماري في التاريخ الحديث" [2] أدت خمسة قرون من الاستعمار إلى نهب ثروات ثلاث قارات، وإلى تدمير اقتصادياتها وإلى تكبيلها بالديون [3]. لقد حطم الصليبيون في عصر الكشوفات الجغرافية حضارات بشعوبها مثل حضارة الأنكار والمايا والأزتيك في الأمريكتين، واستخدموا أساليب محاكم التفتيش كقتل الرجال والنساء وإلقاء الأطفال للكلاب والإلقاء في الأحراش. وقطع أطراف الأبرياء ذات مرة لمجرد اختبار

---

(1) "ليوتاكسل" التوراة كتاب مقدس أم جمع من الأساطير. ترجمة د/ حسان ميخائيل إسحاق.

(2) "روجيه جارودي" حفارو القبور – الحضارة التي تحفر للإنسانية قبرها دار الشروق ص٦. ويطلب مراجعة كتاب المفكر الأمريكي "نحو تشومسكي" (٥٠٠ عام الغزو مستمر).

(3) المصدر السابق.

شحذ سيوفهم [1]. وكان هؤلاء الغزاة يحملون معهم الكهنـة الذين يوصون الجنود بالدعوة إلى المسيحية، فإن لـم تـأت بنتيجة مرجوة "فليحتكم إلى السيف" [وصية كابرال أحد قـادة أساطيل البرتغال وقتها] [2].

بالطبع لم يسلم المسلمون من هذه المجازر، فعلى سـبيل المثال.. أحرق "فاسكو دوغاما" (المكتشف) (وهكذا وحسب. هذا ما قيل لنا في مناهج المدارس) أحـرق بقسـوة مركبـا للحجاج يحمل المئات من الرجال والنساء والأطفال، ثم شنق على ظهر سفينته ثمانمائـة بحـار هنـدي وقطـع أيـديهم ورءوسهم ثم دفع جثثهم في مركب حمله التيار إلى الشـاطئ ليراهم ذووهم... ليس هذا فحسب، بل إن قائدا آخر لأساطيل البرتغال وهو "ألبركيرك" دارت في رأسه فكرة أن يسـتولي على رفات النبي ﷺ في المدينة، ليساوم به المسلمين نظيـر

(1) د/ شوقي أبو خليل "التسامح فـي الإسـلام" ص١١٢ نقـلاً عـن "غريفيتـان تـودوروف". فـتح أمريكـا – ص١٤٩، ص١٥١، ص١٥٢.

(2) المصدر السابق ص١٠٣، ص١٠٤ عن "سونياي. هاو" [في طب التوابل] ص٢٠٨.

ترك فلسطين. [هذا ما ذكرته سونيا ى. هاو" في كتابها "في طلب التوابل" ص٢٠٨ – ص٢٢٥. نقلاً عن الكتاب القيم للدكتور شوقي أبو خليل "التسامح في الإسلام ص١٠٣ – ١٠٥.

"أوربا لم تنهض وترتقي بجهدها وعرقها هي، ولا بفضل الاستثناء أو التفرد الأوروبي في العقل والمؤسسات والعبقرية، أي بسبب خصائص العرق الأوروبي المتميز. وإنما أوربا استفادت من الاقتصاد الأطلسي وفي استغلالها المباشر لمستعمراتها الأمريكية وتجارتها في العبيد من أبناء أفريقيا وتسخيرها لهم.. استغلت أوربا ما استخرجته من الفضة مجانًا، والتي سخرت من أجله عمل العبيد مجانًا" [1].

= **ولا يمكن أن نغفل هنا ما صنعه التعصب الصليبي قبل ذلك مع اليهود** وكيف بدأ عام ٥٣٧م بمرسوم "جستنيات"

(1) "صعود الشرق" Reorient للباحث الأمريكي – أندريه جوندر فرانك – وهو عمل وصف بأنه أخطر ما صدر في القرن العشرين، أو كتاب الألفية الثالثة. نقلاً عن مجلة العربي. العدد ٤٩٦ – مارس ٢٠٠٠ – ص١٩٥.

بحرمان اليهود من الحقوق المدنية وحرية العبادة، ثم بإجبار اليهود في أسبانيا على اعتناق المسـيحية عـام ٦١٣م، ثـم تحويلهم إلى عبيد.

بدأت بعد ذلك عمليات الذبح والطرد من أوربـا... مـن فرنسا على يد فيليب أوغسطس، ثم لويس التاسع ثم شـارل السادس عام ١٣٩٤م (وهذا هو الطرد الأخير مـن فرنسـا) كذلك طردوا من إنجلترا (١٢٩٠م) ومـن فيينـا (١٤٢١م)، ومن أسبانيا ١٤٩٢م. كذلك أجبر القيصر نقولا الأول أطفال اليهود على التنصر، ثم طردوا من موسكو عام ١٨٩١.

[نقلاً بتصرف عن David Catarivas: Israel, pp. 177 – 178] (١).

ولم يكن ليهود أوربا ملجأ سوى الأندلس الإسلامية (قبـل سقوطها طبعا).

*** = بل إن التعصب الصليبي قد امتد لـذات النصـارى** لكنهم يختلفون في الانتماء الطـائفي. "ففيمـا بـين أواخـر

(1) "الحضارة الإسلامية وجهتها ا والحضـارة الغربيـة مركزهـا الإنسان" – لواء أحمد عبد الوهاب ص٨٨ – ٩٠.

أغسطس ومنتصف سبتمبر عام ١٥٧٢ وهو تاريخ معركـة واحدة من معارك الحروب الدينية، قام التعصب الكـاثوليكي بذبح خمسين ألف بروتستانتي فرنسي، وقـد احتفـل البابـا جريجوار الثالث بهذه المناسبة، وأمر بإشعال الأنوار ابتهاجا، بالمذبحة وضحاياها، كما قام بصك ميدالية تذكارية احتفـالاً وتخليدا لهذه المناسبة/ المجزرة!! وفي شهر أكتـوبر عـام ١٦٨٥ تم اجتياح الكنائس البروتستانتينية وطرد ثلاثمائة ألف من صفوة شخصيات فرنسا، وإن هرب البعض مـنهم إلـى سويسرا، بينما لاقى البعض الآخر مصيره المحتوم – أما في تلك الفترة التاريخية المعروفة باسم "عصر العـرب" والتـي امتدت من الخامس من شهر سبتمبر عـام ١٧٩٣ إلـى ٢٧ يوليو ١٧٩٤، فقد تم خلالها فصل أكثر من ألف وخمسـمائة رأس بالمقصلة! أما محاكم التفتيش في أسبانيا، فقد امتدت من القرن العاشر حتى عام ١٨٠٨، حينما قام نابليون بإلغائهـا، ولقد أبادت عشرات الآلاف بتمزيق أوصـالهم أو بحـرقهم أحياء، أو بإعدامهم تحت زعم أنهـم ملحـدون أو مشـنقون أو سحرة!! وفي عام ١٨١٣ عندما أعلن المحامي "كورتيس"

أن محاكم التفتيش كانت غير دستورية، اعترض الفاتيكـان بشدة على ذلك [1].

ولعل الذاكرة الأوروبية المسيحية لا تنسى أبـدا حـرب الثلاثين عاما من ١٦١٨م إلى ١٦٤٨م "التي بـدأت نتيجـة لتعصب ملك كاثوليكي – فردينانـد الثـاني – كـان يكـره البروتستانت وأراد استئصالهم من مملكته.

ولقد بدأت الشرارة في بوهيميا ثم ما لبث أن امتدت إلـى أغلب دول أوربا، فشملت الإمبراطورية الألمانيـة وفرنسـا وإنجلترا وهولندا والسويد والـدنمارك ودويـلات البلطيـق وغيرها. لقد استمرت هذه الحرب بل الحـروب ٣٠ عامـا أكلت الأخضر واليابس [2].

بعد ذلك بقليل بدأت **الحقبة الاستعمارية** – منـذ أوائـل القرن التاسع عشر – ولا أدل على جرائم تلك الحقبـة ممـا فعل في الهند. يذكر المفكر الفرنسي روجيه جـارودي فـي

---

(1) د/ زينب عبد العزيز – "محاصرة وإبادة" ص٦٠.

(2) لواء أحد عبد الوهاب "الحضارة الإسلامية وجهتها ا والحضارة الغربية مركزها الإنسان" ص٧٤، ٧٥.

كتابه "حفارو القبور" أن الاستبداد الإنجليزي قـد أدى إلـى مجاعة ووفاة مليون شخص فيما بين عـام ١٨٠٠ و١٨٢٠، ووفاة ٥ ملايين شخص فيما بـين عـامي ١٨٥٠ و١٨٧٥، ووفاة ١٥ مليون شخص فيما بين عـامي ١٨٧٥ و١٩٠٠". (ص٥) أي ٢١ مليونًا خلال قرن من الزمان!!

كذلك لا يزال عالقًا بأذهاننا مذابح المحتلين الإيطاليين في ليبيا في أوائل القرن العشرين التي سبقها مذابح الفرنسـيين للجزائريين، الذي تحول مسجدهم الكبير في عاصمتهم إلـى كاتدرائية بعد ذبح ٤٠٠٠ مسلما فيه، ثم صار في الجزائـر ٣٢٧ كنيسة، و٤٥ معبدا لليهود، إلى جانب ١٦٦ مسجدا فقط للمسلمين أهل البلاد.

* = التطرف الصليبي لم يقف عند هذا التاريخ سواء فيما بين النصارى، أو فيما فعلوه بالشعوب البدائية وقتذاك. بل لقد امتد للدول المسيحية العظمى في القرن التاسع عشر؛ حيـث ظهرت الحقبة الاستعمارية الثانيـة (بعـد اسـتعمار العـالم الجديد)؛ وحيث بدأ ظهور الولايات المتحدة الأمريكية وتأكيد مبدأ "البراجماتية".

- **الغاية تبرر الوسيلة؛** إذ في عام ١٨١٨ حيا الـرئيس "جون آدمز" المفعول الناجح للإرهاب في التعامل مع جحافل الهنود والزنوج عديمي الولاء. كتب ذلك ليبرر هياج الرئيس "آندرو جاكسون" في فلوريدا والذي أباد السكان [١]. لم يقـف الأمر بالطبع عند الهنود الحمر. بل لقد سعى الغرب الصليبي بعد فترة الاستعمار إلى إقامة دكتاتورية حاكمـة للشـعوب الأخرى يسهل السيطرة عليها. يقول "جورج كينان" – رأس مخططي وزارة الخارجية الأمريكية حتى عام ١٩٥٠م مـن الأفضل وجود نظام قوي في السـلطة (فـي الـدول غيـر الغربية) عن وجود حكومة ليبرالية متسامحة متراخية.."[٢].

العجيب أن هذا الفكر يعود إلى الصليبي الأكبـر "لـويس التاسع" أو كما يسمونه القديس لويس – ملك فرنسـا، وقائـد الحملة الصليبية الشهيرة – إذ دعي إلى عدم تمكـين الـبلاد الإسلامية والعربية أن يقوم فيها حكم صالح، ودعا إلى إفساد أنظمة الحكم في البلاد الإسلامية بالرشوة والفساد والنساء.

---

(1) نعوم تشومسكي. "ماذا يريد العم سام" ص٢٨.

(2) المصدر السابق ص١٤.

ثم سار مفكرو وحكام الغرب على هذا النهج، من دلائـل ذلك أيضا قول المستشرق "و. ك سميث" [وهو أيضا خبيـر أمريكي في شئون باكستان: "إذا أعطى المسلمون الحرية في العالم الإسلامي، وعاشوا في ظل أنظمة ديمقراطيـة، فـإن الإسلام ينتصر في هذه البلاد... وبالـديكتاتوريات وحـدها يمكن الحيلولة بين الشعوب الإسلامية ودينها". كمـا نصـح رئيس مجلة تايم الأمريكية في كتابه "سفر آسـيا" الحكومـة الأمريكية أن تنشئ في البلاد الإسلامية ديكتاتوريات عسكرية للحيلولـة دون عـودة الإسـلام للسـيطرة علـى الأمـة الإسلامية][1]. وقد سار واضعو سياسات الغرب علـى هـذا النهج تقودهم الولايات المتحدة. التـي أسـقطت الحكومـات الليبرالية "الديمقراطية" [عام ١٩٥٣ في إيران وعـام ١٩٥٤ في جواتيمالا وعامي ١٩٦٣ و١٩٦٥ في الدومنيكان وفـي البرازيل عام ١٩٦٤ وشيلي عام ١٩٧٣] [2].

---

(1) سعيد حوى. "جند ا ... ثقافة وأخلاقًا" ص٢٠.

(2) "ماذا يريد العم سام" ص٢١.

ولم تبال الولايات المتحدة بالنتائج؛ إذ "فـي عـام ١٩٥٤ هندست المخابرات الأمريكية انقلابا حول جواتيمالا إلى جهنم أرضية".. كما يقول عالم اللغويات الأمريكي الأشهر "نعـوم تشومسكي" عندما دخلت قواتنا كوريا عـام ١٩٤٥، عزلـت حكومة ذات شعبية معادية للفاشية قاومت الاحتلال اليابـاني، وأشعلنا حربا ضروسا، واستعنا بعناصر من الشرطة اليابانية الفاشية والكوريين المتعاونيين معهم خلال فتـرة الاحـتلال الياباني لكوريا. سقط في كوريا الجنوبية مائة ألـف قتيـل، وذلك قبل نشوء ما أسميناه الحرب الكورية... وفـي إقلـيم واحد صغير "جزيرة شيجو" سقط ٣٠٠٠٠ – ٤٠٠٠٠ قتيل في أثناء ثورة الفلاحين" [١] أما في فيتنام فلا ينسـى العـالم الإجرام الأمريكي الذي وصل بهم إلى إلقاء ٤٤ مليون برميل مواد كيماوية لحرق الغابات.

التعصب الصليبي في الحقبة الحالية:

امتدادا للعصور السابقة من التعصب الصليبي على مـر التاريخ، لم يفلح التقدم الحضاري المادي الذي وصـل إليـه

---

(1) "ماذا يريد العم سام" ص١٨.

الغرب في تهذيب تعصبهم ضد الإسلام. بالرغم من أنه لـم يعد يدري من دينه إلا اسمه بعد الانحلال الخلقي الذي وصل للحضيض بالسماح بالزواج من الجنس الواحـد (أي ذكـر يتزوج ذكرا والأنثى كذلك) بل والضغط على حكومات الأمم الأخرى لقبول ذلك.

أقصى درجات رقة القلب وصل إليها الغرب هي الرفـق بالحيوان والعطف عليه، من ذلك ما ذكرته بعض صحفهم – في ذروة محنة البوسنة والهرسك – من قضية رفعها مواطن إنجليزي ضد سيدة عضه كلبها في حديقة عامة إثـر إجبـار ذلك الشاب الكلب على شم خام الصمغ النّفاذ، فحكم القاضي لصالح الكلب، وقال إن من حق الكلب الدفاع عـن نفسـه! المعروف أن الأمم المتحدة رفضت السماح لأهـل البوسـنة المسلمين باقتناء السلاح للدفاع عن أنفسهم ضـد البربريـة الصليبية، وتحججت بمنع دخول السلاح لكل الأطراف وهي تعلم تماما أن الصرب ورثوا سـلاح الجـيش اليوغسـلافي ولا يحتاجون لغيره. أي صار في عرف الغرب أنه من حق الكلاب الدفاع عن نفسها ولو ضد الإنسان أما المسلم فلا.

* من أهم فصول التعصب الصليبي في العصر الحـالي زرع الكيان الإسرائيلي في قلب بلاد العرب وحول مقدسـهم فـي فلسـطين. والتعهـد بدعمـه بالسـلاح والتكنولوجيـا والدبلوماسية والمال مهما كانت تجاوزاته ضد العرب.

* من ذلك أيضا مساندة الدكتاتوريات الحاكمة في بـلاد الإسلام كما أسلفنا، ومساندة أي انقلاب ضد الرغبات الشعبية الإسلامية في إقامة حكم ديمقراطي إسلامي مثل الجزائر التي سرقوا فيها أصوات الناخبين، وسلموا الحكم لغيرهم، وتسببوا في حمامات دم تنقطع حتى الآن.

* ومن ذلك الضغط على الحكومات التركيـة المتتابعـة لتلجيم الإسلاميين، فظلت تمني الأتـراك بـدخول السـوق الأوروبية المشترك ثم وريثه "الاتحاد الأوروبي" ظلت تمنيهم أكثر من عشرين عاما، أما المنافس التقليدي للأتراك وهـي اليونان، فقد قبلت عضويتها منذ تسعة عشر عاما، والعجيب أن الحكومات التركية العلمانية قد وافقت على قوانين تمنـع المحجبات من الدراسة والعمل والبرلمان (كالنائبـة "مـروة كاوقجي") وحل أي حزب إسلامي (بالرغم مـن اكتسـاحه للانتخابات) بل وأخيرا الموافقة على قانون بطرد مائة ألـف

موظف لهم ميول إسلامية بناء على توصية من صندوق النقد الدولي. كما وافقت الحكومة التركية على إلغاء عقوبة الإعدام وإعطاء بعض الحقوق للأكراد والاهتمام بحقـوق الإنسـان، وسيادة القانون مع الجميع فيما عدا التيار الإسلامي!!

كما حاربت المعاهد الدينيـة... كـل ذلـك لـم يـرض الأوروبيين فأعلن الاتحاد الأوروبي (هكذا على بلاطة) أنـه مصر على الالتزام بالقيم والقوانين الأوروبية فقط!!! افتقـد الاتحاد الأوروبي الشجاعة أن يصف هذه القـيم الأوروبيـة بأنها مسيحية..

* هناك عدة محطات في مسألة التجاوزات الغربية الحالية يجب التوقف عندها...

* في البوسنة والهرسك: بعد تفكك الاتحاد اليوغسـلافي صارت كل قومية من ذلك الاتحاد المنهار؛ تسعى للاستقلال عن طريق الاقتراع. فعل ذلك الصرب والكروات والسلوفين، وصدق المسلمون الأغلبية في البوسنة أنهم لهم حقهـم مثـل هؤلاء، فاقترعوا ونجحوا في إعلان الاسـتقلال بعـد فـوز تيارهم في الاقتراع، ولكن هيهات، انقلب الوحش الصـربي عليهم لكسر تلك الإرادة بقيادة المجرم "ميلوسوفيتش" فصـنع

دمارا لم يحدث في أوربا منذ الحرب العالمية الثانية. وتآمرت الأمم المتحدة بقيادة الثلاثي: بطرس غالي وسيروس فانس وديفيد أوين، ذلك بأن تلكأت في إرسال قوات فاصلة بين الأطراف لمدة ثلاث سنوات حتى يتم المجرمون جريمتهم. مع أن الأمم المتحدة أسرعت من قبل حين دبت الحرب بين الصرب والكروات بإرسال أربعين ألف جندي للفصل بين الطرفين (المسيحيين طبعا) وحين أوشك مجلس الأمن على إرسال قوات للبوسنة غضب بطرس غالي وقال: لقد تدخلتم في اختصاصي (لأنه كان الأمين العام للأمم المتحدة آنذاك) كما أن الأمم المتحدة (علينا فيما يبدو!) أجرمت كذلك بإصدار قرار بمنع وصول السلاح لكلا الطرفين وهي تعلم أن الصرب ليسوا في حاجة للسلاح؛ إذ ورثوا الجيش اليوغسلافي الضخم.

وقد كان المجرم "سلوبودان ميلوسوفيتش" صريحا حين أعلن في التليفزيون الصربي عقب بداية الحرب وإدانة الغرب له حين قال: لقد عهدت إلينا أوربا بالمهمة القذرة!! أوربا تنافق حين تديننا لأنها راضية عما نفعل.

لقد كانت حصيلة الاجتياح الصربي فـي البوسـنة: ٢٥٠ ألف قتيل (مئتان وخمسون ألفًا و٢ مليون مشَرد (مليونـان). [هذان الرقمان مصدرهما الرئيس الأمريكي السابق كلينتـون في محطة CNN عقب أول يوم ضرب فيه الصرب من حلف "ناتو" في كوسوفا] أما ما لم يذكره كلينتون فهو عدد النسـاء المغتصبات من المسلمين... إنـه خمسـون ألـف مسـلمة أعمارهن من السادسة حتى الستين!!

أين كان العالم؟ وأين كان الفاتيكان رأس دين المحبة؟

لقد ناشد البابا يوحنا بولس الثاني بابـا الفاتيكـان وقتهـا المسئولين السياسيين في العالم بأن "يسمعوا لصوت المسـيح في السهر على مصير الشعوب.. اسـمعوا صـوت الحـب الحنون القوي يا من تشهرون أسلحة العنف والقتال"!! جريدة ليموند ٢٧، ٢٨/ ١٢/ ١٩٩٢م حقًا إنه كلام مـؤثر يحطـم نياط القلوب!

هكذا تواجه المذابح ضد الأبرياء!... لماذا لم يذهب البابا هناك مثلما فعل عام ١٩٧٩م حين زار أيرلنـدا للحـد مـن

الصراع الدائر هناك؟ لِم لم يذهب بعد ذلك لمشاهدة المقـابر الجماعية للمسلمين التي لا زلنا نكتشفها حتى الآن؟

مذبحة "سبرنيتسا" وحدها – في البوسنة – راح ضـحيتها عشرة آلاف مسلم، خدعوا حين سلموا سلاحهم للأمم المتحدة ودخلوا حمايتها ضمن عدة جيوب آمنة، وقد اعترفت الأمـم المتحدة أخيرا (نوفمبر ٢٠٠٠) بمسئوليتها الثقيلة عـن تلـك المذبحة التي تمت في يوليو ١٩٩٥م.

جاء في التقرير كذلك أن مسئولي الأمم المتحدة وجنرالات القوى الدولية، رفضوا الإقرار بـأن هنـاك خطـرا علـى المسلمين من القوات الصربية التي تحاصر البلدة ولم يقدموا مساعدة جوية للقوة الهولندية المتمركزة فيها، والتي لم تبـذل أصلاً أي جهد لحماية السكان، وأن الولايات المتحدة تكتمـت على ما لديها من معلومات (صور أقمار صـناعية) تؤكـد استعداد الصرب لضرب البلدة. قال كذلك الأمـين الحـالي "كوفي عنان": "بينما كان واضحا" أن الصرب يعدون لاقتحام البلدة، أعلنا أنه لا توجد لدى الصـرب أي نيـة للهجـوم، وعندما أطلق الصرب النار على القوة الهولنديـة لإرهابهـا زعمنا أن البوسنيين هم الذين أطلقوا النار، وعندما اقتحمـوا

البلادة بالفعل رفضنا استدعاء المساندة الجوية" (مقال أ/ أحمد بهجت الأهرام ١٦/ ٤/ ٢٠٠٠).

لم يكن هذا هو الاعتراف الوحيد من الغرب.. فقد ذكـر الكاتب النمساوي "فالترجوند" لجريدة الأهرام المصرية (١٣/ ٦/ ٢٠٠٠) أن ما جرى في البوسنة أسقط أقنعـة الغـرب؛ إذ إنه بعد سقوط الاتحاد السوفيتي وجد الغرب العدو البـديل في الإسلام. مثل ذلك نجده فـي كـلام الكاتبـة الأمريكيـة "سوزان سونتاج" والكاتـب الأسـباني المنصـف "خـوان غويتيسولو" الذي ذهب للبوسنة والشيشان والجزائر وغـزة وكتب عن معاناة المسلمين في كتاب سماه "دفـاتر العنـف المقدس".

* أين كان رجال الدين المسيحي الأرثوذكس وأبناء ملِتهم يعيثون فسادا؟

لقد عقد رئيس أساقفة الكنيسة الأرثوذكسية الهيلينية فـي أثينا قداسا كبيرا لتعضيد الحرب وشاركت في هـذا القـداس

جميع الأحزاب السياسية وقال أحد الخطباء: "يجـب إقامـة قوس فولاذي أرثوذكسي لمواجهة الحياة الإسلامية.." [١].

* وأين كان المواطن الأوروبي المتحضر؟

لقد كان أناس منهم على بعد ١٠٠ كم فقط من تلك المذابح على شواطئ "دلماشيا" اليوغسلافية للاستجمام... بـل لقـد ظهرت حديثًا "سياحة الحرب" هناك لمن أراد أن يشم رائحة البارود وأثر الدمار!! [٢].

*** في كسوفا**: وهي الإقليم المسلم الثاني في يوغسـلافيا بعد البوسنة والهرسك، وكان طبيعيا أن يتحول إليها الصرب بعد نجاح عمليتهم في البوسنة، وتكررت المأسـاة بصـورة كربونية من تهجير قسري بالـدواب والشـاحنات ومقـابر جماعية، وأساليب قتل تحتار فيها الشـياطين، منهـا القتـل بتصفية دم الضحية للاستفادة منه، كذلك استئصال الأحشـاء لاستخدامها كقطع غيار بشرية والتعليق على أعمدة الكهرباء

(1) "خوان غويتيسولو". دائرة العنف المقدس – ص٦٠.

(2) المصدر السابق ص٢٧، ص٣٠.

بعد قطع الأطراف للإرهاب، وقتل الأجنة في بطون الأمهات والأطفال في أحضان الآباء. وغير هذا كثير [1].

* **في الشيشان**: كانت المحطة التالية لقطـار البربريـة الأوروبية المسيحية ضد المسلمين في أوربا هي الشيشـان، وهي جمهورية صغيرة كانت تتبع الاتحاد السوفيتي، وبعـد تفككه أرادت الاستقلال التام مثل سائر الجمهوريات، إلا أنها لم تحظ إلا بحكم ذاتي كـاف لانتخـاب حكومـة ورئـيس جمهورية معترف به من روسيا نفسها، وقد انتهـت حـرب استقلالها الأولى عام ١٩٩٦م باستشهاد "جـوهر دوداييـف" رئيس الجمهورية وزعيمها آنذاك، إلا أن المجاهدين هنـاك بقيادة "شامل باساييف" تمكنوا مـن إجبـار الـروس علـى الاعتراف بجمهوريتهم التي رأسها "أصلان مسـخدوف" ثـم أراد الشيشانيون تطبيق الشريعة الإسـلامية... كمـا أنهـم نشطوا في دعوة غير المسلمين للإسـلام، وكانـت النتيجـة مبهرة... فما كان من الروس إلا أن اجتـاحوا الجمهوريـة

---

(1) بكر إسماعيل "ممثل المشيخة الإسلامية لألبانيا ومقدونيا"... "أطفال كوسوفا بين مآسي وآمال المستقبل".

بمنتهى القسوة، وصار طبيعيا أن ترى البنايات، وقد تحولت إلى كومة من التراب، ويتم القبض على الشعب دون تفرقـة بين شيخ أو امرأة أو شاب أو طفل أو حتى رضيع، تقطـع أوصالهم أحياء بعد اغتصابهم ذكورا وإناثًا، وإلقاء الأهـالي في الآبار ثم تفجيرها... وقد يصل الإجـرام إلـى إجبـار الرجلال على ممارسة اللواط مع بعضهم البعض.

لقد كانت حصيلة الضحايا منذ الحرب الأولـى ١٩٩٤ – ١٩٩٦م نصف مليون شهيدا عدا اغتصاب آلاف النساء، هذه المعلومات مستقاة من الشيشانيين الفارين من المذابح؛ إذ تمنع روسيا دخول الصحافة أو اللجان الدولية وسط صمت دولـي مريب، وتخاذل من حكام المسلمين وصل إلى استقبال كبـار المسئولين الروس في بلادنا، وبحث تقوية العلاقات ولا ذكر لمذابح أخوة الدين. لم يعرف العالم تفاصيل المجازر حتـى عرض تلفزيون ألمانيا شريطًا يبين بعض تفاصيل ذلك.

إلا أننا نسمع يوميا كيف يلقن المجاهـدون هنـاك أكبـر جيوش العالم دروسا في الرجولة وفن الحرب، كمـا حكـى كثيرا عن آيات ا   في تثبيتهم كارتداد الأسلحة الروسية إلى

صدور المجرمين قبل أن تصيب الأبريـاء، وإن ا علـى نصرهم لقدير.

*** في العراق:** ما كانت البربرية الغربية لتكتفي بتصـفية الجيوب الإسلامية في أوربا، دون الالتفـات إلينـا فـي دار الإسلام.

وقد ذكرنا من قبل العقيدة الصليبية القديمة فـي السـعي لإقامة ومساندة حكاما طغاة علينا من أنفسنا، وهم يقـرءون تلك الحكام ويحللونهم سيكولوجيا، ويعرفون كيف يوجهونهم عن بعد.

وقد كان حاكم العراق الحالي "صدام" نموذجا فريدا، فقـد وصلت به الدموية (عدا التسبب في قتل مليونًا من المسلمين في حربه مع إيران، وقد أججت نارها أمريكا وأذيالهـا فـي المنطقة) إلى قتل أخيه وأحد أبنائه وزوجي ابنتيه.

اهتبلت السفيرة الأمريكية عنده "ابريل جلاسـي" فرصـة خلاف حاد بينه وبين الكويت فأعطته ضوءا أخضرا لاجتياح الأخيرة؛ إذ قالت هذه مسألة عربية، وحين فعل وقع في الفخ وصرخت أمريكا حينئذ، وجمعت على جيش العراق جيـوش العالم. [هذا ما ذكره الصحفيان الفرنسيان "بيـار سـالينجر"

و"إريك لوران" في كتابيهما "حرب الخليج" الـذي وزع فـي فرنسا وحدها مليون نسخة. ص٥١] وقد تسببت الحـرب – عدا ألوف الضحايا – في تدمير شبه كامل للبنيـة الأساسـية والصناعية العراقية، ٩٢% من محطات توليـد الكهربـاء، ٨٠% من طاقة المصافي، تدمير أكثر مـن مائـة جسـر، المجمعات البتروكيماوية، مراكز الاتصالات، الطرق البرية، خطوط السكك الحديدية، مئات القطارات، محطات الإذاعـة والتليفزيون، مصانع الأسـمنت والألومنيـوم والمنسـوجات والتجيهزات الطبية" هذا ما أعلنـه "إريـك رولـو" السـفير الفرنسي السابق في تركيا وتونس – نقلاً عن "جيف سيمونز" [التنكيل بالعراق – مركز دراسات الوحدة العربيـة] ص٢١. الذي أضاف أن تقدير صندوق النقد العربي خسائر العـراق بزهاء ١٩٠ (مائة وتسعون) مليار دولار، ولعـل هـذا مـا قصده الأمريكان قبل الضربة الجوية محذرين أنهم سيردون العراق إلى القرن الثامن عشر... لقد تعرض العراق أثنـاء الحرب إلى ما يعادل قنبلة ذرية واحدة كل أسبوع، أي إلـى نطاق من الدمار ليس له مثيل في تاريخ الحروب (المصـدر السابق ص٣١) ويشير أحد التخمينـات إلـى أن الـدبابات

الأمريكية أطلقت ما بين خمسـة آلاف وسـتة آلاف قذيفـة يورانيوم ناضب (المصدر السابق) – لم يعقل أحد وقتها على استخدامه، لكن حينما اكتشف استخدامه ضد الصـرب فـي كوسوفا هاج العالم – تدمير ٢,٥ روضـة أطفـال و١٧٦٧ مدرسة ابتدائية (ص١٥٩ المصدر السابق)، استعمال النابالم لحرق الجنود العراقيين في الخنادق، زادت الطلقات الجويـة عن ١٠٠,٠٠٠ طلقة، استخدام القنابـل العنقوديـة – التـي تنفجر إلى ألفي شظية تمزق الأوصـال – ضـد السـيارات المدنية (المصدر السابق ص٣٢، ٣٣).

وقد ذكر مراسل مجلة نيوزيوك كيف هـوجم العراقيـون المنسحبون وأسراهم الكويتيون بالقنابل العنقودية وذكر كيف ضرب رتلاً منسحبا طوله أكثر من ميل يتكون مـن ألفـي عجلة وطارت الأطراف ولم يبق من الوجـوه إلا الأسـنان، لذلك منع الصحفيون وغيرهم من دخول ميادين القتل؛ حيث علم أن الجيش الأمريكي حفر قبورا جماعية لـدفن المـوتى العراقيين. (المصدر السابق ص٣٦) – دفن بعضهم أحيـاء (هذا ما ذكرته "واشنطن بوست" و"ديلي نيوز" وقتها) -. أما داخل المدن فلن ينسى التاريخ للإجـرام الأمريكـي حـرق

أربعمائة عراقي مدني في ملجأ العامرية؛ حيث ضرب الملجأ صاروخ موجه بالليزر محدثًا فتحة في السقف، وانفجر في مستشفى الملجأ، ثم تبعه بعد أربع دقائق صاروخ آخر عبر الفتحة نفسها؛ حيث تبخر الكثيرون بالحرارة (المصدر السابق ص٣٧).

العقوبات: لم تكتف الولايات المتحدة بالمذابح الناتجة عن ضرب العراق، فضغطت على دول العالم لغرض عقوبات قاسية على العراق، كحظر استيراد الأغذية (العراق كان يستورد ٧٠% من غذائه) والأدوية ووسائل تنقية المياه ومواد التصنيع وحرمانه من تصدير نفطه، وقد كان غريبا فرض العقوبات، وقد انسحب العراق من الكويت، وقد أدى ذلك إلى بطالة متغشية وبلغ التضخم ٢٤٠٠٠ بالمائة سنويا، وصار العراقيون يتناولون الحشائش الضارة ويشربون مياها ملوثة، وصار يموت ما لا يقل عن ١٧٠٠٠٠ طفل سنويا لنقص الغذاء والدواء ولبن الأطفال. كذلك بلغ مجموع الحيوانات ٥٠ – ٦٠% من المجموع قبل فرض العقوبات، وتمت عمليات جراحية بلا مخدر، وارتفعت أسعار السلع بشكل مهول: حليب الأطفال ارتفع سعره لأكثر من ثلاثمائة

ضعفًا والسكر ٩٥ ضعفًا والطحين (الدقيق) ٤٠٠٠ ضـعفًا واللحوم ٧٥ ضعفًا وهكذا.

وزاد انتشار الأمراض بعشـرات الأضـعاف، خاصـة الكوليرا ٨٢٥ ضعفًا!! (المصدر السابق مـن ص٦٣ إلـى ص٢٥٧) هذه العقوبات هي القاتل الصامت حتى إنه قيل إن تأثيرها يفوق تأثير اثنا عشرة قنبلة نووية (كما ذكـر أحـد خبراء الأمم المتحدة).

وبعد فليس العراق أول ولا آخر ضحايا العنف الصـليبي الغربي.

فقد تسببت الولايات المتحدة مـا بـين عـامي ١٩٥٠ و١٩٧٣ في قتل زهاء عشرة مليـون صـيني وكـوري، وفيتنامي ولاووس كمبودي. (المصدر السابق ص٢٤٩).

* في أفغانستان: (وأحداث ١١ سبتمبر):

تعرضت الولايات المتحدة الأمريكية في الحادي عشر من سبتمبر عام ٢٠٠١، كما هو معلوم، لهجمات بطائرات مدنية دمرت مركز التجارة العالمي في نيويـورك ومبنـى وزارة الدفاع في واشنطن، في حادث مريب تماما، وقبل أن تتبخـر

أدخنة الدمار سارع الرئيس الأمريكي بوش باتهام المسـلمين وتنظيم "القاعدة" بزعامة ابن لادن المقيم في أفغانستان. مهـد لهذا الاتهام مقال كتب في نفس اليوم (١١/ ٩) فـي موقـع الواشنطن بوست الأمريكية على الإنترنت للصهيوني العتيـد "كسينجر" (الذي طالبت منظمات إنسانية باحتجازه حين زار لندن في شهر مايو ٢٠٠٢ كمجرم حرب لدوره فـي فيتنـام ودعم دكتاتوريات أمريكا اللاتينية ضد شعوبها حـين كـان وزيرا لخارجية بلاده) بعد مقالة كسينجر هذا، بدأ المسئولون الأمريكيون يشيرون إلى ابن لادن وتنظيمه في أفغانستان.

وحين طلب من أمريكا إبراز دليل على ذلك، قالـت أنـه سري! ودعت ابن لادن المشتبه فيه الأول؛ أي أنها فقط شبهة لا دليل دامغ.

على ذلك أقامت الإدارة الأمريكية العالم ودعت إلى مـا أسمته "الحرب على الإرهاب" وهـي تقصـد بـه الإسـلام الأصولي.. وأعلنت تحالفًا عالميا لضربه أولاً – وليس آخرا – في أفغانستان لأنها تأوي ابن لادن المشـتبه فيـه الأول!! وأعلن بوش أنه من ليس معه في هذا التحـالف فهـو مـع الإرهاب! وجمع جيوش عدة دول أوروبية على أفقر دولـة

في العالم، ورغم ذلك ما كان لينتصر على طالبان الحاكمـة في أفغانستان دون خيانة تحالف الشمال هناك. وفتح الجحـيم أبوابه في أفغانستان؛ آلاف صواريخ "تومـا هـوك" وآلاف الطلعات الجوية خاصة من طائرات B52 وغلقاء قنابل يصل كثير منها إلى وزن سبعة أطنان العنقودية الضرب بالقنابـل كان على طريقة السجادة لكثافته Carpet bombing، والدعوة الملحة.. على لسان وزير دفاع أمريكا.. لاستخدام السـلاح النووي، وقد وافق ٥٤% من الشعب الأمريكي في استطلاع للرأي على ذلك.

ولابد أن أمريكا وحلفيتها بريطانيا قد اسـتخدمتا أيضـا الغازات السامة لإخراج من في الكهوف، ولعل هذا ما يفسر المرض الغريب الذي أصاب جنودا بريطانيين عادوا علـى إثره إلى بلادهم.. لقد قال أحد قواد القوات الأمريكية لجنوده هناك: نعم إنها قرية تضم مدنيين وتتألف من أكواخ طينيـة مثل أي شيء آخر في هذا البلد، لكن لا تقولوا ذلك. يجب أن تقولوا إنها منشآت عسكرية، وإذا كانوا يسـتخدمون قافلـة عربات مدنية يجب أن يقولوا أنها كانت قافلة عسكرية (خدمة "واشنطن بوست" لجريدة الأخبار ٢١/ ٢/ ٢٠٠٢) وأعلـن

"رامسفلد" وزير الدفاع أن المقاتلين العـرب فـي صـفوف طالبان (عدة آلاف) يجب أن يقتلوا ثم تنازل وقيل بعضـهم أسرى – رغم رفضه تسميتهم بذلك حتى لا يكون لهم حتـى حقوق الأسرى – ونقلوا إلى "جوانتانامو" فـي "كوبـا" فـي أقفاص كأقفاص الحيوانات، وقد حقنوا بالمخدر، كما وضعت عصابات على أعينهم وسدت آذانهم وأنوفهم (بشبك معـين) وكممت أفواههم وقيـدت أيـديهم وأرجلهـم – أي عطلـت حواسهم – وإذا أراد أسيرا أن يقضي حاجته اُقتيـد كالكلـب يخطو ببطئ، ويفعلها كالطفل في حضور سـجانيه. وحـين احتجت المنظمات الإنسـانية – خاصـة فـي كنـدا – رد "رامسفلد" أنهم ليسوا أسرى، وسوف يقدمون إلـى محـاكم عسكرية سرية (مثل أدلة إدانتهم).

فعلت أمريكا ذلك رغم تحذير الأمم المتحـدة، أن هنـاك ٧,٥ مليون أفغاني في حاجة ماسة للغذاء، وقد طلبت منظمة "الفاو" وقف القصف لهذا الأمر، وقـد تجاهلـت الصـحف الأمريكية الكبرى هذا الخبر إلا "بوسطن جلوب" التي ذكرته ضمن مقال ناهيك عن ضرب مسجد في رمضان وقت صلاة التراويح، وحفل زفاف وطابور سـيارات مدنيـة لزعمـاء

القبائل، ثم ادعاء تمرد فـي سـجن قلعـة ليبـاد ثمانمائـة بالطائرات التي دكت القلعة على رءوسـهم وأيـديهم التـي وجدت مقيدة أي أنهم لم يكونوا في حالة هرب.

في خضم كل ذلك بدأ الأمريكان حملة لجمـع تبرعـات لحديقة حيوان كابل، وشغلت العالم بمأساة الأسـد "مرجـان" ضحية الحرب على الإرهاب.

بعد ذلك غادر بوش واشنطن إلى تكساس للاحتفال بعيـد ميلاد كلب له!! وقد تزامن ذلك مع قانون بريطـاني جديـد لحقوق الكلاب بدءا من حق النبـاح، ويبـدو أن الاهتمـام بالحيوان ذلك من بوش وبلير قد دفع أحد أعضاء البرلمـان النرويجي لترشيحهما لنيل جائزة نوبل للسلام.

هكذا يتم التضليل.. التضليل الذي أنشـأ لـه "رامسـفلد" مركزا مهمته تقديم معلومات كاذبة للإعلام، لإخفاء جرائمـه في أفغانستان وما يلحقها، وقد فُضح هذا الأمر وتنّدر عليـه البعض قائلاً إنه قد قرأ في الصحف إعلانًا يقول: مطلـوب كذابين... وتقدم الطلبات للبنتـاجون! نسـيت أن أذكـر أن معلومات هذا المركز كانت موجهة للدول التي فيها مشـاعر معادية لأمريكا.

* **مما يزيد عدم أخلاقية الحـرب علـى أفغانسـتان أن نعرف دوافعها الحقيقية،** فأمريكـا محكومـة بمـا يسـمى جماعات الضغط أي مجموعات أصحاب المصالح الكبـرى فيها. من أهمهم لوبي صناعة السلاح (NRA) ولوبي صناعة البترول.

= فالأول بالاتفاق مع المخابرات الأمريكية كـان يجنـي أرباحا طائلة من توريد السلاح لأفغانستان، إبان حربها مـع الروس، ثم حرب الفصائل الأفغانية، وإن كان الثمن يدفع من تجارة المخدرات الأفغانية التي استولت على ٦٠% من سوق الهيروين في أمريكا وأوربا مما تسبب في وصـول نسـبة المدمنين في نيويورك وحدها إلى نصف مليـون ("التحـالف الأسود" لـ "ألكسندر كوكبرن" و"فري سانت كليـر") وقـد تسببت طالبان في أمرين:

١- شبه إنهاء حرب الفصائل.

٢- إنهاء زراعة الأفيون – وليس العكس – شاهدي فـي ذلك "ماك ميسون" مفوضية الأمم المتحدة في أفغانستان قبـل الأحداث. وذلك في برنامج تليفزيوني مصري "في العمق" ٤/ ١١/ ٢٠٠١.

هذين الأمرين تسببا في عدم شراء السلاح كالمعتاد.

= والثاني (لوبي صناعة البترول) كان يريد تمرير خـط أنابيب بترول من بحر قزوين من الشركات صاحبة الامتياز الأمريكية عبر أفغانستان، فرفضت طالبان حتى بعد التهديـد الأمريكي. (هذا ما صرح به لويس فارخـان زعـيم أمـة الإسلام الأمريكية) كما ذكره أيضا الكاتب الفرنسي "تيـري ميسان").

= جماعتا الضغط سالفتا الذكر تضررتا من حكم طالبـان فكانت مؤامرة بوش لضربها.

= وحتى لو فرض جدلاً أن أفغانسـتان آوت ابـن لادن، وأنه الفاعل يقينًا وليس مجرد شبهة، فمـا ذنـب الأفغـان؛ إذ عندما يرتكب الجيش الجمهوري الإيرلندي أعداء في لندن لا يقوم البريطان بتدمير بوسـطن، حيـث يوجـد للجـيش الجمهوري الأيرلندي العديـد مـن الأنصـار ولا بتـدمير "بلفاست"، هذا التعليق الأخير من عالم اللغويـات الأمريكـي اليهودي "نعوم شوسكي"، ونضيف من عندنا أنه عندما دمـر "ماكفيه" مبنى أوكلاهوما سيتي عام ١٩٩٧ عوقب وحده ولم تعاقب بقية جماعته ولا الجماعات المشابهة.. ولم يتم التدخل

في المناهج الدينية اللاهوتية، ولم تصادر أموال الجمعيـات الخيرية المسيحية، كما سنذكر بعد ذلك.

= لم تكتف الإدارة الأمريكية في حربها علـى الإرهـاب (أو الإسلام حقيقة) بالضربة العسكرية، بـل امتـدت ثقافيـا فأوعزت إلى لجنة جائزة نوبل في الأدب أن تمنحها لكاتـب سافر في عدائه للإسلام؛ ألا وهو "نايبول"، وقال الـبعض إن منحه هذه الجائزة هذا العام هو المكافئ الثقافي للحرب على الإرهاب، ثم منحتها في العام التالي ليهودي بولنـدي يكتـب دوما عن المظالم التي تعرض لها اليهود!! ولم تكتف في هذا المجال بذلك، بل سعت لما هو أخطر؛ التدخل فـي التعلـيم الديني للمسلمين، فتغلق اليمن معاهـدها الدينيـة وتحصـل باكستان على مائة مليون دولار لأمر كهذا. أمـا الغـرض النهائي من ذلك فهو كما قال الصحفي الأمريكي الصـهيوني الشهير "توماس فريدمان": استنساخ عقل إسلامي يفكر علـى طريقتنا نحن الأمريكان".

- هكذا يتضح أن المستفيد من أحداث ١١ سبتمبر لم يكن لوبي البترول فقط أو لوبي السلاح (الذي كاد يفلس بعد نهاية الحرب الباردة) أو حتـى المـديرين التنفيـذيين الفاسـدين

للشركات الأمريكية العملاقة (خاصة شركات البترول)؛ بوش نفسه كان رئيس إحداها (شركة هاركون) ونائبه "تشيني" كان رئيسا فاسدا لشركة "هاليبرتون".

كل هؤلاء استفادوا خاصة لوبي السلاح؛ إذ تعدت ميزانية تسليح الجيش الأمريكي بعـد الأحـداث ٤٠٠ مليـارا مـن الدولارات، أي ما يعادل إنفاق بقية دول العالم عسكريا، وهذا ما جعل عضوة الكونجرس الشهيرة "سينثيا ماكيني" – نجحت في خمس دورات برلمان – إلى اتهـام بـوش بعلمـه بمـا سيحدث وتركه حتى تستفيد مجموعـة "كارلايـل" لتصـنيع السلاح التي يعمل أبوه مستشارا لها. (نقـلاً عـن: جوليـت ايلبرين)؛ واشنطن بوست – لوس انجلوس تـايمز: خدمـة صحفية لأخبار اليوم (١٣/ ٤/ ٢٠٠٢) ثـم تبعهـا النائـب جيلبرت. بل إن مجلة "النيوزويك" ٢٨/ ٥/ ٢٠٠٢ أفـردت تحقيقًا مطولاً عن مدى علم بوش بالكامل بما حدث.

= من المستفيدين كذلك مما حدث، أكثر ممن ذكرنـاهم، اليمين المسيحي في أمريكا ومعه إسـرائيل (التـي كانـت مخابراتها على علم تام بالعملية)، فقد أطلقت يد إسرائيل في المنطقة، ولم يعد الأمر كالأمس أن تغمض أمريكا عينيها عن

جرائمها، بل إن أمريكا الآن بإدارتهـا اليمينيـة المسـيحية المتطرفة تعمل بنفسها لمستقبل إسرائيل؛ إذ تعللت بما حدث في ١١ سبتمبر لإعادة تشكيل خريطة العالم خاصة الشـرق الأوسط.

فتسعى لضرب العراق فتمزقه لدويلـة شـمالية كرديـة وجنوبية شيعية، ووسطى سنية تلحق بالأردن ليحكما حكما هاشميا، ثم يرحل لتلك الدولـة الفلسـطينيون مـن الأرض المحتلة، بل ربما كان من خططهم تفتيت السعودية ومصـر لتقام إسرائيل من النيل إلى الفرات ثـم يهـدمون المسـجد الأقصى ليبنوا الهيكل، وهكذا يكون الطريق ممهـدا لعـودة المسيح، حسب عقيدة اليمين المسيحي. كما إنها تصبح فرصة للحد من انتشار الإسلام في الغرب وطرد المهـاجرين منـه هكذا تتضح معالم الجريمة الحقيقية في ١١ سبتمبر.

غضت الإدارة الأمريكية الطرف حتى يتسنى للفاعـل أن يفعل، إن لم تكن قد استخدمته دون أن يدري – هـذا رأي "لاروش" مرشح الحزب الـديمقراطي للرئاسـة الأمريكيـة والكاتب الفرنسي "ميسان" والمؤرخ الأمريكي "ميل هوفمان"

وغيرهم – أي استخدمت الفاعـل كـأداة تنفيـذ ليتحمـل المسلمون الوزر وتطلق يد أمريكا فيهم.

وليدفع بعض المواطنين الأمريكيين حياتهم ثمنًا لا بـأس عندهم، خاصة أنه لم يكن فيهم إلا ثلاثـة يهـود تواجـدوا بالصدفة ولم يحضر الباقون لمركز التجارة، فقد حذروا كمـا قالت "جيروساليم بوست" في عدد ١٢/ ٩/ ٢٠٠١.

= أي أن لوبي البترول ولوبي السلاح ولـوبي مـديري الشركات الكبرى الفاسدين ثم قبل هؤلاء اللوبي الصـهيوني بشقيه المسيحي واليهودي، هذه اللوبيات المتداخلـة فعلتهـا ودفع ثمنها المسلمون. ثم عاد بوش يبكي على ضحاياه فـي ١١ سبتمبر.

* من دلائل التعصب الصليبي كذلك عدا العنف على مر التاريخ:

الافتراء على الإسلام ونبي الإسلام ﷺ في الأدبيات فقـد ذكر عالم الإنسانيات الفرنسي "دومنيك بودييه" فـي كتابـه "التاريخ العام للأتراك" عام ١٦٣٢. أنه ﷺ منساق في اختراع الأقاصيص الجديدة، وأنه كانت هناك حمامة مدربة من مكان

ما قرب منكبيه، وتلتقط الحب الذي كان يضعه في فتحة أذنه موهما العرب بذلك أنها كانت تمليه إرادة ا [١].

ومن ينسى مسرحية فولتير "المحتال" التي يقصد بها النبي محمد ﷺ.

بينما كتب الأديب الفرنسي الشهير "بيير برانتوم" في كتاب "حبال نساء مستهترات" عام ١٦١٠م:

"هناك كتاب بالعربية عنوانه "من عادات محمد ﷺ الطيبة" يمتدح قواه الجسدية ويتباهى بأنه كان يمكنه أن يضاجع أحد عشر امرأة تباعا... عليه اللعنة ذلك الحقير" [٢]! بـل عليـه الصلاة والسلام.

بل لقد استمر التعصب للمفكرين المعاصرين مثـل الأدب "جان كلود بارو"... "القرآن أقل بكثير مـن الكتـب الدينيـة الأخرى كالإنجيل أو البجاماجيتا أو حتى الإلياذة [٣]:...كتاب (القرآن) بالي شديد الملل... الإسلام ديـن منقـول ولـيس

---

(1) د/ زينب عبد العزيز "محاصرة وإبادة ص٣٢.

(2) د/ زينب عبد العزيز "محاصرة وإبادة ص٣٢.

(3) د/ زينب عبد العزيز "محاصرة وإبادة ص٣٧.

منزل... محمد ﷺ. ذلك الهارب المهـان... لـم يقـم بـأي إصلاح... الإسلام دين تقليد متحجر يـدفع علـى الخبـث والرياء... الإسلام دين كبير عددا ومساحة فحسب!... يتعين على الإسلام أن يتأقلم ويمتزج بالعصرية أو يختفي [١]!!

ويزيد "آرنست رينان" الأب المستشرق عـام ١٨٦٣م – الشرط الأساسي لكي تنتشر الحضارة الأوروبية هو هدم ذلك الشيء الشديد السامية، أي هدم السلطة الإلهية للإسلام، هنـا تكمن الحرب الخالدة، الحرب التي لـن تتوقـف إلا عنـدما يموت آخر أبناء إسماعيل من الفقر أو أن يتم دفعه رعبا إلى أعماق الصحراء [٢]. هذا غيض من فـيض مـن تعصـب وكراهية تملأ صدور، بل وأفواه ذلك الغرب الصليبي التـي يفوح منها ذلك العفن الفكري.

---

(1) د/ زينب عبد العزيز "محاصرة وإبادة ص٣٨.

(2) د/ زينب عبد العزيز "محاصرة وإبادة ص٣٩. نقلاً عـن كتـاب "حياة يسوع" لذلك المتطرف.

* الافتراء على الإسلام ونبيه ﷺ لم يقـف عنـد القـرن التاسع عشر، بل استمر حتى اليوم خاصة بعد أحـداث ١١ سبتمبر التي أخرجت مخزون الحقد الصليبي ضده.

فهذا وزير الداخلية الألماني يقول: "يتعين على المسـلمين أن يتقبلوا الانتقادات التي توجه إلى الإسلام، مثـل اعتبـار العقيدة الإسلامية هرطقة أو ضلالاً" (الأهرام ٢/ ٣/ ٢٠٠٢) التوحيد وضلال؟! وهذا "جون أشـكروفت" وزيـر العـدل الأمريكي يقول: "إن الرب في الإسلام يطلب من كل أب أن يضحي بابنه من أجله، أما الرب في المسيحية فضحى بابنـه من أجل الناس"..!! تعالى ا عما يقولون علوا كبيـرا، ثـم صرح "برليسكوني" رئيس الوزراء الإيطالي بـأن حضـارة الإسلام حضارة متخلفة، ثم تثنت عليه "مارجريـت تاتشـر" رئيسة الوزراء البريطانية السابقة بفاصل من السباب للإسلام والمسلمين.

لم يكن غريبا إذن أن يصرح قبلها "بوش" بأن حربه على الإرهاب صليبية هذا عن أهل الحكم.. أما عن أهل الفكـر.. إن كان عندهم دين أو فكر، فقد قال أحد كبار رجال الـدين "فرانكلين جراهام" من زعماء المسيحية الصـهيونية ومـن

أقرب المقربين لبوش: إن الإسلام دين خبيث وشـرير جـدا (جريدة صوت الأمة ٢٧/ ١١/ ٢٠٠١) مثل ذلك أكثر قـال "بات روبرتسون" التليفزني الإنجيلي الأشهر؛ إذ وصف النبي ﷺ بأنه "لص وقاطع طريق" وأن الإسـلام "عمليـة احتيـال كبيرة" (النيوزويك ٢٢/ ١٠/ ٢٠٠٢). ثـم حملـة رسـوم الكاريكاتير في الصحف الغربية في السخرية مـن الإسـلام نفسه ودوله خاصة السعودية.

ثم مقال "ريوفن كورت" مدير مجلة إسرائيل من الـداخل (وهو يهودي أمريكي) على الإنترنت.. التي دعي فيها إلـى ضرب أبراج (مآذن) المسجد الحرام نظير برجي التجارة في نيويورك وقال: ".. فلابد من إقناعهم بشكل لا لبس فيه أنهـم لن يجدوا قبلة يتجهون إليها حينما يحنون ظهورهم لعبادة إله الخراب الذي يعبدونه".

مسألة انحناء ظهور المسلمين في صلاتهم هذه التقطتهـا الكاتبة الإيطالية "أوريانا فالاتشي" في كتابها "الغل والكبرياء" فقالت: إن المسلمين يرفعون مؤخرتهم في صـلاتهم وأنهـم معتادون على رفعها دائما، وأنها تود لو تذهب إلـى الكعبـة لتتبول وتتبرز فيها...

وما أظنها ذكرت ذلك إلا لأنها تفعل في بيت عبادتها مـا هو أبعد من ذلك.

لم تنته تلك الحملة عند ذلك. بل فاجأنا القـس الأمريكـي الشهير "جيري فولويل" في محطة ال CBS ببذائة؛ إذ يصف النبي ﷺ بالإرهابي ورجل الحرب والعنف، ثم ثنـى عليـه صنوه الأشهر "بات روبرتسون" بقوله: إن الإسلام دين خداع وأن القرآن قد أخذ من التوراة. (هذان الأخيـران أتباعهمـا بعشرات الملايين).

آخر القساوسة الأمريكيين المشهورين ممن شاركوا فـي حملة الإفك هذه كان "جيري فاينز" الـذي اتهـم النبـي ﷺ باستغلال الأطفال جنسيا!!

ولعل المجال يتسع لذكر بقيـة القائمـة السـوداء مثـل "جوزيف فرح" الذي اتهم النبي ﷺ في "ورلـد نـت دايلـي" بخيانة العهود، ثم الأديب الفرنسي "ميشيل أولبيك" الذي قـال فيما قال إن الإسلام أكثر الأديان غباء!! هذا الأخير حـوكم في فرنسا وخرج منتصرا مؤيدا بالكثير من زملائـه الـذين شاركوه بذاءاته.

* قصور التسامح ونبذ العنف في التاريخ اليهودي:

العنف اليهودي نقصد به العنف المعاصر، لأنهم قبل ذلك كانوا في حال استضعاف، وهو في الواقع اعتـداء للعنـف والتعصب الصليبي؛ إذ تنطلـق الصـهيونية مـن الأفكـار العلمانية الشاملة التي شاعت في الحضارة الغربية في القرن التاسع عشر [١].

أهم هذه الأفكار هو الفكر العنصري العرقي الذي يـرى في نفسه خصائص متفردة.

أبلغ تعبير عن هذه التجاوزات نجده في اعترافات بعـض المفكرين اليهود الجدد الذين يسمون أنفسـهم "الاجتمـاعيين الجدد" الذين أرادوا التجمل قليلاً، فأدانوا تاريخ آبائهم، لكنهم لم يقبلوا برد الحق لصاحبه!! آخر ما كتب في ذلـك كتـاب "Sacred landscape" "المكان المقدس" بقلم نائب رئيس بلدية

---

(1) "موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية" – المجلد السابع ص١١٧

القدس السابق: "ميرون بنفنيستي" [1] الذي يبدأ بتوصية الأمم المتحدة وقرارها بتقسيم فلسطين لدولتين: دولة يهودية علـى ٥٤% من مساحة فلسطين لمن يملكـون ٥% فقـط منهـا! ونصف سكانها عرب، ودولة عربية على مساحة ٤٦% لمن يملكون ٩٥% منها، ولا يوجد بين سكانها يهود!! فقام العرب بالمظاهرات قابلها اليهود بنسف بيـوت العـرب مسـتعينين بجيش قوامه ٦٥,٠٠٠ جندي مدرب خاضوا الحرب العالمية الثانية لم يقف أمامهم سوى ٢٥٠٠ مناضل شعبي انضم إليهم فيما بعد ٥٠٠٠ متطوع سوري ومصري وآخرون... وقـد كانت حرب زعيم اليهود "بن جوريون" عسكرية واقتصـادية ومدنية، يقتل فيها الأطفال والنساء والشيوخ، وتسمم آبارهـا وترمي فيها جراثيم التيفود... فدمروا المجتمع العربـي فـي فلسطين بأهله ومؤسساته وقراه ومدنه وباختصار إزالة كـل آثار المكان الإنسانية والعمرانيـة [2].... يقـول فـي ذلـك الزوجان عالما الآثار "دوثان" أنهما اكتشفا تدمير "تل مـرة"

---

(1) نقلاً عن مجلة "وجهات نظر" عدد نـوفمبر ٢٠٠٠ – اعترافـات المؤرخين الجدد.

(2) المصدر السابق ص٢٤.

الذي يحتوي على آثار لا نظير لها للبالشـتيين (الفلسـطينين القدماء).. والذي سلم من الدمار من هذه الآثار سرقة خاصة على يد "موشى ديان" الذي حصل علـى مجموعـة تكفـي لمتحف صغير [1]... من ذلك الزيـف أيضـا إزالـة كافـة الأسماء العربية والإسلامية من كافة الخرائط واختراع أسماء عبرية لها بإشراف "بن جورين" نفسه [2]؛ حيث لم يكن أكثر من ٥% من الأسماء عبرية رغم الاستيطان اليهودي لمـدة ٣٠ عاما (قبل ١٩٤٨م) تحت المظلة البريطانية...

وقد بدأ التدمير في نهاية الانتداب البريطـاني علـى يـد اللصوص سكان المستعمرات، ثم امتد التدمير، ليزيـل مـن الوجود ٤١٨ قرية عربية من أصل ٥٣١، دمر الثلثان تدميرا كاملاً والثلث الباقي دمر بدرجة أقل وتعيش فيـه عـائلات يهودية [3]... بالطبع هذا التـدمير سـبقه مـذابح للسـكان الفلسطينين.

(1) المصدر السابقص٢٥.

(2) المصدر السابق ص٢٦.

(3) المصدر السابق ص٢٥.

* مذابح قبل إعلان الدولة:

من المذابح التي سبقت إعلان الدولـة اليهوديـة؛ حيـث حدثت ٣٥ مذبحة في الخليل وحده!! منها ما سجل من قبـل ومنها ما لم يعرف إلا عام ١٩٩٩م. مثل مذبحة "الطنطورة"؛ حيث جمع اليهود النساء والأطفال ليشاهدوا الرجال؛ حيـث يقتل ٤٠ تدفنهم المجموعة الثانية وهكذا حتـى بلغـوا مئتـا شهيد. يذكر الكاتب كذلك مذبحة "طيرة حيفا"؛ حيـث قتـل الضحايا بنفس الطريقة السابقة، إلا أن المجرمين هنا أجلسوا الضحايا على كومة قمح ناشف في مسـاء رمضـان، ثـم أضرموا فيهم النيران فصار الضحايا يصرخون ولا يـدرون أين يتجهون في الظلام، وقتها كان الإسرائيليون يضـحكون، هلك في ذلك ٥٥ شهيدا.

أما أشهر المذابح قبل إعلان دولة اليهود والتـي كانـت معروفة من قبل – فهي مذبحة دير ياسين – حيث قتل ٢٦٠ من أصل ٤٠٠ هم كل سكان القرية.. حيث ألقى بـ ٣٥ من الأطفال أحياء وراء سور المدينة القديمـة وتمـت عمليـات تعذيب وبتر أعضاء وذبح حوامل ومراهنة على نوع الأجنة، ثم ألقيت الجثث في بئر القرية.

وقد كتب مجرم دير ياسين الأكبـر "بـيجن" – رئـيس الوزراء فيما بعد، كتب يقول: "إن مذبحة دير ياسين أسهمت مع غيرها من المجازر الأخرى في تفريغ البلاد مـن ٦٥٠ ألف عربي... لولا دير ياسين لما قامت إسرائيل!!" [١] وقـد عبرت الدولة الصهيونية عن امتنانها لأصحاب تلك المجزرة؛ إذ أطلقت أسماء المنظمات التي قامت بالجريمة على شوارع المستوطنة التي قامت على أطلال القرية المنكوبة [٢]. وقـد أقيم احتفال وصدحت الموسيقى وحضر أعضاء الحكومة عند إعادة افتتاح القرية [٣].

ومن تلك المذابح مذبحة "اللد" التي كان بطلهـا موشـى ديان؛ حيث لقي ٢٥٠ عربي ومصرعهم، وقد فصح مراسل الهيرالد تربيون عن هذه المجزرة [٤].

---

(1) د/ عبد الوهاب المسيري. "اليهود واليهودية والصهيونية" المجلـد السابع ص١٣٨.

(2) د/ عبد الوهاب المسيري. "اليهود واليهودية والصهيونية" المجلـد السابع ص١٣٩.

(3) المصدر السابق.

(4) المصدر السابق.

مذابح بعد إعلان الدولة الصهيونية: بعد إعلان الدولـة اشتدت المذابح، فحدثت "مذبحة الدوايمة"؛ حيـث قتـل ٥٠٠ بالرصاص والحرق في المسجد وقتل الأطفال بالضرب على رؤوسهم بالشواكيش [(١)]. كذلك مذابح أخرى أهمهـا مذبحـة "قبية" التي كانت تحت إدارة الأردن، وهي تعد علامة شهيرة في انتهاك إسرائيل للأعراف والقوانين فضلاً عـن حقـوق الإنسان، بطلها كان شارون؛ حيث قتل ٦٩ ونسف ٤١ منزلاً ومسجد [(٢)]. ومن هذه المذابح مذبحة كفر قاسم وغزة.

لم يكتف اليهود بالمذابح للسيطرة على فلسـطين. فبعـد الاستيلاء على الأرض – استخدمت أساليب العقاب الجماعي وفرض حصار أمني وهدم البيوت (١٢٥٩ بيتًا من ١٩٦٧م إلى ١٩٨٠م) وإطلاق النار على المتظاهرين والاعتداء على المثقفين وترحيلهم [(٣)] (لعلنا لا ننسى من استبعدوا من بـرج الزهور) والاعتقال والتعذيب، أما الأهـم فكـان مجموعـة

---

(1) "المكان المقدس" "ميرون". مقالة مجلة "وجهات نظر" ص٢٥.

(2) "اليهود واليهودية والصهيونية" المجلد السابع ص١٥٣.

(3) "اليهود واليهودية والصهيونية" المجلد السابع ص١٥٥.

القوانين الظالمة: فأي مواطن فلسطيني معـرض للاعتقـال وعرضة للتفتيش دون سبب أو إذن وفي مكـان وأي وقـت (خُمس الفلسطينيين تعرضوا للاعتقال).. منها كذلك قـانون الأرض غير المفتلحة الذي يقضي بالاستيلاء على أي أرض لم يفلحها صاحبها ٣ سنوات. وكيف يفلحها وهو مطـرود؟! كذلك تخصص ٣/ ٤ المياه للمستوطنين اليهود بسعر أقل من التكلفة [1].

وبعد فليس هذا كل الإجرام الإسرائيلي.. إذ يذكر التاريخ لهم قتل الأسرى المصريين عامي ٥٦ و٦٧ (حوالي ١٢٧٠ شهيدا منهم ٢٠٠ مدني) وقتلهم لكافة نزلاء مستشـفى خـان يونس وقتلهم الأسرى بالموت حتى الظمأ ودهسهم بالـدبابات وأمرهم بحفر قبورهم (هذا ما ذكرتـه صـحيفة معـاريف الإسرائيلية ٤/ ٨/ ١٩٩٥)... كذلك ضرب مصنع أبي زعبل ومدرسة بحر البقر في مصر ونسفت طائرة مدنيـة ليبيـة. وضرب ١٥ مخيما للاجئين على امتداد نهر الأردن بالنابالم عام ١٩٦٨. ومن ذلك مذبحة صابرا وشـاتيلا (المخيمـين

(1) "المكان المقدس" "ميرون بينيفينستي" المقالة ص٢٥.

الفلسطينيين في بيروت) عقب احتلالها عـام ١٩٨٢ فقتـل ١٥٠٠ شهيد وتعرضت النساء للاغتصاب المتكـرر وبقـر بطون الحوامل وقتل حتى البهائم، وقد اعترفت لجنة كاهانـا الإسرائيلية بمسئولية بيجن رئيس الوزراء آنذاك.

ومن ذلك "مذبحة قانا"؛ حيث قتل ١١٠ لبنانيـا بقصـف الطائرات وقد احتموا في مخبأ للأمم المتحدة عـام ١٩٩٦م. كذلك "مذبحة الحرم الإبراهيمي" في مدينـة الخليـل وفـي رمضان؛ حيث قتل المسلمون وهم يصـلون فـي الجمعـة الأخيرة. عام ١٩٩٤م. فسقط ٦٠ شهيدا عدا المصـابين ثـم قتل ٥٣ خلال يوم لاحتجاجهم على ذلك!! وقد تكرر ذلك عام ٢٠٠٠ في مسجد قرية حسان في رمضان أيضا كمـا قتـل الصهاينة في الانتفاضة الأولـى (١٩٨٧ – ١٩٩١م) ألـف شهيد وجريح ٩٠٠٠٠ واعتقل ١٥٠٠٠ ونسف ١٢٢٨ منزلاً واقتلعت ١٤٠,٠٠٠ شجرة من حقول الفلسطينيين [1]. (عـدا تكسير عظام أطفال الحجارة) أما فـي الانتفاضـة الثانيـة (الحالية) وهي انتفاضة الأقصى عام ١٤٢١هـ/ ٢٠٠٠م.

---

(1) المصدر السابق ص١٦٢.

وهي مستمرة إن شاء ا – حصيلتها خلال شهرين ونصف حوالي أربعمائة شهيد عدا الجرحى؛ حيث ضرب الاحـتلال المدن والمخيمات بالدبابات والصواريخ والطائرات. وضرب المتظاهرون في صدورهم ورءوسهم برصاص محرم دوليا.

= بعد ذلك بقليل تسلم "شارون" راية الإجرام الصـهيوني من "باراك" ليعيد مسيرة المدمرين الإسـرائيليين الأوائـل، وليس التعبير من عندي بل من "ميرون بنفنستي" الصـحفي الإسرائيلي في جريدة "هاآرتس" (الأهرام ٢٥/ ١/ ٢٠٠٢). شارون الذي بدأ إجرامه منذ المشاركة في مذبحة دير ياسين ١٩٤٨ وسفاح "قبيـة" ١٩٥٣ و"قوابيـة" ١٩٥٥ والأسـرى المصريين عام ١٩٥٦ خاصة في ممر تلا. وسفاح "الشوف" اللبنانية، عدا جريمته العظمى في "صبرا وشاتيلا".

وسارع شارون فـي اتبـاع سياسـة العـين الحمـراء للفلسطينيين الذين قابلوها بصدور مفتوحة فقتل مـع رئـيس أركانه "موفاز" ما لا يقل عن ٢٠٠٠ فلسطيني في أقل مـن عام منهم ٥٠٠٠ على الأقل في مذبحة جنين؛ حيـث هـدم المخيم على من فيه بعد مقاومة أسطورية أجبرت موفاز على قيادة عملية جنين بنفسه. وسعت قوات الاحتلال إلـى نقـل

جثث الشهداء إلى أماكن بعيدة (النقب) وإلى جمعهم بالجرافات وإلقائهم في المجاري (الصرف الصحي)، وكانت قد استخدمت معهم الأسلحة المحرمة دوليا مثل المثيليوفوسفات – الذي لا يستبعد أن يكون استخدم في أحداث ١١ سبتمبر – واندهش العالم لهذا الإجرام الذي سبقه في حصار الضفة إجبار الناس على الشرب من مياه المجاري ثم استخدم بعضهم كدروع بشرية. فصرخ "تيري ليرنر" مبعوث الأمم المتحدة: "هذا أول زلزال من صنع البشر". كما صرح مدير وكالة غوث اللاجئين "بيتر هانسن": "ليس من المبالغة أن نسمي هذه مجزرة"، ومثل ذلك قاله وزير خارجية بريطانيا ونظيرته السويدية، إلا "بوش" الذي صرح أن شارون رجل سلام. أما كولين باول فهدد باستمرار العمليات ويدعو الجرائم بحق الدفاع عن النفس، واستمر شارون في سياسة العقاب الجماعي وهدم بيوت أقارب الاستشهاديين والتهجير. نعود إلى مذبحة جنين فنذكر أن العالم حين طالب بإرسال لجنة تحقيق دولية، ماطلت إسرائيل لتخفي معالم الجريمة وحين لم تفلح – على ما يبدو – رفضت في آخر الأمر. ورضخت الأمم المتحدة لهذه الإهانة،

وليذهب دم الأبرياء هدرا ما داموا مسلمين.. ولتذهب جرائم جنين ومن قبلها نابلس، ولتذهب إهانات الناس عند الحواجز التي يموت عندها المرضى والحوامل، وليذهب منع سيارات الإسعاف بل وتحطيمها.. وليـذهب إجبـار الرجـال، بـل والأطفال على خلع ملابسهم، ثم تمزيقهم بمـرور الـدبابات فوقهم، وليذهب ذلك أدراج الرياح [هـذه شـهادة "جيرالـد كوفمان" عضو البرلمان البريطاني – هو يهودي –] شـاهد شريط فيديو بإجبار الأطفال على خلع ملابسهم ثـم مـرور دبابات فوقهم فتمزقهم فوصف شارون بأنه مجـرم حـرب. أعلن ذلك في مجلس العموم البريطاني في إبريل ٢٠٠٢ لـم يثن ذلك وغيره مجرمي الصهاينة عن الاستمرار في الغـي. وليذهب كل ذلك أدراج الرياح.. وليستمر مسلسل قتل زعماء الفلسطينين الشعبيين وليضرب حي سكني (حي الدرك) فـي غزة، والناس نائمون بالطائرات، وليقتـل العشـرات عـدا الجرحى، ومن يرد الاستزادة من تفاصيل تلك الجرائم خاصة نابلس وجنين، ليرجع إلى صحف "الإندبنـدنت" و"الصـنداي تايمز" في أواخر إبريل ٢٠٠٢؛ حيث قالت "ماري كولفيني" في الأخيرة: شارون مجرم حرب للمرة الثانية بعـد صـبرا

وشاتيلا، إن ما حدث في جنين هو بمثابة أول زلـزال مـن صنع الإنسان.. وهذا التعبير تقريبا هو نفس ما قاله أمين عام الصليب الأحمر الدنماركي وتيري ليرنـر مبعـوث كـوفي عنان.." كما قالت "لوموند" الفرنسية: **أرض جنين تحولت إلى مقابر جماعية.**

والحق أن الانتفاضة الحالية محطة مهمة في الصراع مع الصهاينة؛ إذ إنها نبهت من كان غافلاً من المسلمين وخرجت المظاهرات للمسلمين في كل العالم. كما أننا لأول مرة صرنا نرى بعض من تعاطف الغرب خاصة غير المسئولين، مثـل "ماري روبرتسون" مبعوث الأمم المتحدة لفلسطين ورئيسـة أيرلندا السابقة، كذلك الصحفي البريطاني "روبـرت فيسـك" وزملاءه في "الأندبندنت" البريطانية، بـل وعـدة صـحف بريطانية أخرى. حتى إن مجلة التايم الأمريكية في عـددها قبل نهاية عام ٢٠٠٠ اختارت "محمد الدرة" الطفل الفلسطيني الذي قتل في حضن والده أمام أنظار العالم، اختارته شخصية هذا العام... كما رسمت هذا الشهيد "لوموند" الفرنسـية فـي كايكاتير يفضح التوحش الإسرائيلي. ولا ننسى كيف ذهـب ٢٦ رجل دين أمريكي فـي وسـط رمضـان ١٤٢١ هـ ـ

لفلسطين وطالبوا بوقف بيع الطائرات الهليكوبتر الهجومية لإسرائيل، فقد رأوا سيارات الإسعاف وقد ضربت بقذائف صنعت في بلادهم. كما بعث تلاميذ أحد أبرز مدارس لندن برسالة لـ "توني بلير" رئيس الوزراء يعلنون أنهم وأولياء أمورهم يدينون الصهاينة ويطالبون بالتصرف بشكل أخلاقي مع حكومة إسرائيل وأنهم لن يسمحوا بحدوث بوسنة أو كوسوفا أخرى في فلسطين [1].

* = ثم رأينا نخبة من أدباء العالم (البرلمان العالمي للكتاب) يزورون "رام ا " قبل إعادة احتلالها (مارس ٢٠٠٢) وأعلنوا: شارون يشبه هتلر.. إسرائيل نازية.. أسماء كبيرة في عالم الأدب: خوان جويتسولو الأسباني، وول سونيكا النيجيري ساراماجوا وماركيز الذي أعلن عن خجله من ارتباط اسمه بجائزة نوبل، التي حصل عليها بيجن، وطالب بترشيح شارون لجائزة نوبل في القتل. كما أعلن القس ديزموند توتو الجنوب أفريقي الحاصل على

(1) الأهرام ١٣/ ١١/ ٢٠٠٠ الصفحة الأولى.

جائزة نوبل للسلام أنه يطالب بمقاطعة إسـرائيل ومقارنتهـا بنظام الفصل العنصري السابق في بلاده.

كما تكلم "تد ترنر" صاحب CNN الشـهيرة عـن سـطو الاحتلال الإسرائيلي، وإن كان قد اعتذر لليهود عـن ذلـك صباح اليوم التالي خوفًا على مصالحه، بل إن بعـض أهـل الحكم في بلاد الغرب قد حذوا حذوهم..

فقد صرح "إريكس توامي أويا" وزير خارجية فنلندا، في حديث صحفي لمجلة "سوامن كوفاليهتي" بأن شارون مجـرم حرب. (الأهرام ٢٦/ ٩/ ٢٠٠١) كمـا صـرحت نظيرتـه السويدية "آنا لندة" بأن سياسة "بوش" تجاه مـا يحـدث فـي فلسطين فيها رعونة وغباء. ومن ينسى وصف وزيرة العدل الألمانية لبوش بالنازية؟

ومن ينسى تصريح السيدة "شـيري" زوج بليـر رئـيس وزراء بريطانيا، بأنها تتعاطف مع الاستشهاديين (وإن كانت أجبرت على الاعتذار عن ذلك لاحقًا".. بل إن "لورا بـوش" قالت كلاما قريبا من ذلك.

= أما الأغرب فكان موقف بعض اليهود أنفسهم.. فتـذكر "راحيل هرايفين" الصحفية في جريدة "معاريف" أن ما يفعـل

من جنودهم "يدل على مدى البلادة الأخلاقية لدينا" (الأهـرام ٢٥/ ١/ ٢٠٠٢). وطالب "جوليان داري" النائب اليهودي في البرلمان الفرنسي بمقاطعة شارون واتهـم زعمـاء اليهـود بالإرهاب الفكري (الأهرام ٢٨/ ١/ ٢٠٠٢). مـن فرنسـا كذلك أعلن علماءها اليهود اسـتنكارهم لسياسـة إسـرائيل القمعية وأعلن أحدهم أنه يشعر بالعار لأنه يهودي (الأهـرام ٢٠/ ٢/ ٢٠٠٢). وبالفرنسية صدر كتاب من يهودي بولندي "من الوطن القومي اليهودي إلى (قيـام) دولـة إسـرائيل".. تحليل اغتصاب يشرح كيفية اغتصاب اليهود لفلسطين (شرح الأهرام ١٤/ ١٢/ ٢٠٠١)..

= أما الأكثر غرابة فمطالبة ألف من جنـرالات الجـيش الإسرائيلي بالانسحاب من غزة والضفة (الأهـرام ٢٠/ ٢/ ٢٠٠٢) ورفض مائة من ضباط الاحتياط في جيش الاحتلال الخدمة في الضفة وغزة احتجاجا علـى مـا وصـفوه بـ ـ "**سياسة إذلال شعب بأكمله والعمل على تجويعه**" (الأهـرام ٣/ ٢/ ٢٠٠٢).

= لا يمكننا أن نذكر ما ذكرناه عن فائدة الانتفاضة الثانية في إظهار تعاطف جديد من جهات غربية عديدة دون ذكـر

رسالة "يفيد ديوك" رئيس منظمة الحقوق والوحدة الأوروبيـة الأمريكية إلى بوش، وانتقد فيها ذكر الأخير أن سبب هجوم ١١ سبتمبر هو كراهية أمريكا، لأنها تتمتـع بالديمقراطيـة، وقال له إن السبب الحقيقي هو دعم إسرائيل بالسلاح والمال منذ ٥٠ عاما، لتطرد ٧٠٠ ألف فلسطيني من ديارهم وفـي قتل ٤٠ ألف لبناني عام ٨٢، كما انتقد بوش لتبريـره قـول أولبرايت لمحطة CBS من أن قتل نصف مليون طفل عراقي أمر يستحقه العراق.

ومن ينسى ما فعله "جورج مايكل" المغنـي البريطـاني الشهير "اقتل الكلاب" ويظهر في تصـويرها "بليـر" رئـيس وزراء بلاده على شكل كلاب ويجره رجـل علـى صـورة "بوش".

** وبعد فليس ما ذكرناه هو كل العنف والقتـل الـذي يحصل من حضارة الغرب، فعدا ارتفاع نسبة الجريمة نتيجة الترف والخواء الروحي لدرجة ترحيـب بعـض السـلطات الأمريكية لدخول مناطق منها في الإسلام لانعدام الجريمة في هذه الأحياء. هذا ما قاله مثلاً رئيس مخابراتها في ديترويت حين حضر مؤتمرا لحي هناك ضم ١٠٠,٠٠٠ مسلم.

* أقول، عدا هذا – هناك موت آخر عرفناه في الغـرب ألا وهو القتل الديني! أو الانتحار الديني! وهو بالطبع ما لـم يعرفه تاريخ الإسلام... لعل أول ما قرأناه في هذا الباب في العصر الحديث هو مأساة "جونز تاون" في كاليفورنيـا عـام ١٩٧٨م بزعامة "جيم جونز" الذي أقنـع أتباعـه بالانتحـار الجماعي (بما فيهم الأطفال) بتناول سيم السيانان في العصائر فمات ٩١٤ شخصا.

كذلك عرفنا مأساة جماعة "بوابة السماء" فـي تسـعينات القرن العشرين في كاليفورنيا أيضا؛ إذ انتحر ٣٩ بوحي من زعيمهم عالم الكمبيوتر بنفس طريقة جماعة جونز. كما قُتل سبعون من جماعة أخرى عام ١٩٩٣م في واكـو بتكسـاس (أمريكا) من جماعة "دافيد كورش" الذي زعم أنه هو المسيح في اشتباك مع الشرطة. لم يقتصر الأمـر علـى الولايـات المتحدة، بل تعداه للقارة الأوروبية ففي "جرينويـل" بفرنسـا عام ١٩٩٥م انتحر ١٦ من جماعة "معبد سولار" حرقًا، كما نشأت في بريطانيا ١٥٠٠ جماعة على نفس النمط.

هذه الفرق المسيحية الانتحارية – دينيا – لم تقتصر على أوربا والولايات المتحدة، بل وصلت إلى المكسيك (مات ٣٠

من أتباع "رامون مورالز" باستنشـاق الـدخان السـام فـي كنائسهم). بل قرأنا حوادث كتلك في فيتنام (انتحر ٥٣ مـن القرويين في حادث) والهند (جماعة أبناء الرب بالصعود إلى جبل عال والانتحار الجماعي، لعل آخر تلك الحوادث حادث طائفة "إحياء الوصايا العشر للرب" في كينيا راح ضـحيتها ٩٠٠ مع مطلع القرن الجديد، وانتحـروا بـالحرق (غالبـا) وبالشنق وبالسم في عدة كنائس بعد أن أقنعهم زعيمهم ببيـع ممتلكاتهم واصطحاب أطفالهم، في كينيا أيضا ورغـم تلـك الحادثة توجد جماعة "جيش الرب للمقاومة" وجماعة "الروح القدس" تسببوا في مقتل المئات في مواجهات مع الشـرطة، وقد دهنوا أنفسهم بزيت أقنعهم زعيمهم أنه سيمنع الرصاص أن يصيبهم!! كل هذه الجماعـات المسـيحية مـا انتحـرت إلا اعتقادا منهم أنهم بذلك سيلحقون بمملكة الرب!! العجيـب أن هذا الأمر قد وصل إلى اليابان مثل جماعـة "آدم" التـي وضعت غاز السارين المميت في محطات مترو الأنفاق عام ١٩٩٥م فقتلوا ١١ واختنق ٥٥٠٠، كمـا حـدثت حـوادث غيرها مشابهة... هذا بالطبع ما لم يعرفه تاريخ الإسلام.

(نقلاً بتصرف عن مقال "روزاليوسف" ٢١/ ٤/ ٢٠٠٠م) ص٥٦ – ص٧٥.

* = بعد أحداث ١١ سبتمبر ٢٠٠١ صار للكـلام عـن القتل الديني والانتحار الديني معنى آخر، وإني أحيل القارئ هنا إلى كتاب "يد ا " لـ "غريس هالسيل" الكاتبة الأمريكية. ترجمة أ/ محمد السماك. هذا الكتاب كتبتـه صـاحبته وقـد توفيت الآن قبل أحداث ١١ سبتمبر، لكنك تشعر أنها كتبتـه والدخان يتصاعد من برجي التجارة في نيويورك. لقد اتهـم المسلمون بأنهم وراء الحدث، ودفعـوا ولا زالـوا يـدفعون الثمن. مع أن الجاني لم يكن بعيدا خاصة أن أخطـر عمـل إرهابي تعرضت له أمريكا قبل ذلك كان عام ١٩٩٥م فـي انفجار أوكلاهوما على يد متطرف من اليمين المسيحي (الذي يتكلم عنه كتاب "يد ا ") وهو "تيموثي ماكفيه". أخـذ بثـأر جماعة "كوروش" فتسبب في قتل ٣٠٠، واتهـم المسـلمون بطبيعة الحال إلا أنه استوقف من شرطي مرور! وأراد ربك أن تنجلي الحقيقة. لكن "ماكفيه" دفع الثمن وحده ولـم تحـل جماعته ولا الجماعات المماثلة ولم يتم التدخل فـي منـاهج كليات اللاهوت الدينية، كما حدث للمسلمين ظلما بعد ذلك.

في يوم إعدام "ماكفيه" توعد أمريكا بيوم أسود انتقاما لـه لأن جماعته لن تسكت، وهم متغلغلون تماما فـي أمريكـا، ومنهم الضباط السابقين في المخابرات المتعددة هناك، ومنهم كبار العلماء ويشكلون ١٠% من السكان و٢٥% من القـدرة التصويتية، وهم يرون أن النظام العالمي الجديد مقدمة لنظام عالمي إلهي. هذا ما قاله كبيرهم "بات روبرتسون" ولابد لهذا النظام الإلهي العالمي من "وصي على عرشه" نقـول هـذا ولابد أن "بوش" يرى في نفسه هذا الوصي – ومن غيـره – هذا الاعتقاد ليس بجديد فقد اعتقده ملوك فرنسا والبرتغال في القرون الوسطى.

نعود إلى كتاب "يد ا " لماذا تضحي الولايـات المتحـدة بمصالحها من أجل إسرائيل، وسنكتفي بذكر مقتطفات منـه. يقول "فولويل" و"ليندسـاي" (المبشـران الشـهيران): إن ا يريدنا أن نخوض معركـة رهيبـة تضـع حـدا للتـاريخ الإنساني".. كما يقول "جون هاجي" في "الفجـر الأخيـر" إن أمريكا رمز لتايتانيك حديثة.. إننا في سباق نحو الكارثة.

كما يقول فولويل: إن المليارات من البشر سوف يموتون في محرقة هرميجدون.. باع كتاب "هول ليندسـاي" الكـرة

الأرضية المأسوف عليها ٢٥ مليون نسـخة.. تعتبـر كليـة اللاهوت في دالاس مصدر العقيدة التي تقول: إن ا يطلـب منا تدمير الكرة الأرضية... (ص١٣ ص١٤) في مطلع عام ١٩٩٩ اعتقلت الشرطة الإسرائيلية مجموعة مـن القـدريين الأمريكيين من "دنفـر بلكـورادو" لقـد اتهمـتهم الشـرطة الإسرائيلية بالتخطيط للقيام بنهاية دموية بهدف تسريع العودة الثانية للمسيح.

وقيل إنهم خططوا لتدمير الصرح الإسلامي الأكثر قداسة في القدس. (ص٦٤) في عام ١٩٨٢ غزت إسرائيل بدباباتها لبنان المجاورة لها. قاد إبريل شارون الهجوم وكـان "بـات روبرتسون" (الإنجيلي اليميني الشهير) فـي سـيارة جيـب إسرائيلية ترافق قوافل المهاجرين (ص٨٧).. يقول الإنجيلي "تشاك ميسلر" إسرائيل تتجه نحو تبادل نـووي حتمـي. إن أملهم الوحيد بالبقاء هو ضربة نووية أولى مبـررة... كمـا يقول "فولويل": "دينيا عل كل مسيحي أن يـدعم إسـرائيل. إذا فشلنا في حماية إسرائيل لن نبقى مهمين في نظر ا "... ويقول "بول بوير": النبوءات الوشيكة الوقوع تتطلب اقـتلاع

العرب ليس من القدس فقط، إنما من معظم الشرق الأوسط.. لقد وقفوا في طريق الوعود الإلهية لليهود". ص٩٢.

= هل بعد هذا العنف من عنف؟ هل هناك رغبة في دمار وهلاك وظلم أشد من ذلك؟.. هذه الجماعات قتلت العديـدين من الأمريكيين في عيادات الإجهاض وملاهي الشواذ جنسيا، ثم يدافع عنهم كبار قساوستهم مثل "مايكل براي" في كتـاب ساه "حان وقت القتل"!!.. لم يكن هذا كل جرائمهم، فهنـاك العديد من الحوادث الغامضة (أولهـا بـالطبع أحـداث ١١ سبتمبر) لم تشأ الحكومة الأمريكية (أغلبهـا ينتمـي فكريـا لليمين المسيحي المتطرف) لم تشأ أن تفضحهم.. فـإن لـم يلصقوها بمسلمين لم يذكروا الفاعل مثل اصطدام ناقلة نفـط بجسر رئيس في أوكلاهومـا (مركـز التطـرف) وسـقوط عشرات الحافلات بركابها في النهر وكان الدمار بحجم آثار زلزال هذا في ٢٧/ ٥/ ٢٠٠٢ كذلك حادث ولاية "تنيسـي" حين أسقط سائق أتوبيس له بركابه، ولم يذكر السبب ومـن ينسى رسائل الجمرة الخبيثة التي ألصقوها بـابن لادن، ثـم تبين أن الفاعل من إرهاب الداخل (لم يقولوا بالطبع إرهـاب ديني مسيحي) ثم قنابل البريد والتي تبين أنها كسابقتها، كـل

هذه الأحداث الكبيرة كانت لاحقة لـ ـ ١١ سـ ـبتمبر.. أمـ ـا الحدث الأكبر السابق له فهو ما ذكرته النيوزويـ ـك ٢٨/ ٥/ ٢٠٠٢ من أن هناك تقرير في وزارة الدفاع عن محاولة عام ١٩٩٤ لخطف طائرة تجارية وصدمها بالبنتجاون أو البيـ ـت الأبيض، قال التقرير: إن الجناة كانوا إرهابيين متدينين ولـ ـم يحدد دينهم، ولو كانوا مسلمين لذكر كما ذكرت المجلة فـ ـي نفس التحقيق.

= وما يفعله بوش الآن وهو اليميني المتطرف مسـ ـتخدما لمصطلحاتهم مثل الحروب الصليبية والعدالة المطلقة.. مـ ـا يفعله من تولي تنفيذ سياسات التوسع الإسـ ـرائيلية لا مجـ ـرد غض الطرف كسابق عهدهم. ما يفعله هذا ألا يعـ ـد إرهابـ ـا خطيرا حين يعلن العراق قبولـ ـه للمفتشـ ـين الـ ـدوليين دون شروط، وفورا يقول لابد من ضرب العراق رغم ذلك، وذلك لأن من أدبيات جماعته أن ديكتاتورا يملك أسلحة دمار شامل سوف يهاجم إسرائيل وبذلك يؤخر عودة المسيح الثانية (ذُكر ذلك في مقال عن نهاية العالم في جريدة "التايمز" البريطانية في أوائل أكتوبر ٢٠٠٢). **إذن عليه ضرب العراق وتقسيمه ثم تلحق دويلته السنية الوسطى بالأردن، فتحكم "هامشـ ـيا"،**

ثم يطرد إليه فلسطينيو الأرض المحتلة، وتمتد إسرائيل من النيل إلى الفرات بعد ذلك (كما يدعو لذلك الإنجيلي فولويل)، ثم يهدم المسجد الأقصى ويبني الهيكل، ويـأتي بعـد ذلـك حسب زعمه المسيح مرة أخـرى (بعـد تنصـير اليهـود) ويصبح بوش – بالطبع – وصيا بشريا على عرش مملكـة الرب!!!

وليستمر الشعب الأمريكي في حالة رعب مصطنع مـن عدو خفي، وليستمر العالم (خاصة الإسلامي) في دفع ثمـن ذلك الرعب.

هل كان العنف وسيلة لنشر الإسلام؟

بعد ما استعرضناه في هذا الفصل من تسامح للإسلام، ثم قصور ذلك عند من يتهمونه بذلك... هل نستشف مما سبق أن يكون الإسلام قد انتشر بحد السيف كما يقول المستشرقون[1]؟ أم أنها رمتني بدائها وانسلّت؟

لنبدأ أولاً ببحث كيفية انتشار الشرائع الأخرى.. [2].

البوذية: لا شأن لها قبل (آزوكا) الذي نشرها خارج مملكته في وصل سيلان وبورما.

المزدكية: لا شأن لها قبل الملك الفارسي "قباذ" وفرضها جبرا على شعبه.

الزرادشتية: لم تنتشر قبل (دارا) كسرى الفرس الذي نشرها حربا بعد قرن من وفاة زرادشت.

---

(1) أمثال "بروكلمان" و"فردريك موريس" و"ميور" وغيرهم.

(2) مستخلص معظمه من كتاب "التسامح في الإسلام" ص٨٦ إلى ص١٠٢.

الكونفوشية: ما انتشرت تعاليمها إلا لاستخدام صـاحبها لمركزه رئيسا للوزراء في مقاطعة "لو" الصينية.

المسيحية: ما انتشرت هذا الانتشار إلا لعدة عوامل:

أولاً: فرضها على الشعوب بسلطان بعض ملوك أوربا.. أهمهم:

١- الإمبراطور قسطنطين:

أول المتنصرين من أباطرة الروم. وكان وثنيا – قد شُـك في تنصيره – قاسيا.

من المؤكد أنه قتل أحد أبنائه وزوجه [١]، بل إنـه سـمح بممارسة الطقوس الوثنية، بل وشارك فـي بعضـها أحيانًـا خاصة ما يتعلق بإله الشمس [٢]، لذلك جعل يوم الأحد عيـدا أسبوعيا، لم يسمه يوم السيد أو يوم المسيح بل سـماه "يـوم الشمس Sun day! [٣]... وقت تنصـيره المزعـوم كانـت

---

(1) د/ رأفت عبد الحميد "الدولة والكنيسة" الجزء الأول ص١٣٩.

(2) المصدر السابق ص١٣٨.

(3) المصدر السابق ص١٣١.

النصرانية في خضم خلافات حادة، الغلبة فيهـا للموحـدين أتباع "آريوس" (راجع دائرة المعارف البريطانية باب Arius) بينما وجدت قلة تتبع التثليث السائد الآن وغيرهم. فـدعاهم قسطنطين جميعا في مجمع "نيقية" عام ٣٢٥م، ووضع نفوذه وسلطانه مع مؤيدي التثليث، وهدد بقية الفرق إن هم استمروا في خلافهم مع تلك الفرقة وأمـر بـإحراق كتـب آريـوس الموحد، فتقاص أتباعه بعد أن كانوا سائدين في الشرق تماما. (المصدر السابق).

ثم سيد النصرانية على غيرها بسلطان الحكم، الغريب أن هذا الرجل قد خلعت عليه الكنيسة رغم ذلك لقب القداسة.

٢- الملك شارلمان:

فرض شارلمان الملك التاريخي لمملكـة الفرنجـة علـى السكسونيين الوثنيين النصرانية بالسيف (فيشر: تاريخ أوربا في العصور الوسطى) [١] كما قال "ستيفن نيل" في كتابه A History of Christian Missions (ص٧٩، ٨٠ ص١٠٥،

(1) د/ شوقي أبو خليل – التسامح في الإسلام ص٧٠.

ص٩٣ – ٩٥)[١]... امتداد الدائرة المسيحية عـن طريـق غزوات شارلمان ضد السكسون... فقد كانوا خطرا عليـه. ولذلك قرر أن يخضعهم لسلطانه باستخدام مزيج من القـوة المسلحة والعقيدة الدينية... وبمجرد إخضاع إحـدى القبائـل الألمانية، فإن تحولها إلى المسيحية كان ينـدرج فـي بنـود السلام، كثمن يمنح نظير تمتعها بحماية الإمبراطور... وتلقى القصة الطويلة للاستشهاد والمـذابح ضـوءا شـاحبا علـى العمليات التي تم بها أخيرا تحول السكسون إلى المسـيحية، لقد سجل أنه في إحدى المناسبات قتـل شـارلمان ٤٥٠٠ سكسوني في يوم واحد. وتفرض قـوانين الدولـة عقوبـات وحشية ضد أي فرق المجموعة القواعد المسيحية منها إن أي سكسوني غير معمد يحاول أن يختبئ بين شـعبه ويـرفض قبول التعميد مسيحيا، سوف يقتل[٢].

(1) لواء أحمد عبـد الوهـاب "الحضـارة الإسـلامية وجهتهـا ا . والحضارة الغربية مركزها الإنسان" ص٨٣، ص٨٤.

(2) المصدر السابق ص٨٤.

٣- الملك أولاف:

ملك النرويج في القرن العاشر الميلادي. يستطرد "ستيفن نيل" في كتابه سالف الـذكر... "كـل الأسـلحة: المداهنـة، الخداع، والتحريض، وعندما فشل كل ذلـك فإنـه اسـتخدم الإجبار المحصن دون مواربة.. وفي أغلب الحـالات كـان الملك مستعدا عند الضرورة أن يكرههم على ابتلاع عقيدتـه (المسيحية) بحد السيف" [١].

٤- الأمير جيزا:

أمير المجر في القرن العاشر الميلادي. منذ زواجه مـن أميرة بولندية مسيحية... منذ ذلك الوقت فصاعدا، فإن جيزا عقد العزم على تحويل بلاده إلى المسيحية. ولما كان الترغيب لم يأت بنتائج فعالة، فإنه لجأ إلى وسائل أخرى غير مقبولة، ومن ثم تضاعف أعداد المتنصرين بسرعة [٢].

(1) المصدر السابق ص٨٤.

(2) المصدر السابق ص٨٦.

٥- الملك كنوت Cnut:

ملك الدنمارك... ذكر "توماس أرنولد" في كتابه "الـدعوة إلى الإسلام" أنه أخضع الأمم المتحدة على أمرهـا للقـانون المسيحي بعد أن اشتبك مع الممالك المتبررة فـي حـروب طاحنة، مدفوعا بما كان يضطرم في نفسه من الشوق علـى نشر العقيدة [١].

٦- الدوق فلايمير:

دوق مدينة "كييف" في أوكرانيا جارة روسـيا. [٩٨٥ – ١٠١٥م] ويضرب به المثل في الوحشية والشهوانية؛ إذ جاء فوق جثة آخر إخوته، واقتنـى مـن النسـوة ثلاثـة آلاف وخمسمائة (وفي رواية ٣٥٠ فقط). لم يمنع ذلك الكنيسة أن تسجله قديسا، لأنه الذي جعل من مدينة كييف مدينة مسيحية. وقد أمر بتعميد أهل دوقية روسية كلهم مرة واحدة [٢].

---

(1) د/ شوقي أبو خليل – التسامح في الإسلام – ص٧١.

(2) المصدر السابق ص٧١، ص٧٢.

ثانيا: ثاني عامل في انتشار النصرانية...
الكشوف الجغرافية:

على يد مكتشفين منصرين مثل فاسكو دوجاما وكولومبس وغيرهما. وقد ذكرنا من قبل بعضا من قسوتهم وتوحشهم – قبل ذلك – لمحو حضارات زاهرة في العالم الجديد، وتفننوا في تعذيب سكان البلاد بقطع الأنامل وفقء العيون، وصب الزيت المغلي، والرصاص المذاب في جراحهم أو بإحراقهم على مرأى من الأسرى، ليعترفوا بمخابئ الذهب أو ليهتدوا إلى الدين. (جريدة الحياة ٢٣/ ٦/ ١٩٥٤م) [1] أي أنها كشوف جغرافية وفي جوهرها ما هي إلا حركة تبشيرية. لقد أبادت هذه الكشوف ٣٠ مليونًا من السكان الأصليين لأمريكا (الهنود الحمر) [2].

---

(1) المصدر السابق ص٧٤.

(2) المصدر السابق ص١٠٩.

ثالثًا: ثالث عامل انتشرت به النصرانية هو محاكم التفتيش:

وهي لجان أسبانية أنشأت للكشف عن المخالفين للنصرانية خاصة الكاثوليكية، وتعذيبهم حتى يتبعوا عقيدتهم. وقد بدأت من القرن الخامس عشر الميلادي (مع سقوط غرناطة آخر معاقل المسلمين) وعلى يد الملك فرديناند والملكة إيزابيلا. ولم تكتشف فظائعها إلا عندما احتل نابليون أسبانيا واكتشفها جنوده في مخابئ سرية، وكان أكثر من اكتووا بنارها المسلمون؛ إذ إنهم كانوا في نظر الأسبان محتلين سابقين لأرضهم. وكانت السجون رهيبة، عميقة، مظلمة، رطبة، ومن أنواع التعذيب. إملاء البطن بالماء حتى الاختناق، والتعليق (أي لم يخترعه حكام أيامنا هذه) والأسياخ المحماة، وسحق العظام بآلات ضاغطة، تمزيق الأرجل، فسخ الفك، وقرار المحكمة لا يتم إلا حين التنفيذ في ساحة البلدة، وهو إما سجن مؤبد أو مصادرة أموال وتهجير أو إعدام حرقًا وهو الحكم الغالب عند الإجبار الذين يشهدون مع الملكين الكاثوليكيين حفلات الإحراق. لكن العامل (التجاوز) الذي يهمنا هنا هو عامل التنصير. فقد

أُجبر المسلمون هنـاك جميعـا علـى التنصـير وسـموهم (الموريسكيون) ثم اضطهدوا رغم ذاك [١].

اختصارا.. لقد انتشرت النصرانية في جنوب أوربا عـن طريق عنف الإمبراطور قسطنطين ومحاكم التفتيش.

وانتشرت النصرانية في شمال أوربا عن طريـق عنـف الملك شارلمان ونظرائه.

وانتشرت النصرانية فـي العـالم الجديـد (الأمـريكتين واستراليا وما حولها) عـن طريـق الكشـوف الجغرافيـة ومظالمها.

وانتشرت النصرانية في أفريقيا حـديثًا خـلال الحقبـة الاستعمارية بالجبروت والمال في القرنين التاسـع عشـر والعشرين.

* الإسلام لم يحارب أبدا ليكره أحدا على الدخول فيه لأن هناك قاعدة قرآنية: ﴿ **لاَ إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ** ﴾ [البقـرة: ٢٥٦] وقد تحقق ذلك تاريخيا. شاهدنا في ذلك "سيرت. أرنولد" في

(1) المصدر السابق ص٨١.

كتابه "الدعوة إلى الإسلام" (نقـلاً عـن المصـدر السـابق ص٣٤).

حيث قال في ص٥١ "ومن هذه الأمثلة التي قدمناها عـن ذلك التسامح الذي بسطه المسلمون الظافرون على العـرب المسيحيين في القرن الأول من الهجرة واستمر في الأجيـال المتعاقبة، نستطيع أن نستخلص بحق أن هذه القبائل المسيحية التي اعتنقت الإسلام؛ إنما فعلت ذلك عن اختيار وإرادة حرة، وأن العرب المسيحيين الذين يعيشون في وقتنـا هـذا بيـان جماعات مسلمة لشاهد على هذا التسامح".

(العكس تماما حدث مـن المسـيحيين الظـافرين علـى المسلمين في أسبانيا. فبعد سقوط غرناطة أُجبـر المسـلمون على التحول للنصرانية خاصة بعد صدور مرسـوم الملـك شارلكان الذي حدد تاريخًا لنهاية هذه المهمة (١٥١٢م) على أن يعاقب المخالف بضرب الرق عليه مدى الحياة أو يقضي عليه بالإعدام ومصادرة أمواله أو الخروج من أسـبانيا فـي أحسن الأحوال.

كما قضى المرسوم بتحويل كل المسـاجد الباقيـة إلـى كنائس، العجيب أن المسلمين المنصرين اضطهدوا حتى بعد

تحولهم إلى النصرانية. ولم يكن هذا كل ما أجرمه الأسـبان المسيحيون، بل إن الكاردينال "خمنيس دي سيسنيروس" أمر بجمع كل الكتب العربية من كل مملكـة غرناطـة وأضـرم النيران فيها".

(مستخاص من "المسلمون المنصرون" د/ عبد ا محمـد جمال الدين. نقلاً عن المصادر).

وكان هذا ردا غريبا من الأسبان على سماحة الإسلام في بلادهم لدرجة أنهم (كانوا يعقدون مؤتمراتهم الدينيـة إبـان الحكم الإسلامي "كمؤتمر إشبيلية النصراني ٧٨٢م ومـؤتمر قرطبة النصراني ٨٥٢م وتعد ِيبع النصارى التي بنوها أيـام الحكم الإسلامي من الأدلة على احترامهم لمعتقـدات الأمـم التي خضعت لسلطانهم، وقد أسلم الكثيـر مـن النصـارى لا يطعمون في كبير شيء واستعربوا فغدوهم هـم واليهـود مساوين للمسلمين يتقلدون مثلهم مناصـب الدولـة. فكانـت أسبانيا الإسلامية البلد الأوروبي الوحيد الذي تمتع اليهود فيه بحماية الدولة ورعايتها) ("حضارة العرب" جوستاف لوبـون – ترجمة عادل زعيتر ص٢٨٦ – ص٢٧٧).

ولعل الاستثناء الوحيد في التاريخ الإسلامي هو المذبحة التي تعرض لها الأرمن الأتراك عامي ١٩١٤ و١٩٢٤ لخيانتهم للدولة أثناء الحرب العالمية الأولى لحساب روسيا. لكن المدقق يرى أن ذلك حدث إبان الحكم العلماني المتطرف (تركيا الفتاة – النظام الكمالي) الذي عزل الإسلام سياسيا – بل إن الثلاثي الحاكم المسئول عن مذابح الأرمن عام ١٩١٥ كانوا من الملحدين) (بتصرف عن "المسيحيون واليهود في التاريخ الإسلامي العربي والتركي" لفليب فارج ويوسف كرباج" ترجم عن الفرنسية ص٦٥، ص٢٠٢ ص٢٢٩).

* قد يقول قائل هنا هذا عن أخلاق الحروب والفروسية، ولكن لماذا الحرب بداية؟ لماذا ارتبطت نشأة الإسلام بالحروب؟ (إن الحرب في الإسلام ليست هي التي تدبرها رءوس الأموال المجرمة لتربح من وراء الصناعات الجهنمية التي تقتات بالأرواح والأجسام، وليست هي الحرب التي تريد لتضرب بسور فولاذي على الشعوب، دون المعرفة والعلم بالحضارة كي يبقى أبناء البلاد المحتلة عميا بكما صما. وليست هي الحرب التي تخوضها الحضارة الغربية القذرة ضد الإنسانية جريا وراء الربح المادي والاستعباد

العنصري). مستخلص بتصـرف مـن "السـلام العـالمي والإسلام" للأستاذ سيد قطب ص١٨٩ – ص١٩٢.

(إنما الحرب في الإسلام لإزالة الطواغيت التي تحول بين الناس وبين سماع الدعوة، أو تفتنهم عن دينهم حين يختارونه عن اقتناع، كما كانت لإزالة الطواغيت التـي تـدعي حـق الألوهية وتغتصب خصائصها وتتعبد النـاس مـن دون ا) (المصدر السابق ص٣٤).

الإسلام إذًا لا يهتم بالسلام الذي بين الدول فحسـب بـل كذلك بالسلام داخل كل دولة. ولا يسكت على وقوع الظلـم داخل دولة ليشتري السلم معها.

* والأصل دائما أن الإسلام دين محارب فهـو بالتـالي وكرد فعل محارب، فبعد الأمر الإلهي في القرآن: ﴿ **وقَاتِلُوا فِي سبِيلِ ا ِ الَّذِين يقَاتِلُونَكُم ولاَ تَعتَـدوا إِن ا َ لاَ يحِـب الْمعتَدِين** ﴾ [البقرة: ١٩٠] نجد قوله تعـالى: ﴿ **ولاَ يزالُـون يقَاتِلُونَكُم حتى يردوكُم عن دِينِكُم إِن استَطَاعوا...**﴾ [البقرة: ٢١٧] وهذا ما تحقق تاريخيا ونجده حتى اليوم [وقد حارب قبل النبي ﷺ أنبياء مثل موسى كما ذكـرت التـوراة، بـل وعيسى الذي أمر أتباعه – حين شعر بالخطر – أن يشتري

كل منهم سيفًا حتى لو اضطر لبيع ثيابه للحصول على السيف (لوقا ٢٢: ٣٦).

** والإسلام ليس بدين حرب ولا عنف، بل إنه دين سلام ورحمة، ففي الحديث الشريف دخلت امرأة النار في هرة حبستها لا هي أطعمتها ولا هي تركتها تأكل من خشاش الأرض، وفيه كذلك أن الله غفر لبغي سقت كلبا. وفي القرآن: ﴿ **ادفَع بِالَتِي هِيَ أَحسن فَإِذَا الَذِي بينَكَ وبينَه عداوةٌ كأَنه ولِي حمِيم** ﴾ [فصلت: ٣٤]، وفيه: ﴿ **وعِباد الرحمن الَذِين يمشُون علَى الأَرضِ هونًا وإِذَا خَاطَبهم الْجاهِلُون قَالُوا سلَاما** ﴾ [الفرقان: ٦٣]، وفيه: ﴿ **والْكَاظِمِين الْغَيظَ والْعافِين عن الناس واللَّهُ يحِب الْمحسِنِين** ﴾ [آل عمران: ١٣٤]، وغير ذلك كثير.

* * *

وبعد فهذه ثمار محمد ﷺ: عقيدة منطقية، كتاب (القرآن) منطقي، كتاب معجز تاريخيا وعلميا، كتاب معجز في نبوءاته، معجز بيانيا وبلاغيا، تكريم المرأة، التسامح ونبذ العنف، يجب كذلك ألا ننسى أول ثماره ﷺ وهي القضاء على

عبادة الأصنام وجعل أتباعه حتى الآن أقل الأمم انغماسا في الموبقات وأكثرها اهتماما بالعبادات.

**** لنختبر هذه الثمار حسب نبوءة المسيح في الإنجيل.. (احترزوا من الأنبياء الكذبة.. من ثمارهم تعرفونهم).**

هل يعقل أن تكون كل هذه الثمار ثمار كذاب؟!

أو لنتساءل كما تساءل من قبلنا "توماس كارلايـل" فـي كتابه "الأبطال": هل رأيتم رجلاً كاذبا يستطيع أن يخلق دينًا ويتعهده بالنشر بهذه الصورة؟!

* * *

وبمناسبة الكلام عن انتشار الإسلام، يجدر بنا أن نخوض قليلاً في انتشاره في العصر الحديث في الفصل القادم، نخـتم به عملنا، مع الأخذ في الاعتبار أن الإسلام ينتشـر بقوتـه الذاتية، فلا وجود لمؤسسات دعوية ضخمة مثل مؤسسـات التنصير التي تتولى بناء المدارس والمشافي، بل والمطارات لمساعدة جيوش المبشرين علاوة على المساندة السياسية من الغرب المسيطر على العالم الذي يستغرب أن يـدخل مـن ينتمون إليه في دين أمة مهزومة دنيويا على كل الأصعدة.

* * *

هؤلاء أنصفوا محمد ﷺ وهؤلاء أسلموا

محمد ﷺ بالطبع لم يكن في حاجة إلى عمل مثل عملنا هذا لإظهار صدق نبوته وإنصافه.

وما هذا إلا تعبير عن حب وامتنان لذلك النبي العظيم ﷺ، وقد أنصفه مِن قبلنا من هم ليسوا على ملته، والفضـل مـا شهدت به الأعداء.

وقد علم من قبل كم أشاد الأديب البريطاني "برنارد شـو" بالإسلام، مثل قوله: "الإسلام هو الدين الوحيد الذي يبدو لي أن له طاقة هائلة لملائمة أوجه الحياة المتغيرة، وهو صـالح لكل العصور. وفي رأيي أن محمد ﷺ يجب أن يسمى منقـذ البشرية، دون أن يكون في ذلك عداء للمسيح، وأعتقـد أنـه لو أتيح لمثله أن يتولى منفردا حكم هذا العالم الحديث لحالفه التوفيق في حل جميع مشاكله بأسلوب يـؤدي إلـى السـلام والسعادة للذين يفتقر العالم إليهما كثيرا ... وأستطيع أن أتنبأ بأن العقيدة الإسلامية ستلقى قبولاً حسنًا في أوربا في الغـد،

بل قد بدأت تجد آذانًا صاغية في أوربا اليوم" [1] كما يضيف "شو": الإسلام دين الديمقراطية وحرية الفكر... هـو ديـن العقلاء... ولكن هناك أمرا مهما يجب ألا أغفلـه، وهـو أن الإسلام شيء والمسلمون الآن شيء آخر... الإسلام حسـن ولكن أين المسلمون؟... وليس فيما أعرف من الأديان نظـام اجتماعي صالح كالنظام الذي يقوم على القـوانين والتعـاليم الإسلامية" [2]... "سيجيء يوم يعتنق فيه الغرب الإسلام، فإنه مضت قرون كاملة كان الغرب يقرأ فيها كتبا وصحفًا مملوءة بالافتراءات على دين الإسلام ونبيه ﷺ".

كما يقول "كارلايل" الكاتب الإنجليزي الشهير في كتابـه "الأبطال": "من العار أن يصغي أي إنسان متمدين من أبنـاء هذا الجيل، وهم القائلون بأن دين الإسلام كذب، وأن محمـدا ﷺ لم يكن على حق.

---

(1) "محمد كامل عبد الصمد" الجانب الخفي وراء إسلام هؤلاء" جزء٢ ص٢١١ نقلاً عن "أوربـا والإسـلام" د/ عبـد الحلـيم محمـود (بتصرف).

(2) المصدر السابق ص٢١٧ نقلاً عن "مبشر الطـرازي الحسـيني". مجلة منبر الإسلام. إبريل ١٩٦٦ (بتصرف).

هل رأيتم رجلاً كاذبا يستطيع أن يخلق دينًـا، ويتعهـده بالنشر بهذه الصورة [1]؟! تذكرنا هذه الكلمة الأخيرة بكلمـة المسيح عيسى التي بنينا عليها فصولاً "كاملة" احترزوا مـن الأنبياء الكذبة... من ثمارهم تعرفونهم".

يقول "كارلايل" كذلك: "لقد كان في قلوب العـرب جفـاء وغلاظة، وكان من الصعب قيادتهم وتوجيههم واستطاع محمد ﷺ" لقد أخرج ا العرب بالإسلام من الظلمات إلى النـور... فإذا بالخمول قد استحال شهرة، والغموض نباهـة والضـعة رفقة والضعف قوة، وأشرقت دولة الإسلام حقبا عديدة [٢].

ويقول "تولستوي" الكاتب والأديب الروسي ذائع الصيت.. "لا ريب أن محمدا ﷺ من كبار المصـلحين الـذين خـدموا المجتمع البشري، ويكفيه فخرا أنه هدى أمة كبيرة إلى نـور الحق".

(1) "الأبطال" ترجمة محمد السباعي. نقـلاً عـن المصـدر السـابق ص٢١٤.

(2) المصدر السابق ص٢٢٧ – ٢٢٢.

ويقول "لامارتين" الشاعر الفرنسي: "إن حياة مثل حياة محمد ﷺ... وثبته على خرافات أمته وجاهلية شعبه... لدليل على أنه لم يكن يضمر خداعا، أو يعيش على باطل، فهو فيلسوف وخطيب ورسول ومشرع وهادي الإنسانية إلى العقل، ومؤسس دين لا فرية فيه...".

وقال "جوته" الشاعر الألماني الشهير: "إذا كان الإسلام هو هذا، أفلا نكون جميعا مسلمين؟" [1].

كما تأثر "نابليون بونا بارت" بالإسلام وقال: "إن محمدا - ﷺ - انتصر على نصف العالم المعروف في عشر سنوات، وأن النصرانية أتمت مثل هذا العمل في ثلاثة قرون... أنا لا أنسى منظر المصريين وهم يركعون ويسجدون في الصحراء في اتجاه القبلة بسهولة وبساطة وخشوع، وأن ربهم قوة سامية ليس لها صورة أو تمثال...".

---

(1) أغلب ما ذكرناه فيما سبق من هذا الباب مستخلص من كتاب "الجانب الخفي وراء إسلام هؤلاء" أ/ محمد كامل عبد الصمد. ص٢١١ – ص٢٣٤.

وقال رفاقه في منفاه أنه كـان يقـرأ القـرآن بصـوت منخفض، وكان يقول: إن دين محمد - ﷺ - هو الأفضل"[١].

كذلك صرح "شولاتور" المستشرق الألماني المعاصر، في التلفزيون الألماني بمناسبة افتتاح مجلس الشورى الإسـلامي في ألمانيا لمركزه الجديد المجاور لوزارة الخارجية، صـرح بأن أوربا ستعتنق الإسلام في المستقبل... كمـا تنبـأ بـأن المسلمين سيفككون الاتحاد الروسي، ليعود كما بدأ إلى "إمارة موسكو" – موسكوفيا – التي انطلـق منهـا الـروس إلـى الإمارات الإسلامية المجاورة، ليحتلوها بعد مجازر وحشـية على يد "إيفان الرهيب" وحفيدته "كاترين" ومن بعدها ابنهـا بطرس الأكبر" [٢].

ألف الكاتب البريطاني "جان دوانبورت" كتابـا عنوانـه "اعتذار لمحمد - ﷺ - والقرآن" اعتذر فيه عن التصـورات والأحكام التي كانت شائعة في الغرب حول نبـي الإسـلام

(1) المجلة العربية – أغسطس ١٩٨٥ – نقلاً عن المرجع السابق.

(2) مجلة "المسلمون" – ٢٠ جمادى الآخرة ١٩٩٨م ص١٦.

ﷺ[1]. هذا يذكرنا باعتراف مجلس الشيوخ الأمريكي أخيـرا بتعرض الإسلام والمسلمين للإساءة في أمريكا خاصـة فـي الحديث عن الإرهاب والاضطهاد الديني في العالم الخارجي. (جريدة الأهرام ٣٠/ ٧/ ٢٠٠٠) ص١.

المستشرق الفرنسي "لوي ماسنيون" كان يسمي الإسـلام "حكومة المساواة الإلهية" [٢].

المستشرق "روبرتسون" كان يقول: "إن أتباع محمد ﷺ هم الأمة الوحيدة التي جمعت بين التحمس في الدين والتسـامح فيه، أي أنها مع تمسكها بدينها لم تعرف إكراه غيرها علـى قبوله" [٣].

المستشرقة الألمانية "سيجرد هونكه" تقول: "ألم يقل محمد أقوالاً، كان يكفي لأن يقول في روما حتـى يحـاكم بتهمـة

---

(1) د/ شوقي أبو خليل: "التسامح في الإسلام" ص٣٧.

(2) مرجع سابق ص٣٧.

(3) "حاضر العالم الإسلامي" ص: ١/ ١٠٤ نقلاً عن المصدر السـابق ص١٢٤.

الهرطقة. أو ليس هو القائل بأن حبر الطالب أقدس مـن دم الشهيد [١]؟!

يقول البروفيسور السويسري "مارسـيل بـوزارا" ممثـل اللجنة الدولية للصليب الأحمر في عدة دول إسلامية: يظهـر الإسلام في هذا المنظور الأساسي: دين اليقين والتوازن [٢].

* مثل هذا قاله المستشرق الإنجليزي "برنـارد لـويس" والفرنسي "جوستاف لوبون" والمؤرخ الإنجليزي "هربـرت فيشر" في كتابه "تاريخ أوربا" و"توماس أرنولد" وغيرهم.

* نلحظ هنا كيف اختلفت نظرة الغرب – نسـبيا – إلـى نبي الإسلام ﷺ ودينه، لنقارن ذلك بما أوردناه من تعصـب للغرب في فصل "التسامح ونبذ العنف". حتى من تنبأ بنهايـة الإسلام على يد الغرب (صموئيل هانتنتون) تراجع عن ذلك

---

(1) "شمس العرب تسطع على الغرب" المتـرجم عـن كتـاب نفـس المستشرقة. "Allahs same uber Dem Abendland".

(2) "إنسانية الإسلام" للعالم نفسه – نقلاً عن لواء/ أحمد عبد الوهـاب "الحضارة الإسلامية والحضارة الغربية" ص٦٢.

واعترف بخطئه كما أخطأ غيره باعتقاده بانهيـار الإسـلام عقب إلغاء "أتاتورك" الخلافة الإسلامية [(١)].

* ومن ينسى في هذا المجال كلمة الأمير "تشارلز" ولـي عهد بريطانيا في افتتاح مركز الدراسـات الإسـلامية فـي أكسفورد عام ١٩٩٣م "... والغالبية العظمى من المسـلمين يتسمون بالاعتدال من الناحية السياسية، وأن يكونوا أشخاصا أنقياء ودينهم هو دين الاعتدال، والنبي محمد - ﷺ - نفسـه كان يمقت التطرف دائما ويخشاه.. وثمة قول مأثور فيه (في الإسلام) إن حبر العالم أقدس من دم الشهيد. لقد كانت قرطبة في القرن العاشر أكثر المدن تحضرا في أوربا... إن كثيـرا من المزايا التي تفخر بها أوربا العصرية جاءت أصلاً مـن أسبانيا أثناء الحكم الإسلامي... وعلاوة علـى ذلـك، فـإن الإسلام يمكن أن يعلمنا طريقة للتفاهم والتعايش في العـالم، الأمر الذي فقدته الديانة المسيحية مما أدى إلـى افتقارهـا، ويكمن في جوهر الإسلام محافظته على نظرة متكاملة إلـى

---

(1) صحيفة الشعب ٣١/ ١٠/ ١٩٩٧ – نقلاً عـن المرجـع السـابق ص١١٧.

الكون، فالإسلام يرفض الفصل بين الإنسان والطبيعة، والدين والعلم، والعقل والمادة" [1]. ولقد كرر الأمير ما قاله هنا في ديلتون بارك بعد ثلاث سنوات. ولقد كانت دعوته للتعلم من الإسلام أكثر ما لفت الانتباه حتى إن صحيفتنا التايمز والديلي تلجراف أظهرتها بجعلها عنوانًا لحديث الأمير يقول: لنـتعلم من الإسلام [2].

وقد تابع أهل الحكم الإنجليز رد الاعتبار للإسلام بحديث "توني بلير" – رئيس وزراء بريطانيا الحالي – الصحيفة "ذي مسلم نيوز"؛ حيث انتقد ما وصفه بالصورة الذهنية المقلوبـة لدى البعض في بريطانيا والغرب عموما، التي تـربط بـين الإسلام والتطرف والإرهاب... وأضاف أن قراء "ذي مسلم نيوز" يعلمون أكثر من غيرهم كيف أن الأعلام يستخدم لافتة الإسلام بصورة متكررة وعشوائية في وصـف التطـورات

(1) وثائق المؤتمر التاسـع للمجلـس الأعلـى للشـئون الإسـلامية ١٤١٨هـ/ ١٩٩٧م. نقلاً عن المرجـع السـابق ص١١١ إلـى ص١١٤.

(2) صحيفة "الشرق الأوسط" ٢٣/ ١٢/ ١٩٩٦م نقلاً عـن المرجـع السابق ص١١٥.

التي تحدث هنا أو في أي مكان آخر والتـي لا تكـون لهـا علاقة على الإطـلاق بتعـاليم القـرآن أو أعمـال المسـلم العادي"[١].

ثم في أواخر عام ٢٠٠٠ أقام الرجل أسبوعا في لندن عن الحضارة الإسلامية.

استمرارا لنفس النهج، وفي خطابها في مـؤتمر الألفيـة بلندن ذكرت "بارونة اسكتلندا" أن الإسلام يشهد طفـرة فـي بريطانيا وما يقال عن الإساءة للمرأة لا علاقة له بصـحيح الدين [٢]. ثم نوهت بما ذكره قبلها الأمير "تشارلز".

** = ما ذكرناه من قبل كان عن علماء ومفكرين وساسة غربيين أنصفوا الإسلام لم يسلموا... فماذا عمن أسـلموا... وماذا عن انتشار الإسلام في الغرب بقوته الذاتية – دون أن يبذل المسلمون التضحيات لذلك خاصة المادية منها؟

---

(1) صحيفة الأهرام ٢٤/ ٢/ ١٩٩٩م.

(2) صحيفة الأهرام ١٧/ ١١/ ٢٠٠٠م. – صفحة الفكر الديني.

*** في أمريكا:**

* ذكر الرئيس الأمريكي السابق "كلينتون" في معـرض تهنئة للمسلمين بعيد الفطر ١٤٢٠هـ (عن جريدة الأهـرام) أن الإسلام أكثر الأديان انتشارا في أمريكا.

* ذكرت جريدة "التايمز" ٩/ ١١/ ١٩٩٣ البريطانيـة أن أعدادا كبيرة يسلمون كل عام في الولايات المتحدة الأمريكية.

* ذكر الشيخ/ محمد حسان عقب عودتـه مـن رحلـة لأمريكا عام ١٤٢٠هـ ١٩٩٩م أن عدد المساجد في أمريكا أصبح ١٥٠٠ مسجدا، في نيويورك وحـدها ١٢٠ مسـجدا. بل إن منطقة واحدة في "ديترويت" يقطنها ١٠٠٠٠٠ مسـلم وقد صرح رئيس مخابرات المنطقة الأمريكي – في كلمة له خلال مؤتمر للمسلمين هناك حضرة ٦٠٠٠ مسلم – صـرح بأنه يتمنى أن تصبح كل الولايات في أمريكا مثـل منطقـة ديترويت لأن نسبة الجريمة فيها صفر.

كما قال السيناتور "بول فيندلي" في كتابه "لا سكوت بعـد اليوم" ص٧٥ أن نسبتهم في ديترويت ١٥% من السـكان – ورغم ذلك لا يسمح لطلبة المدارس التي قد تصل نسبتهم في بعضها ٩٠% لا يسمح لهم فيها بالصلاة في جماعة.

* ذكر العالم المصـري د/ زغلـول النجـار – أسـتاذ الجيولوجيا في جامعة كاليفورنيا وغيرها – في محاضرة لـه عن الإعجاز العلمي في القـرآن عـام ١٩٩٢م فـي نقابـة المهندسين الرئيسية بالقاهرة ذكر أن ٢٠٠٠٠ (عشرين ألفًا) من الجيش الأمريكي المتواجد في السعودية خـلال حـرب الخليج الثانية – قد أسلوا.

وقد صلى بعضهم في الجامع الأزهر بعـد ذلـك خـلال مناورات عسكرية مشتركة مع مصـر. (منـاورات الـنجم الساطع).

الغريب أن معظم من يسلم يكون من النساء، لعل في ذلك رد على شبهة اضطهاد الإسلام للمرأة، وقد كتبـت باحثـة كهنوتية أمريكية Carol, Anway كتابا عن ذلك بعـد إسـلام ابنتها، سمته "Daughters of another Path" وقد ترجم إلـى العربية تحت اسم "سر إسلام الأمريكيات" – تعرضـت فيـه الكاتبة لأسباب إسلام ٥٣ أمريكية أولهم بالطبع ابنتهـا. (دار المنارة – المنصورة، ترجمة: محمد عبد العظيم علي).

*** من الشخصيات الأمريكية الشـهيرة التـي أسـلمت:** الملاكم الشهير محمد علي كلاي ونظيره اللاعـب الحـالي

"مايك تايسون"، "روبرت كريد" مستشار الرئيس الأمريكـي الراحل نيكسون حين طلب منه الرئيس جمع مادة علمية عن الإسلام والمسلمين من أجل إصدار كتاب. الكاتبـة يهوديـة الأصل "مارجاريت ماركوس" (مريم جميلة)، لاعب السـلة "كريم عبد الجبار"، المطرب "جيرمـان جاكسـون" (شـقيق "مايكل جاكسون")، عالم التشـريح "كيـث مـور"، "لـويس فارقان"، الكاتب "أندريا باترسون" الممثل الشهير "ويل سميث" الذي أسلم عقب تمثيل فيلم عن محمد علي كـلاي، الكاتبـة "إبريل زوشيت"، "لاري شو" عضو مجلس شـيوخ إحـدى الولايات.. يصل عدد المسلمين في أمريكا ستة ملايين، وقـد يصلون إلى ١٢ مليونًا قريبا لو استمرت زيادتهم على هـذا المنوال، على حد قول السناتور "بول فندلي" أما بعد أحـداث ١١ سبتمبر ٢٠٠١ وعلى غير المتوقع، أصبح معدل إسـلام الأمريكان ٢٥٠٠٠ سنويا على حد تعبير "نيويورك تـايمز" في الأسبوع الأول من نـوفمبر ٢٠٠١، وبـذا زاد معـدل إسلامهم أربع أضعاف على حد تعبير الدورية نفسها. الغريب أن نسبة عالية من الأمريكان يسلمون فـي السـجون (مثـل "تايسون")؛ حيث يدخل إلـيهم دعـاة مسـلمون أو يكـون

المسلمون مساجين كذلك مثل المصري "سيد نصير" الذي أسلم على يديه الكثير في سجنه.

** هذا عن انتشار الإسلام بشكل عام في الولايات المتحدة الأمريكية. فماذا عن غيرها؟...

*** **في بريطانيا** عشرون ألفًا يعتنقون الإسلام كل عام. هذا ما ذكرته بارونة سكتلندا وكيلة الوزارة البرلمانية وشئون الكومنولث في خطاب لها خلال مؤتمر فجر الألفية بلندن في شهر نوفمبر ٢٠٠٠ كما ذكرت أن بريطانيا بها أكثر من ألف جامع ثم نوهت بخطاب الأمير تشارلز الشهير الذي دافع فيه عن الإسلام، وكيف أن الإسلام أعطى للمرأة حقوقها قبل غيره. كما ذكرت أن أغلب من يسلم هناك يكون من النساء، والسبب لا يعود إلى كون الإسلام ديانة الزوج فحسب [١]. وقد عجبت حين قرأت عنوانًا (مانشيت) لجريدة "التايمز" البريطانية "لماذا تتحول البريطانيات إلى الإسلام" ٩/ ١١/ ١٩٩٣.

(1) المرجع السابق.

*** من الشخصيات البريطانية الشـهيرة التـي أسـلمت:**

"**اللورد هدلي**" الذي قال: "إنني أعتقد أن هنـاك آلافًـا مـن الرجال والنساء أيضا مسلمون قلبا، ولكـن خـوف الانتقـاد والرغبة في الابتعاد عن التعب الناشئ عن التغيير منعهم من إظهار معتقداتهم" [(١)].

* ومن هم المطرب الأشهر "Cat stevens" الذي تسـمى بـ "يوسف إسلام". الذي صار له بعد ذلك نشاط واسع فـي مساعدة ضعاف المسلمين في كل مكان خاصة بريطانيا بلده. ولعل الكثير يعلم عن جهاده منذ عهد رئيسة الوزراء "تاتشر" لإقامة المـدارس الإسـلامية أسـوة بالمـدارس المسـيحية واليهودية... إسلام هذا الرجل معلوم للجميع.

*** "آرثر أليسـون"** أو "عبد ا أليسـون"، رئـيس قسـم الهندسة الكهربائية والإلكترونية في جامعة لندن والذي أسـلم عام ١٩٨٥م في القاهرة حين حضر مؤتمرا عـن الإعجـاز

---

(1) "الجانب الخفي وراء إسلامه هؤلاء" الجزء الثاني ص٢١٢. نقـلاً عن "أوربا والإسلام" د/ عبد الحليم محمود، وقد أسلم الرجل فـي ثلاثينيات القرن العشرين.

العلمي في القرآن الكريم. كان ذلك في الليلة الختامية وأمـام مراسلي وكالات الأنباء العالمية وعلى شاشـات التلفزيـون. ولعل المصريين لا ينسون مشهد هذا الرجـل حـين نطـق بالشهادتين بصوت قوي أمام الجميع.

* زوجة سفير بريطانيا في اليمن... التي ارتدت الـزي الإسلامي، ثم عبرت عن إعجابها الشديد بالتقاليد الإسلامية، وعلاقات التعاون الأسرية بين أفراد المجتمع المسلم [١].

* "جو أحمد دوبسون" نجل أحد الوزراء السابقين.

* "سارة" الكاتبة في ال B.B.C. والباحثة التي تعد رسالة للدكتوراة عن إسلام البريطانيين من أصل أفريقـي؛ حيـث حصلت على منحة من مؤسسـة الملـك فيصـل الخيريـة بالاشتراك مع الأمير تشـالز، وكـان أخوهـا قـد سـبقها للإسلام[٢].

---

(1) صحيفة الأهرام – ٢٠ إبريل ٢٠٠٠ ص٩. عن "البلاغ" اليمنيـة الأسبوعية.

(2) مجلة "كل الناس". العدد ٥٨٧ – ٩ جمادى الأول ١٤٢١هـ ـ. (٩ – ١٥ أغسطس ٢٠٠٠).

*** في فرنسا:**

تذكر بعض الإحصاءات أن أكثر مـن ٥٠٠٠ فرنسـي يتحولون للإسلام كل عام.

من أشهر الفرنسيين الذين أسلموا:

* "أتيين دينيه" (ناصر الدين) الـذي ولـد فـي بـاريس ١٨٦١م وتوفى في السبعين من عمره. ويعـد مـن أشـهر الرسامين الفرنسيين في القرنين الماضيين، وقد كتبت عنـه ترجمة في القاموس الفرنسي الشهير "لاروس الكبيـر" بـاب "المسيو دينيه" وله لوحة شهيرة في متحف بـاريس الشـهير "غداة رمضان" [١]. وقد ألف عدة كتب عن الإسـلام مثـل "ربيع القلوب"، "إشعاعات نور الإسلام"، "الشرق كمـا يـراه الغرب"، "الحج إلى بيت ا الحرام"، "محمد رسول ا " [٢].

* **"رينيه جينو"** (عبد الواحد يحيى) الفيلسـوف الشـهير. وقد ارتجت أوربا لإسلامه الذي كان ثورة كبرى – وتكلمت

---

(1) "محمد عبد الصمد" الجانب الخفي وراء إسلام هـؤلاء – جـزء١ ص٧٤.

(2) مجلة "العربي" العدد ٤٩٨ مايو ٢٠٠٠م. ص١٥٠ إلى ص١٥٤.

عنه الصحف والمجلات – ولعله كان من أوائل من تحـدثوا عن الإعجاز العلمي في القرآن. مـن أهـم كتبـه "الشـرق والغرب". وقد حرمت الكنيسة كتبه ورغم ذلك طبعت عـدة مرات وترجمت إلى كثير من اللغات [١].

* "**روجيه (رجاء) جارودي**" المفكر الشـهير والعضـو السابق للجنة المركزية للحزب الشيوعي الفرنسي حتى عـام ١٩٦٩م [٢]. وقد بدأ في الكتابة عن الإسلام بكتاب "وعـود الإسلام" ثم تبعه بعدة كتب، "ملـف إسـرائيل"، "مبشـرات الإسلام"، "حفارو القبور"، "الأسـاطير المؤسسـة للسياسـة الإسرائيلية"، وغير ذلك كثير...

وقد دافع عن الإسلام دفاعا جسورا وهاجم أعداءه خاصة "الصهيونية"، وقد جلبت عليه حربه مـع الأخيـرة مشـاكل جمعه، وحكمت عليه المحاكم الفرنسية أحكاما طبقًا لقـانون جائر.

---

(1) "محمد كامل عبد الصمد" الجانب الخفي وراء إسلام هؤلاء – جزء ١ ص٨١ إلى ص٨٣.

(2) المرجع السابق ص٨٤.

* "**فانسان مونتيه**" (المنصور با الشافعي) أستاذ اللغة العربية والتاريخ الإسلامي بجامعة باريس... وهو الآن رئيس "مؤسسة الدراسات الإسلامية" بداكار، وله عدة مؤلفات: "الإرهاب الصهيوني"، "المسلمون في الاتحاد السوفيتي"، "الإسلام في أفريقيا السوداء"، "مفاتيح الفكر العربي" كما ترجم مقدمة ابن خلدون إلى الفرنسية.

من أقواله: "لقد اخترت دين الفطرة وهو الإسلام... دينًا لا يفصل بين البدن والروح، بين النفس والجسد... يكفيني أن الإسلام دين نقي، يدفع إلى الأخلاق.."[١].

* "**موريس بوكاي**" الجراح والأكاديمي الفرنسي الذي كتب كتابا "شيقًا" في السبعينات عقد فيه مقارنة بين الإنجيل والقرآن وحسب الحقائق العلمية "الإنجيل والقرآن والعلم الحديث"، وقد انتهى إلى البون الشاسع بين الحقائق العلمية القاطعة في القرآن وتهافت نظائرها في غيره. الغريب أنه أنهى هذا العمل ولم يكن قد أسلم بعد؛ إذ أسلم في الأعوام

---

(1) المصدر السابق ص٩٤.

القليلة الماضية، وهو عضو جمعية "الإسلام والغرب" كما أنه معروف في الأوساط الثقافية والعامة في أوربا وخارجها [1].

*** في ألمانيا:**

يعيش في ألمانيا ثاني أكبر أقلية إسلامية في أوربـا (١,٧ مليون نسمة) – نقـلاً عـن صـحيفة "المسـلمون" ٢٦/ ٣/ ١٩٩٣م.

وقد أسلمت ٨٠٠٠ امرأة في ألمانيا خلال الأشهر القليلـة الآخيرة من عام ١٩٩١م.

وقد سموا أنفسهن "أخوات محمد". هذا ما ذكرته صـحيفة "وير شبيجل" الألمانية (نقلاً عن جريدة "المسـلمون" ٢٤/ ١/ ١٩٩٢م). أضافت الصحيفة: لقد اتبعن رسالة النبي محمد ﷺ طواعية، وبدون تأثير من أحد" [2].

* من أشهر الشخصيات الألمانيـة: **د/ مـراد هوفمـان،** السفير الألماني، الذي أسلم في الثمانينات وتنبأ بعودة الإسلام

---

(1) المصدر السابق ص٢٤١.

(2) المصدر السابق ص٢٦٧.

في القرن الـ ٢١ من ألمانيا... وله عدة مؤلفات: "الإسـلام كبديل"... "يوميات ألماني مسلم".

كما أسلم المتحدث باسم الحزب الديمقراطي المسيحي في بون [1] (أيام المستشار "كول" الذي أسلم ابن أختـه أيضـا، الذي كان يأتي إلى القاهرة، كما أخبرني أحد معارفـه فيهـا وقد كتبت "الأهرام" في صـفحتها الأولـى فـي رمضـان ١٤٢١هـ أن "كول" ذهب لتركيا ليخطب لأحد أقربائه. لعل هذا الرجل)..

كذلك أسلمت واحدة من أشهر مذيعات التلفزيون الألماني "**كريسـتياني**" كما ذكرت جريدة "الشـعب" المصـرية منـذ سنوات.

* لا يفوتنا هنا أن نذكر الممثلة الألمانية "كـارولا" التـي أسلمت في ثلاثينات القرن العشرين وهي فـي قمـة المجـد والشهرة... بعد رحلة في البحث عن الحقيقة بعد ملـل مـن متاع مادي لم يسبب لها السعادة. فرحلت إلـى تـونس ثـم

(1) "روجيه دو باسكويه" – إظهار الإسلام – ص٧.

مصر؛ حيث أسلمت (نقلاً عن – اللواء الإسلامي في حديث لمحمد صبرة) [1].

** بالطبع لم يقتصر إسلام المفكرين وغيرهم في الغرب على هذه الدول الأربع (الولايـات المتحـدة – بريطانيـا – فرنسا – ألمانيا) وإن كانت أهمها في ذلك.

فهناك الكاتب والصحفي السويسري المعاصر "**روجيه دي باسكويه**" الذي أسلم هو وزوجته الهولندية. والذي يقول فـي كتابه "إظهار الإسلام": "لا يمكن إنكار تقديم الإسـلام، فـي الوقت الذي تتراجع فيه الديانات العظمى الأخـرى" (كتابـه المذكور ص٥)... "الإسلام من ناحية أكثر واقعيـة وأكثـر مثالية، فهو يعلم الناس في المقـام الأول كيفيـة الممارسـة الصحيحة لحريتهم المحدودة في العالم السفلي، مع أخذه فـي الحسبان ضعفهم وزلاتهم" (الكتاب المذكور ص٤١).

---

(1) "محمد كامل عبد الصمد" "الجانب الخفي وراء إسلام هؤلاء" جزء٣ ص٦٢.

* ومن ينسى "ليوبولد فايس" الصحفي النمساوي في النصف الأول من القرن العشرين، الذي أسلم وتسمى "بمحمد أسد".

* في السنوات القليلة الماضية أسلم سفير السويد السابق في المغرب [(١)].

* في عام ٢٠٠١ وفي شهر نوفمبر أشهر السفير الإيطالي في السعودية، د. توركواتو كارديللي (٥٩ سنة) إسلامه.

* ذكرت صحيفة "لوموند" الفرنسية الصادرة بتاريخ ١/ ١٢/ ٢٠٠١ أنه خلال العشرين أو خمسة وعشرين عاما القادمة، سيتحول ثلث الشعب الروسي إلى الإسلام.

كذلك أسلم سفير الدنمارك في السعودية في أواسط التسعينيات.

* بالطبع أيضا لم يقتصر دخول الناس في الإسلام حديثًا على الغرب.

---

(1) "روجيه دو باسكويه" – إظهار الإسلام ص٧.

ففي الهند: بالرغم من صنوف الاضطهاد من الهنـدوس ينتشر الإسلام هناك خاصة في صفوف طائفـة "المنبـوذين" وقد روي عن دخول قرية هندية كاملة (٣٢٠٠٠ نسمة) فـي الإسلام [1]. ومن ينسى إسلام ابن الـزعيم غانـدي الـذي أضرب عن الطعام يومين ليعود ابنه [2] لدينـه الهندوسـي ولكن هيهات. كذلك أسلم ٦٠٠٠٠ نسمة هم سكان قرية "مينا كشبورام" [3]. كما نقلت "الجارديان البريطانية خبـر إسـلام ٤٠٠ هندوسي من المنبوذين في مقاطعة "تاميل نادو" [4].

في أفريقيا: كتب "سميث إدوين" في كتابه "المقعد الذهبي" و"بلايدن" في كتابه "الإسلام في السودان الغربي" وغيرهم من الباحثين الغربيين عن انتشار الإسلام بين الأفارقة، وسـبب

---

(1) "محمد كامل عبد الصمد" "الجانب الخفي وراء إسلام هؤلاء" جزء ١ ص٢٧٣.

(2)"محمد كامل عبد الصمد" "الجانب الخفي وراء إسلام هؤلاء" جزء ١ ص٢٨.

(3) المرجع السابق ص٢٦٦.

(4) المرجع السابق ص٢٦٦.

ذلك[١]، كذلك ذكرت صحيفة "المسلمون" كيف أسلمت قبيلـة كينية وثنية على يد بائع متجول في منطقة "جرسين" (عـدد ٢٤/ ١/ ١٩٩٢) [٢].

كانت نفس الصحيفة قد ذكـرت قبـل ذلـك (٢٥/ ١٠/ ١٩٩١م) كيف أسلمت أربع قرى في ولاية "جـونجلي" فـي شمال نيجيريا [٣]. ذكرت هذه الحادثـة مـن قبـل جريـدة "جسكياتاف كوبد" النيجيرية – الصـفحة الأولـى – العـدد ٤٠٠٧.

في آسيا: في اليابان أعلن عضو البرلمان "جسوانا غالي" إسلامه في مسجد "سنموكو" ليكون سابع برلماني ياباني يسلم (مجلة الأمة يناير ١٩٨٢).

وفي الصين ذكرت صحيفة "سهجاي ديلي" في شـنغهاي كيف أسلم عدد من أعضـاء الحـزب الشـيوعي الصـيني واستنكرت ذلك! (مجلة الأمة فبراير ١٩٨٢).

---

(1) المرجع السابق ص٢٦٠، ص٢٦١.

(2) المرجع السابق ص٢٦٧.

(3) المرجع السابق ص٢٧١.

في كوريا الشمالية أسلم كبير القساوسـة البروتوسـتانت خلال ندوة في مدينة بوساي في كوريا الجنوبي [1].

أما في كوريا الجنوبية فقد أسلمت قرية "كوانجو" فصارت حديث الناس (عدد ٣٠٠٠ نسمة) وهـي قريـة تبعـد عـن العاصمة "سـيول" ٦٠كـم (اللـواء الإسـلامي ١٣ مـايو ١٩٨٢)[2].

* * *

*** بقيت كلمة واحدة في هذا الأمر؛ انتشار الإسلام.**

ففي أعقاب أحداث ١١ سبتمبر في أمريكا توقع الـبعض، ولعل منهم من قاموا به؛ توقعوا أن تتراجع الدعوة الإسلامية إلى الوراء عدة سنوات أو عقود، فإذا بالعكس يحدث تمامـا. لقد دفع ما حدث وما خالطه من تهم للإسلام دفع المـواطن الغربي للتعرف على الإسلام فنفذت نسخ القرآن من المـدن الكبرى وباع معرض فرانكفورت للكتاب (أكبـر معـارض العالم) في أول أسبوع عشرة آلاف نسخة من القرآن الكريم.

---

(1) المرجع السابق ص٢٦٥.

(2) المرجع السابق ص٢٧٢.

وتضاعف عدد من يريدون دراسـة الإسـلام إلـى أربعـة أضعاف. وزاد معدل انتشار الإسـلام فـي أمريكـا ثلاثـة أضعاف. وقد ذكر "ريتشارد جب هـارت" زعـيم الأقليـة بمجلس النواب الأمريكي في لقائه بشيخ الأزهر يوم ١٣/ ١/ ٢٠٠٢ أن الإسلام أصبح أكثر الأديان انتشارا هـذه الأيـام (الأهرام ١٤/ ١/ ٢٠٠٢)، وهذا ما أعلنته كـذلك عضـوة الكونجرس الشهيرة "سبنتيا ماكيني" في برنامج "بلا حـدود" في قناة الجزيرة في أكتوبر ٢٠٠٢م، كما ذكر "جيـر مـي رفكين" رئيس مؤسسة الاتجاهات الاقتصادية بواشنطن فـي مقال بالجارديـان (الأهـرام ١٢/ ١/ ٢٠٠٢) أن الترجمـة الإنجليزية للقرآن بخاصة سجلت أعلى رقم في قائمة مبيعات الكتب الأكثر رواجا في الغرب وأن الإسلام هو الدين الوحيد الأكثر انتشارا في العالم. بل لقد شرعت إحـدى الولايـات الأمريكية (ماساتشوستس) في إدخال مادة لتعليم الإسلام فـي المدارس. أما جامعة نورث كارولينا فقد فرضت على طلبتها قراءة كتاب ينصف القرآن في الأجازة الصيفية، وهو كتـاب "الاقتراب من القرآن" Aproaching The Quran لكتابه "مايكل سيلز"، ثم فوجئ الغرب بإسلام الصحفية البريطانية الشهيرة

"إيفون رايدلي" التي كانت قد وقعت في أسر جماعة طالبان في أفغانستان قبل الحرب، ثم أفرجوا عنها وقد وعدتهم بدراسة الإسلام عند عودتها للندن. تقول إيفون: "وما بدأ كدراسة أكاديمية تحول الآن إلى شيء روحي أكثر. إنني متأثرة جدا بما وجدت" (نقلاً عن "نيوزويك" ٢٧/ ٨/ ٢٠٠٢) قبل ذلك بعدة أيام فاجأت الصحف الإسرائيلية العالم بتحول أحد دارسي ١٦ مؤسسة إسرائيلية للطعن في الإسلام إلى الإسلام هو وأسرته وهو "يوسف كوهين".

* * *

الخاتمة

[فرضية عدم صدق نبوة محمد ﷺ]

بعد كل ما استعرضناه من آيات إعجاز في ذكر محمد ﷺ في كتب أهل الكتاب وغيرهم وفي المخطوطـات المكتشـفة حديثًا، ثم ذكر ثماره العظيمة من تكـريم للمـرأة وتسـامح وإعجاز للقرآن في البيان والعلم والتاريخ ومنطقيته، ومنطقية عقيدة الإسلام وتحطيم للوثنية..

بعد كل هذا، هل من الممكن القول بـأن محمـدا مـدعيا للنبوة، كاذبا، مؤلفًا للقرآن، كما قال مستشرقو الغرب؟

- هل أخذ مصادر القرآن من الشعر الجاهلي كمـا قـال بذلك "تسدال" و"شيوخ" و"شبرنجر" [١]؟

- أهل أخذ مصادر القرآن من الحنفاء كما قال غيرهم؟

---

(1) د/ عمر بن إبراهيم رضوان "آراء المستشرقين حول القرآن الكريم وتفسيره" – دار طيبة – الرياض جزء١ ص٢٥٥.

- هل أخذ مصادر القرآن مـن الصـابئة والزرادشـتية والهندية القديمة؟

- هل أخذ مصادر القرآن مـن اليهوديـة والنصـرانية المحرفة؟ كما يقول "سميث" و"حداد" اللبناني وغيرهم – وأخذ عن "ورقة" و"بحيري"؟.

- هل كان الوحي مجرد "إلهام نفسي"؟ مثل "جـان دارك" الفتاة التاريخية الفرنسية في القرن الخامس عشر الميلادي – هذا قول المستشرق "جب" [١]؟

- هل كان الوحي مجرد حالات صرع وهيستريا؟ - كما قال "الوزير سبرنجر" و"جوستاف فايل" وغيرهم [٢].

---

(1) المرجع السابق ص٣٨٢.

(2) المرجع السابق ص٣٩٨ – وقد رد على هؤلاء زمـيلهم "مـاكس ماير هسوف": "إن ما جاء به "محمد ﷺ" فيما بعد من أمور التشريع والإدارة يناقض هذا القول. في كتابه "العالم الإسـلامي" ويقـول "بلاتونوف" في كتابه "تاريخ العالم": "وغاية ما نقدر أن نجزم بـه هو تبرئة محمد من الكذب والمرض".

* هذه الأسئلة أو هذه الافتراضات حتى تكون قد حدثت، بعضها أو حتى مجتمعة لابد أن يكون محمـدا ﷺ قـد فعـل الآتي...

١- تعلم ﷺ القراءة سرا:إذ أنه كان أميا واشتهر عنه ذلك بين العرب ﴿ وما كُنتَ تَتْلُو مِن قَبْلِهِ مِـن كِتَـابٍ ولاَ تَخُطه بِيمِينِك إِذًا لارتَـاب الْمبطِلُـون ﴾ [العنكبـوت: ٤٨].

٢- تعلم ﷺ لغات كتب أهل الكتاب، على كثرتها، سرا:

﴿ ولَقَد نَعلَم أَنهم يقُولُون إِنما يعلمه بشَر لسان الَّذِي يلْحِدون إِلَيهِ أَعجمِي وهذَا لِسـان عربِـي مبِـين ﴾ [النحل: ١٠٣].

٣- لم يدع ﷺ صحيفة من صحف أهل الكتاب وغيرهم.. إلا وقرأها سرا.

- مع أن هذه الكتب لم نجدها مرة واحدة ولا في مكـان واحد.

- مع أن عدد هذه الكتب كبير جدا يستحيل الاطلاع عليها كلها من شخص واحد.

- مع أن حجم الكتب أيامه ﷺ كـان كبيـرا جـدا وفـي قراطيس. يستحيل تداولها سرا.

- مع أن عدد النسخ من الكتاب الواحد كـان قلـيلاً، لأن النسخ كان يدويا ولحرق كتب أصحاب الديانات والفرق مـن الأباطرة.

- مع أن جزء كبيرا من هذه الكتب كان أسرارا لا يسمح بتداولها إلا بين علماء كل طائفة. هذا عدا المخطوطات التي لم نجدها إلا في القرن الحالي.

فهل كان لديه ﷺ علماء للتنقيب عن المخطوطات!!!

﴿ **يا أَهلَ الْكِتَابِ قَد جاءكُم رسولُنَا يبين لَكُم كَثِيـرا ممـا كُنْتُم تُخْفُون مِن الْكِتَابِ ويعفُو عن كَثِيرٍ قَد جاءكُم مـن ا ـِ نُور وكِتَاب مبِين** ﴾ [المائدة: ١٥].

﴿ **وقَالُوا أَساطِير الأَولِين اكْتَتَبها فَهي تُملَى علَيهِ بكْـرةً وأَصِيلاً * قُلْ أَنزلَه الَذِي يعلَم السر فِي السماواتِ والأَرضِ إِنه كَان غَفُورا رحِيما** ﴾ [الفرقان: ٥، ٦].

٤- اسـتبعد ﷺ التفاصـيل غيـر المنطقيـة مـن كـل كتاب:بالرغم من أن هذه التفاصيل تعج بها تلك الكتب. فلم يحدث أن اتفق القرآن مرة في جزئية غير معقولة.

مع وجود تفاصيل كثيرة مشتركة بين القـرآن وتلـك الكتب. أي أنه ﷺ قد أدرك أن هناك أناسا متعلمين في القرن العشرين وما بعده سيقرأون الكتـاب (القـرآن) وأدرك أنهم لن يستسيغوا إلى المنطقي، فاستبعد مـن القرآن كل ما يتناقض مع العقل والمنطـق!! ﴿ أَفَـلاَ يَتَدبرون الْقُرآن ولَو كَان مِن عِنْدِ غَيرِ اِ لَوجدوا فِيهِ اخْتِلاَفًا كَثِيرا ﴾ [النساء: ٨٢].

٥- أخذ ﷺ يجمع التفاصيل من كل كتاب ما يسـتقيم مـع الكتاب الآخر، ثم عرض كل قصة في موضوع محدد ولغرض معين، ثم عرضها في صورة بيانية معجـزة بعد إضافة تفاصيل أخرى من عنده ﷺ!!

ثم وضعها في موضعها المناسب في القرآن. بل وتحكـم في مشاعره الإنسانية؛ حيث تختلف الحالة الوجدانية لكثيـر من السور مع حالته النفسية ﷺ حال نزولها، مثل سورة النور التي نزلت في حادث الإفك؛ حيث اتهم ﷺ في عرضه، كـان المتوقع أن يكون جو السورة حزن وغضب، فإذا بها تسـبح بقارئها وسامعها في جو من السلام والروحانية والنور.

٦- أضاف ﷺ إلى كتابه (القرآن) نبوءاته بالغيب في أمور عدة مثل أدائه وأصحابه لعمرة القضاء وضمن تحقيقها وكالتنبؤ بانتصار الروم مثلاً على الفرس (سورة الروم)!! في وقت كانت هذه النبوءة أبعد ما تكون عن التحقيق وخاطر بدعوته مخاطرة حاسمة، مثل ذلك أيضا التنبؤ بانتصار الإسلام وتمكينه من أكبر قوى الأرض في ذروة الضعف والاضطهاد للمسلمين.

٧- أضاف ﷺ تفاصيل من العلوم الكونية لم نعلم نحن أغلبها إلا متأخرا جدا، كما ذكرنا في فصل "الثمرة الثالثة".

٨- لاحظ كيف اضطهدت المرأة – وغيرها من الضعفاء – وعلم أن أناسا سيأتون في القرن العشرين وما بعده ينادون بتحريرها، فأراد سبقهم وفعل ما ذكرناه في الثمرة السابعة "تكريم المرأة".

٩- علم ﷺ صفات وألقاب النبي المنتظر عند أهل الكتاب فخطها في القرآن لنفسه، ثم تحكم في مسار حياته حتى تطابق صفاته صفات ذلك النبي!!

إن هذا هو المستحيل بعينه...

فالكاذب مدعي النبوة رجل شرير فاجر، شره المطـامع، دنيء المطالب.

- [مثل مدعو النبوة في القرن الأول الميلادي] -... لذلك فإنه إذا تظاهر في البداية بالتدين والصلاح للتغرير بالبعض فإنه لا يطيق في البقاء عليه صبرا... ولا يلبث أن يفتضـح أمره وتظهر حقيقته لأعين الملأ" (١).

وأجمل ما نختم به علمنا هذا كلمة قالها "سـيد قطـب" – رحمه ا – عن الإسلام (ثمرة محمد ﷺ) "هذا ديـن رفيـع لا يعرض عنـه إلا مطمـوس، ولا ينتقصـه إلا منكـوص ولا يحاربه إلا موكوس".

* * *

(1) المرجع السابق ص٣٩٧.